

في البلاغة العربية

# علم البديع

الدكتور عبد العزيز عتيق





وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَرِيمِ

# عَلِيمُ الْجَدِيدِ



مكتبة محمد بن عبد الله بن محمد





رقم الكتاب : 1718  
اسم الكتاب : علم الفيزياء  
المؤلف : د. عبد العزيز خليل  
الموضوع : الفيزياء  
القياس : 24 x 17  
عدد الصفحات : 248

مطبوعات : مطبعة النهضة العربية  
بيروت - لبنان

الترجمة - بتمة لرومية - طهاني طهاني  
الفون : 7340993 / 7433667 / 7431666 + 966  
فاكس : 7340071 / 7342995 + 966  
صندوق بريد : 8749 - 11 الرياض الصالح  
هاتف بريد : 0728650 11 - لبنان  
بريد إلكتروني : e-mail:darashadeh@cyberia.net.lb

### جميع حقوق الطبع محفوظة

هذا كتاب المرجعة والتقديم والبحث والاقتباس المرفقة، فإنه لا يسمح  
بإنتاج أو نقل أو نسخ أو تصوير أو ترجمة أي جزء من هذا الكتاب،  
بأي شكل أو وسيلة مهما كان نوعها إلا بإذن كتابي.

## مقدمة

تتألف البلاغة العربية من علوم ثلاثة هي: المعاني، والبيان، والبدع. وميدان البلاغة الذي نحمل فيه علومها الثلاثة متضاعفة هو نظم الكلام والتأليف على نحو ينتج عليه نحوات الجمال.

وإننا نرى سمات الكلام البلغ لا يأتى إلا عن طريق الفهم والبحث والتأمل. ومن أجل هذا ندر الحاجة إلى دراسة البلاغة. فهي تكشفنا للمعظم من العناصر البلاغية التي نرى بالتعبير صعباً نحو الكمال الفني، كما توضح بين يديه الأدوات التي يستطيع بالتمرس بها والتدريب عليها أن يأتى بالكلام البلغ. وهي في الوقت ذاته جزء متكامل لتفاحة التألق والأنيب.

دراسة البلاغة إذن ليست ضرورية فقط لمن يريد أن يجعل اللغة وأدبها ميداناً للتعبير، وإنما هي ضرورية له وللتألق والأنيب على حد سواء.

وبعد... فهذه المحاضرات ألقيتها على طلبة الصف الثاني باسم

اللغة العربية وآدابها بجامعة بيروت العربية في علم البديع، أحد علوم البلاغة العربية.

والجانب الأول من هذه المحاضرات يتناول نشأة البديع، وتطورها، والقراحل التي مر بها حتى صار علماً قائماً بذاته، هذا مع التعريف بكبار رجائه وكتيبهم والطرق التي سلكوها في دراسته.

أما الجانب الآخر من المحاضرات فدراسة مفصلة تحليلية لأهم فنون البديع النقطية والمعنوية، وأثرها في الكلام.

ولعل القارئ يجد في هذه المحاضرات ما يخرجه عن التوسع في دراسة علم البديع أحد أصول البلاغة العربية.

والله ولي التوفيق.

المؤلف



إدارة المكتبة

## نتیجہ کارآمدی

البدیع كما يقول الخطيب القزويني محمد بن عبد الرحمن في كتابه  
والنيلیصری: هو العلم بعرفه به وجود کسین الکلام بعد رعاية لطائفة  
ووسج الدلالة. ويعرفه ابن عسکون بأنه وهو النظر في تزيين الکلام  
وتحسينه بنوع من التفسير: إما بجمع بعضه، أو انقاس بشابه من  
الفاظه، أو لجمع قطع أوزانه، أو تورية عن المعنى المقصود بإيهام معنى  
آخر، لا شئ في اللفظ يبين أو يوافق، والتأويل بين الأسماء والتأويل في اللغة.

ولعل القارئ يلاحظ هنا العلم بالشرح والاستيفاء بجدارته أن  
تفويضه له شئنا ونطوره، لأن ذلك من شأنه أن يعطي صورة واضحة  
عن أبعاد هذا العلم، وأن يدور على فهم مباحثه وتلويحها. وبهذا انتقلت  
أفراء الأبياء والفقهاء في مستوى هذا العلم وبمبته لأن دراسته لازمة لطلاب  
الدراسة العربية وفهم الأدب العربي ذلك أن الظواهر اللغوية تلي علواً أو  
انكشافاً على أسس الشعراء والأبياء كمصدر من عناصر فن القول.

1997, 1998, 1999, 2000, 2001, 2002, 2003, 2004, 2005, 2006, 2007, 2008, 2009, 2010, 2011, 2012, 2013, 2014, 2015, 2016, 2017, 2018, 2019, 2020, 2021, 2022, 2023, 2024, 2025, 2026, 2027, 2028, 2029, 2030, 2031, 2032, 2033, 2034, 2035, 2036, 2037, 2038, 2039, 2040, 2041, 2042, 2043, 2044, 2045, 2046, 2047, 2048, 2049, 2050, 2051, 2052, 2053, 2054, 2055, 2056, 2057, 2058, 2059, 2060, 2061, 2062, 2063, 2064, 2065, 2066, 2067, 2068, 2069, 2070, 2071, 2072, 2073, 2074, 2075, 2076, 2077, 2078, 2079, 2080, 2081, 2082, 2083, 2084, 2085, 2086, 2087, 2088, 2089, 2090, 2091, 2092, 2093, 2094, 2095, 2096, 2097, 2098, 2099, 2100, 2101, 2102, 2103, 2104, 2105, 2106, 2107, 2108, 2109, 2110, 2111, 2112, 2113, 2114, 2115, 2116, 2117, 2118, 2119, 2120, 2121, 2122, 2123, 2124, 2125, 2126, 2127, 2128, 2129, 2130, 2131, 2132, 2133, 2134, 2135, 2136, 2137, 2138, 2139, 2140, 2141, 2142, 2143, 2144, 2145, 2146, 2147, 2148, 2149, 2150, 2151, 2152, 2153, 2154, 2155, 2156, 2157, 2158, 2159, 2160, 2161, 2162, 2163, 2164, 2165, 2166, 2167, 2168, 2169, 2170, 2171, 2172, 2173, 2174, 2175, 2176, 2177, 2178, 2179, 2180, 2181, 2182, 2183, 2184, 2185, 2186, 2187, 2188, 2189, 2190, 2191, 2192, 2193, 2194, 2195, 2196, 2197, 2198, 2199, 2200, 2201, 2202, 2203, 2204, 2205, 2206, 2207, 2208, 2209, 2210, 2211, 2212, 2213, 2214, 2215, 2216, 2217, 2218, 2219, 2220, 2221, 2222, 2223, 2224, 2225, 2226, 2227, 2228, 2229, 2230, 2231, 2232, 2233, 2234, 2235, 2236, 2237, 2238, 2239, 2240, 2241, 2242, 2243, 2244, 2245, 2246, 2247, 2248, 2249, 2250, 2251, 2252, 2253, 2254, 2255, 2256, 2257, 2258, 2259, 2260, 2261, 2262, 2263, 2264, 2265, 2266, 2267, 2268, 2269, 2270, 2271, 2272, 2273, 2274, 2275, 2276, 2277, 2278, 2279, 2280, 2281, 2282, 2283, 2284, 2285, 2286, 2287, 2288, 2289, 2290, 2291, 2292, 2293, 2294, 2295, 2296, 2297, 2298, 2299, 2300, 2301, 2302, 2303, 2304, 2305, 2306, 2307, 2308, 2309, 2310, 2311, 2312, 2313, 2314, 2315, 2316, 2317, 2318, 2319, 2320, 2321, 2322, 2323, 2324, 2325, 2326, 2327, 2328, 2329, 2330, 2331, 2332, 2333, 2334, 2335, 2336, 2337, 2338, 2339, 2340, 2341, 2342, 2343, 2344, 2345, 2346, 2347, 2348, 2349, 2350, 2351, 2352, 2353, 2354, 2355, 2356, 2357, 2358, 2359, 2360, 2361, 2362, 2363, 2364, 2365, 2366, 2367, 2368, 2369, 2370, 2371, 2372, 2373, 2374, 2375, 2376, 2377, 2378, 2379, 2380, 2381, 2382, 2383, 2384, 2385, 2386, 2387, 2388, 2389, 2390, 2391, 2392, 2393, 2394, 2395, 2396, 2397, 2398, 2399, 2400, 2401, 2402, 2403, 2404, 2405, 2406, 2407, 2408, 2409, 2410, 2411, 2412, 2413, 2414, 2415, 2416, 2417, 2418, 2419, 2420, 2421, 2422, 2423, 2424, 2425, 2426, 2427, 2428, 2429, 2430, 2431, 2432, 2433, 2434, 2435, 2436, 2437, 2438, 2439, 2440, 2441, 2442, 2443, 2444, 2445, 2446, 2447, 2448, 2449, 2450, 2451, 2452, 2453, 2454, 2455, 2456, 2457, 2458, 2459, 2460, 2461, 2462, 2463, 2464, 2465, 2466, 2467, 2468, 2469, 2470, 2471, 2472, 2473, 2474, 2475, 2476, 2477, 2478, 2479, 2480, 2481, 2482, 2483, 2484, 2485, 2486, 2487, 2488, 2489, 2490, 2491, 2492, 2493, 2494, 2495, 2496, 2497, 2498, 2499, 2500, 2501, 2502, 2503, 2504, 2505, 2506, 2507, 2508, 2509, 2510, 2511, 2512, 2513, 2514, 2515, 2516, 2517, 2518, 2519, 2520, 2521, 2522, 2523, 2524, 2525, 2526, 2527, 2528, 2529, 2530, 2531, 2532, 2533, 2534, 2535, 2536, 2537, 2538, 2539, 2540, 2541, 2542, 2543, 2544, 2545, 2546, 2547, 2548, 2549, 2550, 2551, 2552, 2553, 2554, 2555, 2556, 2557, 2558, 2559, 2560, 2561, 2562, 2563, 2564, 2565, 2566, 2567, 2568, 2569, 2570, 2571, 2572, 2573, 2574, 2575, 2576, 2577, 2578, 2579, 2580, 2581, 2582, 2583, 2584, 2585, 2586, 2587, 2588, 2589, 2590, 2591, 2592, 2593, 2594, 2595, 2596, 2597, 2598, 2599, 2600, 2601, 2602, 2603, 2604, 2605, 2606, 2607, 2608, 2609, 2610, 2611, 2612, 2613, 2614, 2615, 2616, 2617, 2618, 2619, 2620, 2621, 2622, 2623, 2624, 2625, 2626, 2627, 2628, 2629, 2630, 2631, 2632, 2633, 2634, 2635, 2636, 2637, 2638, 2639, 2640, 2641, 2642, 2643, 2644, 2645, 2646, 2647, 2648, 2649, 2650, 2651, 2652, 2653, 2654, 2655, 2656, 2657, 2658, 2659, 2660, 2661, 2662, 2663, 2664, 2665, 2666, 2667, 2668, 2669, 2670, 2671, 2672, 2673, 2674, 2675, 2676, 2677, 2678, 26

ومن القلق من يعمل هذا الجانب البدعي عند تعرفه بالقد نص  
شعري أو ثوري والحكم عليه غداً أنه جانب لا يقدم ولا يؤخر كثيراً في  
الحكم على جودة التعبير وحسن ألفاظه للمعنى بكل غلالة.

ولكن دراسة أصول هذا العلم والآلة في فهمها وتطورها جذوة  
بفتح الفارس أياً كان بأن استبعاد الجانب البدعي عند الحكم على عمل  
أبي هو إجحاف به وانطباع في الحكم عليه.

هذا لقد أسرف الشعراء والأدباء في العصور المتأخرة غاية الإسراف  
في استعمال المحسنات البدعية، إما إصطناعاً بها وإما إعطاء القواعد في  
المعنى، وهذا انحط إنتاجهم الأدبي. فذلك في نظري هو سبب العزوف  
عن هذا العلم من جانب بعض الفارسين والفقهاء المعاصرين. ولو عرفوا  
أن العيب ليس في البدع ذاته وإنما هو في سوء فهمه واستعماله لفلما من  
عزوفهم عنه ولأعطوه حقه من العناية والدراسة، ولربوا إليه اعتباره  
كمصدر بلاغي هام عند تعلم الأصول الأدبية والحكم عليها.

وكما يقول أبو هلال العسكري: "كون هذا النوع من الكلام إذا سلم  
من التكلف ويرى من العيوب كان في غاية الحسن وبهاية الجملة".<sup>(١)</sup>

وبعد، فقد عرفت العرب في شعرهم كل الخصائص الفنية  
والأساليب الابداعية التي تلجج عليه حلة الجمال والإبداع. وكان الشاعر  
منهم يحسن القنطرة ومن غير عزاية منه بالواجب هذه الأساليب الابداعية  
ومصطلحاتها البلاغية يستعملها تلقائياً كلما جاشت نفسه بخاطر وأراد أن  
يعبر عنه تعبيراً بليغاً.

(١) كتاب المناظر من ٢٧٧.



ولقد اعتنى بعض الجاهلون إلى قيمة بعض هذه الأساليب وأثرها في تقدير الشعر وحققه من البلاغة، ومن هذه الأساليب ما يمت بصلة إلى هذا أو ذلك إما عرف بعد بطون البلاغة العربية الثلاثة، أي علم النظم، وعلم البيان، وعلم البديع.

والعلم الذي ذكرنا كان يندرج في أسواق العرب وأندرجهم من حوزة العرب كما نذكر كيف كان الشعراء يفتنون على زهير بن أبي سلمى في سوق عكاظ ويشتدون إمامه أشعارهم ليحكم بينهم قضاة عربين بما في شعرهم من أساليب التشبيه والتمثيل بالزراعة، وكيف كان زهير يفتني بهذا أو ذلك على غيره من الشعراء لأنه أبعد التشبيه أو الاستعارة أو الكتابة.

الجاهلون إذن كانوا بطبيعتهم الشعرية الأصلية يستحسنون بعض الأساليب البلاغية ويستخدمونها في أشعارهم دون علم بصيغاتها، فلما كما كانوا عن سبيلها يستحسنونها في كلامهم القائل مرفوعاً والقاعول منصوباً قبل أن يظهر النحاة ويكتشفوا قواعد القائل والقاعول.

ولقد أخذ علماء العربية بعد الإسلام يهتمون غاية الاهتمام بعلم البلاغة ليعتبروا به في المحل الأول على معرفة أسرار الإعجاز في القرآن الكريم كتاب الله.

وفي ذلك يقول أبو حلال العسكري<sup>(١)</sup>: وأعلم - علمك الله الخير وبذلك علمه وقبضك لك وجعلك من أعلم - أن أعز العلوم بالعلم وأولها بالمعنى - بعد المعرفة بالله جل ثناؤه - علم البلاغة، ومعرفة القصيدة التي به يعرف إعجاز كتاب الله تعالى، الناطق بالحق، المخاطب إلى سبيل الرشاد، المنقول به على صديق الرسالة وصحة النبوة التي رفعت أعلام

(١) كتاب الصانعين ص ١ - ٢.

الحق، وأقامت سائر الدين، وأزالت شبه الكفر براعيتها، وغاثت حبسها  
الشك بيقينها.

وقد علمنا أن الإنسان إذا أغفل علم البلاغة، وأغفل معرفة  
الفصاحة لم يقع عليه إحصاء القرآن من جهة ما خصه الله به من حسن  
التأليف، وبراعة التركيب، وما شجته به من الإكثار البديع، والاختصار  
اللطيف، ووضعت من حلاوة، وجلالة من رونق الطلاوة، مع سهولة تلمذه  
وجزائها، وعذوبتها وسلاستها، إلى غير ذلك من علمته التي عجز الخلق  
عنها، وأحبرت عقولهم فيها.

وإذا يعرف إحصاءه من جهة عجز العرب عنه، وتصويرهم عن  
بلوغ غاية في حسنه وبراعته، وسلاسته وتصاعده، وكمال عبقريته، وحفظه  
الغالب.....

ولمّا العلم بعد ذلك  كالمثل مشهوراً، وتناقب معروفه، عنّا أن  
صاحب العربية إذا أغفل بطلته، وفرط في التماسه، ففاته نصيبه،  
وعلمت به رتبة غرقه، عظم على جميع علمته..... لأنه إذا لم يعرف  
بين كلام جيد وكلم رديء، وألف حسن وآخر قبيح، وشعر نادر وآخر  
بازء، بأن جهله، وأظهر نقصه.

وهو أيضاً إذا أراد أن يصنع تصنيفاً، أو ينشئ رسالة.. وقد علمه  
هذا العلم.. مزج الصغر بالكثرة، وأغفل الغرر بالعموم<sup>(١)</sup>، واستعمل  
الروحاني المعكر، فجعل نفسه مهزلة للمعاقل، وهربة للعقول.

وإذا أراد أيضاً تصنيف كلام مشهور، أو تأليف شعر منظوم، ونظمي  
هذا العلم ساء اختياره له، وليحت أكثره فيه، فأغفل الرديء الزمرد،

(١) الغرر جمع غرر، وهي التفسير من أقل شيء، والعموم جمع عوام، وهي القليل.

وقدك الجيد المكيول، فدل على تصور فهمه، وتأثير معرفته وعلمه. وقد قيل: اختار الرجل قطعة من عقله، كما أن شعرة قطعة من معرفته وعلمه.

وحسبنا هذا الفخر من كلام أبي حلال العسكري للدلالة على أهمية علم البلاغة وأهميته بالعلم

أوليات البديع:

ولما انتظنا من هذا التمهيد إلى علم البديع أحد علوم البلاغة العربية فإننا نلتصق أوليات هذا العلم في محادثة قام بها الشاعر عباسي من أبناء الانصار أروع بالبديع في شعره واشهر بإحاطة البديع من مثلي قوله في مدح يزيد بن مزياد:

لقد أظننا في أمثال عديتها      ككسب يذوق طعمه بغير علم  
أجود بالنفس إن حب الخولم بها      وأجود بالنفس أقصى حاية الجود  
وقوله أيضاً:

موف على صبح في يوم ذي ربيع      كأنه أجمل يسعى إلى أجمل  
يد بالرفق ما تعبها الرجال به      كأنوت مستعجلاً بأن عمل مهمل  
هذا الشاعر هو صريح العمري سليمان الوليد الانصاري المتوفى سنة ٢٠٨ هجرية، فقد وضع مصطلحات لبعض الصور البيانية والمحسنات اللفظية والمعنوية من مثلي الخامس والسادس.

تم المنظر من بعد ما نحن صغرين بحر الحاشط في كتابه البيان والبيان والتوفى سنة ٢٥٥ هـ. فهذا الكتاب وإن اشتمل على كثير من القوائد والخطب الرائعة والأحبار البارعة، وأساليب الخطباء والبلغاء، مع بيان أقدارهم في البلاغة والخطابة، إلا أن الإشارة عن حدوده

بالخلة وأقسام البيان والتوضيح تأتي مبثورة في تضاعفها، مشتقة في أشكالها، فهي خلة بين الأشكال، لا توجد إلا بالتشكيل الطويل والتصحيح الكثير.

وقد أشار الجاحظ إلى البديع بقوله: «والشديح مقصور على العرب، ومن أجهل فاقته لغتهم كل لغة، وأزيت على كل لسان، والشاعر الراسي كثير البديع في شعره، ويشار حسن البديع، والمحتلي بلعب في شعره في البديع ملعب بشاق»<sup>(١٧)</sup>.

وكلمة البديع عند تعلي الصور والحسنات اللفظية والمعنوية وإن كان لم يوضحها توضيحاً دقيقاً، ومع شعره لبعض أنواع البديع فإنه لم يحاول وضع تعريفات ومصطلحات لها، لأن اعتماداً عند الكلام عنها كان بتقديم الأمثلة والتماثل، لا بوضع تعريفات.

بين الشعر:

ولعل أول محاولة علمية جادة في ميدان علم البديع هي تلك المحاولة التي قام بها خليفة عباسي وفي الخلافة يوماً وليلة ثم مات مقتولاً وقيل اغتولاً سنة ٢٩٦ هجرية.

هذا الخليفة هو أبو العباس عبد الله بن المعتز بن المتوكل بن المتصم بن هارون الرشيد، والمولود سنة ٢٥٧ هجرية. لقد كان شاعراً مطبوعاً مقتدرًا على الشعر، سهل الخط، جيد الفرج، حسن الإبداع الشعلي، مبرعاً بالبديع في شعره، وإضافة إلى ذلك كان أميناً بليغاً غافلاً للعلماء، والآباء معذوراً من جملتهم، وله بضعة عشر مؤلفاً في فنون شتى وصل إليها منها: ديوانه، وعريفات الشعراء، وكتاب البديع

(١٧) غنيمة وصيغ ج ٤ ص ٤٤.

وإنما كان عبد القاهر البغدادي يقول سنة ٤٢٦ للهجرة وصاحب كتابي: دلائل الإعجاز، والأسرار البلاغة هو واضع نظرية علم البيان وعلم المعاني فإن عبد الله بن المعتز هو واضع علم البديع، كما يقوّم ذلك من كتابه المسمى بكتاب البديع الذي ألفه سنة ٣٧٤ للهجرة. ويبدو أنه ألف هذا الكتاب وبدأ على من زعم من معاصريه أن بشرى بن برد ومسلم بن الوليد الأنصاري وأبا نوسر هم السابقون إلى استعمال البديع في شعرهم.

وهي ذلك يقول في مقدمة كتابه<sup>(١)</sup>. وقد فُتحت في أبواب كتابنا هذا بعض ما وجدنا في القرآن واللغة وأحاديث رسول الله ﷺ وأكلام الصحابة والأعراب وغيرهم وأشعار المتقدمين من التكلام الذي سماه المحققون البديع ليعلم أن بشراً ومسلماً وأباً نواسي من قبلهم<sup>(٢)</sup> وسلك سبلهم لم يستوفوا إلى هذا القرن. ولكنك كن في لشعرهم عرفة في زمانهم حتى سمي بهذا الاسم فأعرب عنه ذلك عليهم.

ثم إن حبيب بن أوس الطائي قاله قائماً من بينهم شغف به حتى غلب عليها وفرج فيه وأكثر منه فأحسن في بعض ذلك وأساء في بعض، وتلك عني الإقراط والتمرة الإسراف. وإنما كان يقول الشاعر من هذا الفن البيت والبيتان في القصيدة، وربما قرئت من شعر بعضهم قصائد من غير أن يوجد فيها بيت بديع، وكان يستحسن ذلك عليهم إذا لم يلقوا، وربما سقطوا بين الكلام المرسل.

وقد كان بعض العلماء يشبه الطائي في البديع بصالح بن عبد

(١) كتاب البديع لأبي العز من ١.

(٢) قبلهم: حلول القالب بهم.

القدوس<sup>١٦</sup> في الأمثال، ويقول لو أن صانعاً نثر أمثاله في شعرة وجعل  
 فيها مصراً من كلامه لست أفل زبداً، وقلب على مد عيشته. وهذا  
 أحد كلام سمعته في هذا المعنى.

وفي موضع آخر يشير إلى غرضه من تأليف كتاب البديع فيقول:

وإنما غرضنا في هذا الكتاب تعريف الناس أن المتحدثين لم يسبقوا  
 المتقدمين إلى شيء من أبواب البديع<sup>١٧</sup>. وفي موضع ثالث يشير إلى أنه  
 أول من نظم وجمع فنون هذا العلم فيقول: «وما جمع فنون البديع ولا  
 سبقني إليه أحد، وألفته سنة أربع وسبعين ومائتين»<sup>١٨</sup>.

والتصريح بكتاب البديع يجد أنه يشتمل أولاً على خمسة أبواب  
 يتحدث فيها عن المعز عن أصول البديع الكبرى من وجهة نظره وهي:  
 الاستعارات، والمجاز، والعشاق، ورد أمثلة الكلام على ما تقدمها، أما  
 الباب الخامس من البديع فهو - كما يقول - «مذهب سماء عمرو الجاحظ  
 فيذهب الكلامي». وهذا باب ما أعلم أن وجدت في القرآن من شيئاً،  
 وهو ينسب إلى التكلف، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً<sup>١٩</sup>. وليس علم  
 علمه مانعاً علم غيره، وإن يستشهد عليه بأعظم من شواهد القرآن.

ويذكر ابن المعز في كتابه عن أنه انحصر بالبديع على الصور الخمسة  
 السابقة اعتباراً من غير جعل لبعض الكلام ولا ضيق في المعرفة، ولهذا  
 فمن أحب أن يقتضي به ويقتصر بالبديع عن تلك الخمسة قليل.

(١٦) الشعر عباسي، من حكمة الشعراء، امر القيس بكنه وصله على بحر بفتحة سة  
 ١٩٨ من أوله.

(١٧) كتاب البديع ص ٢.

(١٨) نفس المرجع ص ٩٤.

(١٩) كتاب البديع ص ٢٢.



وكتفي به وقد بدأ المحاولة الأولى في وضع علم الديع ليرك أن هناك من قد يظن من شأن هذه المحاولة أو يمر في بعض المصطلحات التي اعتقدها، أو يزيد في بعض الأبواب، أو يأتد عليه تفصيلاً في تفسير بعض الشواهد الشعرية التي استعملها. ومن أهم هذا يكون دواعل بعض من انصر عن السبل إلى تأليف هذا الكتاب سبباً في نفسه وفيه مشاركتنا في طبيعته فيسمى هذا من علوم الديع غير ما سمعنا به، أو يزيد في الباب من الأبواب كلاماً مستوراً، أو يفسر شعراً لم يفسره، أو يذكر شعراً لم تذكره ولم يذكره، إما لأن بعض ذلك لم يدرج في العلم مبلغ غيره فالتقيده، أو لأن هذا ذكرته كفاً ومغنياً وليس من كتاب إلا وهذا يمكن فيه لمن أراد، وإما لحرصنا في هذا الكتاب تعريف الناس أن الحديث لم يسطروا الفقهاء إلى شيء من أبواب الديع، وفي عون ما ذكرناه مبلغ القليلة التي قصدناها<sup>(١)</sup>.

والخلاصة أن من العلم بجميع كتب الديع قد قام بالمحاولة الأولى في سبيل استغلال هذا العلم الباطني وإيجاده مبحثه التي كانت من قبل تحفظه بإباحة علمه بقائي وعلم الياء، كما تمت أنظر الناس إلى أن الديع كان موجوداً في أشعار المصنفين ومصدر الإسلام، ولكنه كان معروفاً بأبي شعراء، ثم جاء الشعراء المحدثون من أمثال بشر بن الحارث بن العزة، ولبي نواس، ولبي ناس فأكثروا منه في أشعارهم ونقصوا إليه.

وكان مما استحدثه من العلم في كتابه أيضاً وضع مصطلحات لأبواب الديع في زمرته. وهذا ما أتى معباً من كل مرجع

وتلك بلا شك محاولة علمية حادة تلقها البلاغيون والفقه من بعده

(١) كتاب الديع ص ٢ - ٣



وأشاروا إليها ما استكملوا به مباحث هذا العلم والمضامين كلها ستري فيما بعد.

### قائمة بن جعفر:

ومن القوائم التي تلغفها هائلة ابن لمعة العنقية في علم الهندس وأشاروا إليها معاصره لقائمة<sup>(٢٠)</sup> بن جعفر في كتبه وقد الشعره. وقائمة هذا كان نصراً ثم اجتمع الإسلام في أواسر القرن الثالث الهجري، ونوفي سنة ٣٣٧ للهجرة في أيام الخليفة العباسي الطيع هـ. وقد درس فيها درس الفلسفة والطق وشارك فيها تفكيراً ومبحثاً في كل مؤلفاته التي بلغت أربعة عشر كتاباً في موضوعات شتى من الأدب وغيره.

وإذا كان ابن لمعة قد نصح كتبه على علم الهندس، فإن كتابه قائمة كان في هذه الشعر خمسة عشرة، وجاء نبرسه فيه للمحسبات البدعية كمعصر من المعاصر التي سبها أغلب مباحث في هذه الشعر.

والمحسبات البدعية التي أوردنا قائمة في تصانيف كتبه وقد الشعره بلغت أربعة عشر نوعاً. وهذه على حسب ترتيب ورودها في الكتاب: التوضيح، العلو، صحة التفسير، صحة القائلات، صحة التفسير، التفسير، الدافعية، الإشارة، الإرداف، التمثيل، التكاليف، التوضيح، الإبطال، الاقتضات...

ومن هذه المحسبات ما اظهر فيها مع ابن لمعة مع الاختلاف في التسمية الاصطلاحية فقط، كالتميم، والتكاليف، والتوضيح عند من عند ابن لمعة على التوالي: الاعتراض، والطق، ورد أمجاد الكلام من ما تقدمه. وهناك مسائل يلتزم فيها بعضها على تسبيلها وهذا:

(٢٠) انظر لرحمة بيانه في معجم الأسماء المرفوعة ج ٢٢ ص ١٩

الطائفة، والاكلمات، وإذا كان قداسة قد يعنى الأخير بشئ واحد من شئى، والاكلمات عند ابن المعتز.

وإذا كان الالكاد قد التقيا في نفس المعنى بديعية، مع اختلاف في تسمية بعضها، وانفق في تسمية البعض الآخر، فإن قداسة يكون في الوضع قد اعتدى إلى لغة أرواح جديدة من أرواح الديع، هي: التوزيع، والفقر، وصيغة التفسير، وصيغة التسلات، وصيغة التعبير، والإكثار، والإزالة، والتعليل، والإيضاح.

وبعد فقد سمي قداسة كلمة عند الشعراء فهل يستطيع حذاً أن نعبره هو وكتاب، والتوزيع لاسي الغز من كتب اللغة<sup>9</sup>.

وابتداء على السؤال يقول: هو المراد من التسمية فإن الكتابين جميعاً من اللغة الذي هو من عرق الأساليب، وكثير إلى أن يكون كلاماً كتاباً علمياً يرمي إلى إيضاح معاني، واسياد أرواح من الديع، ووضع نظمها، وكل ما يمكن قوله، بها يدرك القاصد بعض من المعاني التي تعينه في عملية نقد العمل الأدبي، واتخاذ الحكم عليه.

### أبو هلال العسكري:

لم يظهر في القرن الرابع مع قداسة وعاش معه أكثر من نصف قرن عالم آخر، هو أبو هلال العسكري، الذي حاول في واحد من أهم مؤلفاته، وأسمى به كتاب، «الغصن» الكلمة والشعر أن يحقق هدفين. أحدهما أن يتم في توسع ما بدأه قداسة من بحث صياغة الشعر ونقد، صالماً في ذلك - كما يقول - ملتبس محتاج الكلام من الشعر والكتاب لا ملتبس الشكلين والمثلية كما فعل قداسة.

أما تلى الحديث، فهو ألا يفتد «البحث الأبي عند حد الشعر» وإنما

بعضه . غير مسبوق في هذا الباب . إلى بحث طباعة الكفاية أو الفتر  
بصفة عامة، فليس الأديب شعراً محسباً، وإنما هو شعر دولر معاً.

وأبو حلال هذا هو الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، نسبة  
إلى مدينة وعسكر منكوبة من نحر الأمازيغ بين البصرة وبارس. وكان من  
أبنائها علماء أعلام عظموا الثقافة العربية وألحقوا إليها ما لديهم من  
معرفة.

ومن هؤلاء العلماء أبو أحمد العسكري<sup>(١)</sup> المحدث (٢٩٢ -  
٣٨٢ هـ) وأبو حلال العسكري الأديب، صاحب كتاب «الغمامة»  
والأول حال الثاني والسفاه.

وقد جلب الأديب والشعر على أبي حلال العسكري إنتاجاً وثقافة،  
وكانه المشورة بين الناس عظام على التفكير من علوم العربية أو علوم الأديب  
الثمينة، وأعطى بها اللغة، [ع الشعر،] والكسوف، والعروض، والقوافي،  
وحصة الشعر، وأخبار العرب، وأسابيعهم.

وهذه العلوم عند الأقدمين لم تكن تعني والأديب وإنما تعني كلها  
لازمة الثقافة الأديب، ولطاعة الأديب إليها في تكميله مدونها من الأديب...  
ولا ريب في أنه يقدر جهل الأديب بأي من هذه العلوم يكون  
بعضه في الأموات التي تزعمه يمكن لممارسة الأديب في أية صورة من  
صوره.

وملاحظات أبي حلال العسكري لا تدل على تبحره في علوم العربية،  
فحسب، وإنما تدل أيضاً على غزارة إنتاجه وتنوعه، فقد خلف أبا حلال

(١) نظر ترجمة أبي أحمد وأبي حلال في معجم الأديب لبارت، ج ٤، ص ٩٢٣ - ٩٢٧.

كتاباً صالح فيها، كما يلقم من أسمائها، موضوعات شتى في اللغة والأدب  
والتفاحة والتفاح والتفسير، ولكنها لم تنس من روح لغتها وثقافتها العصر الذي  
عاشته فيه.

على أن ما انتهى إليه من إنتاج لم يرد حتى الآن على ثلاثة كتب  
هي: «الأدب الصائغ» - «الكتابة والشعر» - «كتاب هجوت الطعنة من  
حزلي» وكتاب «عوي اسمه والمعجم في طبقة الأتقياء» أما بقية كتبه فلا  
يزال الوجود منها بخطوط في مكتبات العلم، تنظر من ياور عن تلخيصها  
ونشرها.

أبو هلال العسكري بعد كان في عصره زماناً في العلم والأدب،  
إنشأ وهي كثيراً من معارف منطبقة وأصناف إليها، وأكثر ما يلقى جده  
بعده والتي كانت أعمال كثيرة تنطبقت عليه في حياته، وقد أسبغ أكثر  
وأكثر طلعت على توالي العصور على الأيام تارة من حده على فكرة الفلسفة  
التي تميزت بالأصالة.

ولكن أهل من المحبة الأولى هذا أن ذلك لم يكن شيئاً في حياته  
الخاصة نظراً ما كان شيئاً في حياته العلمية فهو عن ما كان له من قدم  
واسعة في العلم وولاء له، واشتغال دائم به، قد قصص حياته معصوماً  
حامل الذكر شيئاً عليه في ظروف، يتلوه من اجتراف الترافة ورجح  
الثبات في الأسلوب.

معارفة صعبة وقد بين ما كان عليه من قوى علمي وفكر صافي، وقد  
دفعه تافهس الأحوال هذا إلى المسحط المسحط حتى حده، وعلى هذا  
التي أكتف فيها مؤرخين العلم من الناس ومن ثم لا يجد أمله ما يفرغ  
إليه غير الشعر يست إلى ذات حده، ويخصي إليه هجوت، ويصر عليه عن  
صعده، فيقول:

إذا كان مالي من يلفظ المعجم<sup>(٦)</sup> وحالي فيكم حال من حاله أو صميم  
 فإن تضاعف بالأصالة والحقى وما رجعت كمي من العلم والحكم؟  
 ومن ذا الذي في الناس يضر حاله ولا يضر القرمطين والغير والقلم؟  
 ويقول من قصيدة أخرى:

جلوسي في سوق أبيع والشري دليل على أن الأسماء ضرورية  
 ولا خير في قوم يملك كرامهم ويعظم فيهم تسلفهم وسوءه  
 ويحسروهم على رثالة كسوي عجزه قبيحاً ما عليه سريره  
 من أن حيلة أي حلال لا تعينا فيما نحن بسيرة هنا من تتبع تاريخ علم  
 الدين، وإنما هي ليلة نربأ في هذه الدنيا خطوط بعض من يولون العلم  
 ويشتغرون له، ولا يسبحون لأنفسهم أن يتأخروا فيه، أو يذليصوا عليه  
 كأي شئ!

والكفر ما يعبأ هنا ونحن نتبع تاريخ علم الدين والعلوم هو  
 كتاب الصنائع - التكملة لوشمسه لأبي هلال العسكري، والذي جمعه  
 عشرة أبواب متصلة على ثلاثة وخمسين فصلاً في 499 صفحة.

وعلى ما من كتاب الصنائع لا تعصب عليه كذا، وإنما هي تعصب  
 على طاب التصفح<sup>(٧)</sup> منه، وهو الباب الذي علقه والشرح اليمع والإقامة  
 من وجهه وحضر أبوابه وهو<sup>(٨)</sup>. وهذا الباب يشتمل على خمسة وثلاثين  
 فصلاً، تشغل من حيز الكتاب نحو روجه.

وقبل الشروع في الكلام عن ما أورده أبو هلال العسكري في الباب

(٦) المعجم بالضم، القوم على الشر والويل، يريد أي حاله يشبه حال من يلفظ القوم  
 لقيوت. والفرس من القوية عد ياء القدر، أي الكفاية على مقدار حاله.

(٧) انظر كتاب الصنائع من ١٩٩ - ٢٢٠.

التابع من كتاب الصانعين الذي عقد لشرح البديع والإناسة عن  
وعرفه، وحصر أنواعه وفروعه، وذكر مستحقاً على ما سبق شرحه أن أنواع  
البديع التي كانت معروفة في عصره وبسطه إليها غيره قد بلغت مائة  
وعشرين نوعاً.

والفصل في اختراع ما عرف من أنواع البديع إلى حصر أي حلال  
يرجع إلى عبد الله بن المعتز وقدمه بن جعفر. وأما ابن المعتز مؤسس علم  
البديع فقد اعتدى إلى ثمانية عشر نوعاً من البديع، وأما مقدمه فقد اعتدى  
إلى تسعة أنواع فقط، وبذلك يكون الثاني قد اعتد بها إلى سبعة  
وعشرين نوعاً من أنواع البديع، وهذا كل ما ورد إلى حلتها بما كان معروفاً  
من فنون علم البديع إلى عصر أي حلال العسكري الذي بلغ بها إلى  
سبعة وثلاثين نوعاً.

وعرصة الذهب البديع من كتاب الصانعين تطورها على أن لها حلال  
قد أورد فيه من أنواع البديع خمسة وثلاثين نوعاً.

عقد لكل نوع منها فصلاً خاصاً، كما أورد في الذهب العاشر من  
كتابه نوعين آخرين هما حسن الاستعدادات، والاشتقاق.

وبالنظر في أنواع البديع عند أي حلال ومقارنتها بما جاء به كل من  
ابن المعتز وقدمه من أنواع البديع تبين الملاحظات التالية:

١ - جازى أبو حلال ابن المعتز في اعتبار الاستعدادات، والكليات، من  
أنواع البديع، مع أنها في الواقع من فنون علم البيان.

٢ - كذلك جازى ابن المعتز وقدمه معاً في اعتبار الاعتراض، نوعاً  
بديعاً، كما اعتبر هو نفسه الاستعدادات نوعاً بديعياً آخر، مع أن

«الاعتراضية» والتبديل، أسلوبان من أساليب الخطاب الذي هو أحد أبواب علم المنطق.

٢ - يجري بين العكس والعدالة في أربعة أنواع بدعية الخطأ فيها وهي :  
الطباق، التباين، رد الأجناس على المصنوع، الاستثناءات.

٣ - أتمد ما يعود به من العكس ستة أنواع هي : الحاسر، الرجوع، التماثل المتعارف، التعقيب الكلامي، حسن الاستدلالات، تأكيد النقيض لما يشبهه التام، والذي سنده هو الاستثناء.

٤ - كذلك أتمد ما يعود به ثمانية أصناف أنواع هي : صحة المقابلة، صحة التقسيم، صحة التفسير، الإشارة، الإزداف، التمثيل، العلوي، التوضيح، الإيجال.

٥ - اعتدى أبو حلال بقية إلى أربعة أنواع بدعية، وقد حدد هذه الأنواع التي اشتملها وعرضها في كتابه قوله : «وردت على ما أورده المتقدمون ستة أنواع **التصطير، والتجوير، والتطريق، والتضاد، والاستثناء، والتلفظ**»<sup>(١٦)</sup>.

٦ - وأخيراً أورده أبو حلال ثمانية أنواع بدعية لم يرد له ذكر عنده لم يعد عدداً في ابن المعتز، وهذه هي : التوضيح، والعكس والتبديل، والتكميل، والاستطراد، وحجم المؤلفات والمختلف، والسلب والإيجاب، والمختلف، والاشتقاق.

والاحتمال الوحيد بالنسبة لهذه الأنواع الثمانية أنها قد انتهت إلى علم أبي حلال عما أورده المتقدمون غير عدالة وابن المعتز. تقول ذلك لأنها

(١٦) كتاب الصائغ ص ٢١٨.

لم ترد ضمن ما اعتدى إليه كلاً من أنواع البديع وليس من الغائر أن تكون من اختراع أبي حلال نفسه، إذ لو كان الأمر كذلك لذكرها مع الأنواع الستة التي نحر في كتابه على أنها رواية من عنده على ما توردته القاصدون من أنواع البديع.

وتلخيصاً لكل ما سبق من أنواع البديع يذكر أن ما وصل إلينا مما اكتشف منها إلى عصر أبي حلال العسكري قد طبع واحداً وأربعين نوعاً، منها ثمانية عشر نوعاً من اختراع أبي الطاهر، وتسعة أنواع من اختراع قضاة، وستة أنواع زادها أبو حلال العسكري، وأخيراً ثمانية أنواع ذكرها أبو حلال، ولكنه قد علم عليها لدى بعض من سبقوه من علماء البيان بسببها قديمة وابن الصخر.

ابن رشيق القيرواني:

وبما ما انتقنا إلى القرن الخامس الهجري وإذا بلغنا الباب العربي اعلم بالشعر ولحمه اعتباراً كثيراً، وحظي شديح به نصيب محفوظ من البحث والدراسة.

ذلك الأديب العربي هو أبو علي الحسن بن رشيق الأزدي القيرواني المعروف بلقاء القيروان وشعراته، ولد ببلدة وابل بالمدينة سنة ٢٩٠ للهجرة، وأبو الطاهر دوسي من موالى الأزد، وكانت صفة أبيه في بلدة المدينة الضاربة، فعنه أكرم صيته، ولما ألبس بالمدينة، وقال الشعر، لم تلت نفسه إلى الاستمرار فيه وملاحقة أعلى الأدب فارتحل إلى مدينة القيروان سنة ٤٠٦ للهجرة، واشتهر بها، ووجد صاحبها العزيز يقيس الضيافة، ولم يزل جا إلى أبي حاتم العرب عليها وأكلوا وأشبعوا وعربوها، فانتقل إلى جزيرة صقلية وأقام فيها بقرية صارة إلى أن توفي سنة ٤٦٤، وابل سنة ٤٨٩ من الهجرة.



ولأن رشتي مصطلحات منها: رسالة فرائضة الذهب، وكتاب في شروط اللغة يذكر فيه كل كلمة جاءت شاذة في باباء، وهذه رسائل، ثم كتاب والمصنفه في محاسن الشعر وآدابه، أو في معرفة صناعة الشعر وتلقنه وغيره.

والكتاب الذي بعثنا هنا من كتبه هو كتاب والمصنفه لأنه تعرض فيه بالذكر والشرح لطائفة كبيرة من غرر البديع جملة التعرف عليها.

وبعثنا ابن رشتي في حقله الكتاب عن سبب تليفه وبمضمونه فيقول: «قد وجدت الشعر أكثر علوم العرب، وأول شرط الآداب...» ووجدت الناس مختلفين فيه مختلفين عن كثير من: يقدّمون ويؤخرون ويقولون ويكتفون، قد يترجم آراءاً صحيحة، ويخبروا كلفاً متعمداً، وكل واحد منهم قد غلب في جهة، والتمسك مذمماً هو فيه إمام نفسه، وشاهد دعواه، فجمعت أحسن ما كان في كل واحد منهم في كتابه، ليكون «المصنفه في محاسن الشعر وآدابه»، إن كانت لغة تعلل وعزلت في أكثره على قرينة نفسي، وبطبيعة الخطري، أخوف التكرار، ووجدت الاختصار: إلا ما تعلق بالخبر، وبطبيعة الرواية، فإنه لا سبيل إلى تعريض شيء من القصة ولا معانيها ليزول بالأمر على وجهه، فكل ما لم أسنده إلى رجل معروف باسمه، ولا أحلت فيه على كتاب بعيد، فهو من ذلك. وربما تحفته أحد العرب، وبعض أهل الآداب تسراً بينهم، ولو لمعاً بوجه، بعد أن قرئت كل شكل بشكله، ووجدت كل فرع إلى أصله، ونسبت لكتاشي، المتعدي وجهه القصور فيه... حتى أعرف باطله من حقه، وأميز كتابه من

صديقه<sup>(١)</sup>.

(١) منها: بفتح اللام: أي مشترك منها.

(٢) كتاب العمدة ج ١ من ١ - ٢.

والآن ماذا عن فنون البديع في كتب «الصفاء» لابن رشيد، فإن هذا الكتاب يتألف من جرمين يصفان شعر مائة باب حاول تصنيفه أن يجمع فيها كل ما وقف عليه بما كتب من صناعة الشعر ووصفه البيانية واليدوية، وحمل فيه، كما ينهم من الكلمة التي اكتسبها من عطية الكتاب، عمل جمع وترويب لا عمل بحث وجرس، وإن كانت له من حين لآخر التخللات والملاحظات الدقيقة ثم عن عدة أمثلة وعصره بالشعر.

وما يلاحظ على الكتاب أن المؤلف لم يرد أبداً منه لمباحث البيان، والعرض للمصنفات الشيعية، وفي ذلك ما يوحي بأنه قد بدأ يستقر في أبحاث الظاهر ورجال البلاغة أن البيان شيء والبديع شيء آخر. والكتاب على الرغم من كل شيء قد وحى لنا مائة صيغة من البلاغة والتشدّد على وسائل ابن رشيد ككلامه عن البديع سلب يعرف فيه كلاً من الشعر والبديع من الشعر (وعرف بهاها) ثم انتهى بذكر أول من قام بصنع البديع.

فالشعر عن الشعر عطاء هو: «ما لم يصدق إليه قائله، ولا عمل أحد من الشعراء قبله نظيره أو ما يقرّب منه». ويقرر أن أول الناس اختراعاً للشعر هو امرؤ القيس، وإن له في شعره استراحات كثيرة أورد الفلاح منها. ومن الشعراء المخرعين عدة أيضاً طريقة من العدد.

ثم يستظهر فيقول: «وما زلت الشعراء يخرج إلى عصرنا هذا وتولد، غير أن ذلك قليل في الوقت». ويضبط ذكر التوليد إلى العرصة فيقول: «التوليد: أن يستخرج الشاعر معنى من معنى شاعر قديم، أو يزيد فيه زينة، فذلك يسمى التوليد، وليس بهخراج لما فيه من الاكتفاء بغيره، ولا يقال له أيضاً «سرقة» إلا كان ليس أحداً على وجهه»<sup>(١٧)</sup>.

(١٧) كتاب الصفاء ج ١ ص ٢٢٩

والفرق عتده بين الاستخراج والإبداع . وإن كان معناها في العربية واحداً . أن الاستخراج: خلق شيء لم يكن إليها، والإبداع: بما لم يكن منها لفظ، وإن الإبداع: إتيان الشاعر بلفظ المستطرف، والذي لم يجر العادة بمثله، ثم لزمته هذه التسمية حتى قيل له بديع وإن تكرر والتكرر، فصار الاستخراج للمعنى، والإبداع لللفظ. فإذا تم للشاعر أن يأتي بمعنى يخرج في لفظ بديع فقد استولى من الأمد، وحاز لقب السبق. بعد ذلك يوضح كلمتي الاستخراج والإبداع ثم ينتقل بالكلام إلى علم البديع فيذكر أنه ضروب كثيرة وأنواع مختلفة، وأنه سوف يذكر منه ما وسعته القدرة، وساعدت فيه الفكرة.

وعتده أن ابن المعتز هو أول من جمع البديع، وألف فيه كتاباً، لم يمتد إلا خمسة أبواب: الاستعارة أليفاً، ثم التجنيس، ثم المحاكاة، ثم رد الإحصار على الصدور، ثم المذهب الكلامي.

وقد عد ما سوى هذه الخمسة أنواع عارسة، وأباح أن يسميها من شاء ذلك بديعاً، وعاقبه من يتكلم في إحياء بديع الشيء عليها حيناً وقعت من كتابه المصنف<sup>٢٧</sup>.

أما أنواع البديع التي أوردها ابن رشيق في كتابه والعمدة فتبلغ تسعة وعشرين، منها محضون نوعاً سبقت إليها من المعتز والدامي وأبو حلال العسكري، وهي: الاستعارة، الإحصار، التجنيس، التصدير أو رد الأصحار إلى مبدورها، المحاكاة، المقلقة، التقسيم، التوضيح، التسميم، التفسير، الاستطراد، الإكثافات، الاستثناء وهو تركيد البديع بما يشبه الكلام، التسميم، المبالغة، العطف، الإبدال، المذهب الكلامي، التضمين، التمثيل.

(٢٧) كتاب العمدة ج ١ ص: ٩٢٢ - ٩٢٦.

أما الأتباع الصاعدة الثانية والتي لم يرد لها ذكر عند رجال البيهقي  
 الساجدين فهي: التوراة، والفردي، والفرع، والاستعداد، والتكوير  
 والتي الشيء، وإليه، والإطرد، والاشتركة، والتغايير.

وليس لنا بالنسبة لهذه الأتباع الصاعدة الجديدة إلا أحد احتمالين:  
 أحدهما أنه أصلها من بعض المتفلسف في البيهقي غير ابن المعز وقدادة  
 وأبي حلال العسكري، وإليه أنه هو نفسه قد زادها على ما أورثه  
 المتقدمون، وإن لم يكن قد نُسب على ذلك كما فعل أبو حلال مثلاً.

ويتميز دراسة من وثيق لنا ذكره من عهد البيهقي بأنها أكثر  
 تحصيلاً، وإن كان قد سار فيها على منهاج كتبه يحتاج إلى حلال فهو أولاً  
 يعرف الفن البيهقي ثم يتفحص بالأمثلة والتشواهد من منطق الكلام  
 ومنه، وقبلها عرض للشاهد بالتوضيح اعتماداً على مقالة الفارسي.

وفي المصطلحات، لاحظ أنه يذكر مصطلحاً بهي نص بهي،  
 فيه يذكر اسمه الآخر عند حلقه أو فاك بين منطق، إلى البيهقي، في كلامه  
 عن الاستعداد يقول: «إن المعز يسميه توكيد للفرع بما يشبه الدم، وفي  
 كلامه عن الظائفة يقول: «وسمي قدادة هذا الفرع - الذي هو الظائفة  
 عندنا - التكميل - ولم يسمه التكميل أحد غيره وغير المحقق من جميع  
 من علمته، وفي «الافتات» يقول: وهو الافتراض عند قوم، ويسمونه  
 أعززون الاستعداد، حكمة قدادة - وهكذا. وقد جرى مع صاحبه في  
 اختيار الاستعداد من فخر مع أبي من أصول علم أبيه.

محمد القاهر المرحلي:

وفي القرن الخامس الهجري ساقى أبي بكر عبد القاهر من عند  
 الزهري المرحلي، الإمام السجزي وأحد علماء الكلام على مذهب

الأشاعرة. وقد وافق بمرحان ولم يقاتلها حتى توفي سنة 1771 من الهجرة.

وله مؤلفات قيمة في النحو والصرف وأخبار القرآن، والتفسير، والبلغة، ولكنه الأشهر أكثر ما اشتهر بكتابه «دلائل الإجماع» الذي وضع فيه نظرية علم الفقه، وكانه أسرار البلاغة الذي وضع فيه نظرية علم البيان.

وهو لهذا يعد بحق مؤسس لبلاغة العربية، والمشهد لأركانها، والموضح لمشكلاتها، والذي على يده صار المؤلفون من بعده، ولكوا البيان الذي وضع أسسه.

والمتصفح لكتابه السابق «الدلائل» والأسرار يرى أنه لم يخلو فيها وضع نظرية في علم النسخ، كما فعل بالنسبة لعلمي الفقه والشعر، ولو أنه فعل لأعطى الجملة الفصحى (أو توزع مساحتهم فيه توزيعاً حال) بها وبين أن نصير علماً وأصبح العلم والباحث كالمعلم واليد.

ومع ذلك فقد تكلم في «أسرار البلاغة» عن النور من البديع هي: الجانس، والسجع، وحسن التعليل، مع الإشارة أحياناً إلى الطباق والبالغة.

وحديثه عن هذه المحسنات ليس لأغراض بدوية بظنار ما هو لأغراض بيانية. وتقتضي ذلك أنه في أسرار البلاغة يخلو للكشف عن المعنى الإجماعي التي تشتمل عليها الأساليب الفنية من تشبيه وتشكيل وجزأ واستعارة، ولهذا أهل في مقصده «الأسرار» النظرية التي توصل إليها في دلائل الإجماعه والتي تلي أن يكون للألفاظ من حيث هي ألفاظ مزينة غاية في الكلام، فالتشكيل مذهباً لتركيب بصورة نظمها وإليها، ولكن يقيم على ذلك الدليل الذي لا يدعنى عزم للمحسن والسجع من فنون

البدع، ورجع إليّ أن الحاصل فيها لا يرجع إلى حال الألفاظ من حيث هي، وإنما يرجع إلى ترتيب المعاني في البدع ترتيباً يؤثر في النفس، ويضرب مثلاً من أمثلة الجاني وهو قول أبي الفتح البستي:

سأطرد غيباً جي ساطرة أو دعائي أنت بما أو دعائي

ويعلق عليه بقوله: وقد أعيد - الشاعر - عليك اللفظ، كأنه يفتدك من العائدة وقد أعيداً، ويؤكد كأنه لم يزدك، وقد أحسن الزيادة بوقافها، فهذه السورة صار التحسين، وخصوصاً السورة من اللحن في الصورة، من حل الشعر، ومذكورة في أقسام الجميع<sup>(١)</sup>.

فصل الجاني عنه في مثل بيت أبي فتح البستي يرجع إلى الجانيك، وأن الكلمة ترى كأن لا تعطيت شيئاً حقيقاً وهي في الحقيقة لمعني كثيراً، ولذلك يؤثر الجاني في تمام ما فيه من حجاج وحجاء لا يست أن يكتشف، ومن ثم عداوين حل الشعر، وذكر في أقسام البدع، وكان هذا يرجع إلى المعنى النفسي لا إلى اللفظ، ويضرب مثلاً للجاني الشافعي قول أبي تمام:

يبدون من أيد عوامي عوام - أصول بالسياح قوم قوام

ويعلق عليه الشاعر بأن تأثير الجاني يبعث من المعنى النفسي أيضاً، فإن السامع يفرح قبل أن يرد عليه الحرف الأخير في كلبي «عوام» ويتوحيب أن الكلمتين السالفتين هما مستوحيان تلبية، ومن هنا يأتي التاكيد، يقول: «لعمري إنك الكلمة مؤلفة حتى إذا فكرت في نفسك لأمها، يروحي سمك آخرها، انصرفت عن تلك الأولاد، ورائت عن التي سقى من التخلي، وفي ثالث ما ذكرت لك من طلوع الفاتحة بعد أن

(١) أصول الفلاسفة ص ١١٠ - ١١١.

يطلقك الناس منها، ويحصلون الفرج بعد أن تعاطف فيه حتى ترى أنه رأس  
الشارب<sup>(٢١)</sup>.

وعن السجع يورد عبد القاهر أمثلة للحسن منه قول القائل: اللهم  
هب لي حياءً وحباً في جهاد، فلا يجد إلا طعناً، ولا طعناً إلا بهاء.  
ومثل قول الفضل بن عيسى الرقاشي: سقى الأرض، فقل: من شقى  
أهلك، وعرض أهلك، وحبى لمارك، فإن لم أهلك حواء، أهلكك  
أعيراء. ثم يذكر أنه ليس هنا لفظ استطب من أجل السجع، وإنما أنه ما  
هو استق بالعلم منه.

وعلى ذلك فإن السجع عند لا يكتب صفة القبول أو  
الحسن حتى يكون المعنى هو الذي عليه واستدعاء وساق نحوه، بحيث لا  
يبنى به بدلاً، ولا يجد منه سواً، أي أن المعنى هو الذي يقود للكلام  
بحسب الجانس والسجع، لا أن يكون هو كالمعنى إليها.

وفي معرض البحث في الشركات الشعرية تكلم عبد القاهر عن  
التعطيلات الحيلية التي يسمونها الشعراء في كلامهم والتي أحفل عليها  
الملاحيون اسم تحسين التعليل، لقول القائل:

لو لم تكن بة الخواء حدث لما رأيت عليها عقد متعل

وإجمال القول هنا أن عبد القاهر الذي وضع نظريتي علم المعاني  
وعلم البيان لم يتوسع في التوسع الواسع في المعاني والبيان، وإن حدثت في  
أشهر البلاغة عن الحسن والسجع وحسن التعليل والتعطيل لم يكن  
مقصوداً لذلك، وإنما جاء كلامه هنا في معرض الاستدلال على نظريته  
التي قلنا أن الألفاظ ليست لها حرية ذاتية في الكلام من حيث هي الباطن،

(٢١) عن الفرج ص: ٢٢.

والأثرية التي عانت من قبل التركيب وصورة تعطيها وتأثيرها. ذلك لأن  
الاعتناء لا يتخذ حتى تولد فكرة خاصة من التأليف، ويعد بها إلى وجه  
عنوان وجه من التركيب والتأليف.

الفرع الثاني:

وهو الفرع الثاني في الفروع السبعة الفرعي بأحد علماء الاعتناء  
الذكر والمعنى به جابر الله محمود بن عمر الفرع الثاني الفروع ستة 238 من  
الفروع.

والفرع الثاني مؤلفات قيمة في النحو واللغة والأدب، ولكن أهم  
كتاب المشهور به عند عصره هو كتاب «الكشاف» الذي قدم فيه صورة  
واقعة لتفسير القرآن، وأثناء به حتى أهل السنة على الرغم من ترجمة  
صاحبه الاعتناء.

وتفسر «الكشاف» هو في الواقع غير تطبيق على كل ما يتعلق إليه  
عبد القاهر الجرجاني من قواعد لغوية وأدبية، فقد أخذ الفرع الثاني من  
قبي الذكر التفكيك أمثلة والقواعد يوضح بها كل ما استوعبه من قواعد عبد  
القاهر البلاغية، سواء ما اتصل به من علم المعاني أو علم البيان.

وبما كان عبد القاهر هو مؤسس علم المعاني وعلم البيان، وهو من  
استنبط من جريته كل علم الكثير من قواعد، فإن الفرع الثاني هو من  
أكمل هذه القواعد بالإضافات الحديثة التي وثق إليها وجمعت مفرقة في  
تأليفه لتفسير «الكشاف».

وهكذا استطاع الرجال أن يثبتوا ويكملوا قواعد علم المعاني وعلم  
البيان، ولم يتركوا لها بعدهما إلا فضل استقصاء هذه القواعد عندنا  
ونظمها في كتاب يجمع مظهرها ويضم مظهرها.



وبما أجهز الإشارة إليه جاء ونحن نتبع تطور علم البديع، أن  
 المتكلمين منذ القرن الخامس من الهجري إلى عبد الطاهر بن عوا بإصدار  
 القرآن قد تبعوا البديع عن مباحث أسرار البلاغة في القرآن الكريم، لأن  
 في وأهم لا يدخل في بحث الإحصاء القرآني، نظراً لأن كثيراً من فوائده  
 مستحدثات، وما ورد منه في القرآن إما جاء دون قصد وتكلف

على هذا الأساس رأينا فيها سبق كيف أن عبد الطاهر وهو يعني  
 نفسه بالكشف عن نظريتي علم المعاني وعلم البيان في كتابه «الآفاق  
 الإحصائية» لم يكن أو يهتم بالبديع ومواده.

حقاً لقد عرض في أسرار البلاغة القصص والنسج وحسن  
 التعليل والتعليل، ولكن حديثه عنها قد جاء في معرض الاستدلال بها على  
 نظريته في نظم الكلام.

وهي حرار عبد الطاهر نزي الزهرشري لا يعني في تفسيره «الكشف»  
 بما جاء في آيات القرآن من بديع إلا عرضاً، لأنه لم يكن يعد البديع علماً  
 مستقلاً من علوم البلاغة، وإنما يفتنه قليلاً كما:

ولقد كانت نظريته هذه إلى البديع سبباً في أن لا يفتنه طويلاً أمام ما  
 ورد في القرآن من فنون بديعية. ومن ثم دائرهشري في ميدان البلاغة  
 ويصل بيان لا بديع

ومع ذلك فقد استعداده تفسيره المبني في «الكشف» أن يقدم إشارة  
 خفيفة إلى ما ورد في بعض آي الذكر الحكيم من فنون البديع من مثل:-  
 التعليل، والمشاكلة، واللف والشر، والألفاظ، والتأكيد للفتح بما يشبه  
 القلم، ومراعاة النظير والتناسب، والتقسيم، والاستطراد، والتشديد.

تلك كانت مساهمة الزهرشري في علم البديع، وهي مساهمة لم يكن

القصد منها خدمة مباحث هذا العلم بقدر ما كان القصد منها بيان أثرها في بِلَاغَةِ الْفَرَّانِ وَاصْحَارِهِ.

• • •

ونعطي في القرن السادس أيضاً مائة من رجال الدين هما:  
الوطواط، وأبو بن مقلد.

أما الوطواط فهو رشيد الدين العمري الخوافي سنة ٥٧٣ للهجرة، وقد ألف في بِلَاغَةِ الْفَارِسِيَّةِ كتاباً سماه «مفتاح السحر في مسائل الشعر»<sup>(١)</sup> والكتاب عبارة عن ثمانية لفظين موزن اليمين العربي على الألف العربي. وقد استعان الوطواط عن توضيح هذه الفنون بأشعة وشواهد من الشعر والنثر في اللغتين العربي والفارسي. وكذلك شواهد من النثر والعربية.



أبو بن مقلد.

أما رجل الدين الثاني فهو أبو القاسم أحمدة بن مرشد بن مقلد الخوافي سنة ٥٨٤ من الهجرة. وهو مقلد كانوا أصحاب حصن أو قلعة قريبة من حماد تدعى «شيز»، وظلوا يقيمون هذه القلعة تحتين لياكلها حتى أصبحوا الزلزالي في منتصف القرن السادس وألحق عليها عدداً ونحروها، ثم استولى عليها تور الدين محمود بن بكري وأعاد بناءها وتحكم في بني مقلد بتدبيرها وأغرقوا في مناجر مختلفة.

وأما من الكثر بني مقلد وعلمهم وشجاعتهم، وله تصانيف عديدة في فنون الآداب، منها: كتب الفصاح، وكتاب الشيب والشباب،

---

(١) ترجمته إلى العربية الدكتور إبراهيم الشوازي.

وكتاب ذيل بيضة الشعر للشمس، وكتاب تلويح أمانه، وكتاب في أسرار  
أهله، وكتاب البديع في نقد الشعر.

وفي بيضا منظر جماعة من الشعراء كان أسامة الشعرهم والنهرهم،  
ومن شعره:

قالوا بيده الأبرصون عن العيا      وأحو الشيب يهوى أمت يهتدي  
كم جاز لي ليل الشيب قدالة      صبح الشيب على الطريق الأكفد  
وإذا عدت سيّتم قصتها      زمن القوم فلك ساحة مراني  
ومن شعره في الشيلوعة:

لا حسدٌ على البقاء معشراً      فالحوت ليسر ما يسوق إليه  
وإذا دعوت بطون غير الأبرص      فاعلم بأنك قد دعوت عليها<sup>(١)</sup>  
وقد ذكرنا من معانيه أسامة<sup>(٢)</sup> من نقد وكتاب البديع في نقد  
الشعر<sup>(٣)</sup> وهو يشمل على أسامة والشعر بأنا ذكر فيه كثيراً من  
المصنفات البديعية.



وفي القرن السابع الهجري لفظي بسبعة علماء أقرى كل واحد منهم  
البديع وهو له كتاب عدالة خاصة. وأما في بيضا عن كل واحد من  
هؤلاء العلماء على حسب ظهورهم في عصرهم:

١ - الرزاي:

هو فخر الدين محمد بن عمر الرزاي المتوفى سنة ٩٠٦ للهجرة، له

(١) انظر ترجمة أسامة من نقد في معجم علماء لبنان ج. ٢ ص ١٤٤

(٢) حقق هذا الكتاب الدكتور أحمد عبد الحوي وحيد عبد الجيد.

مصنفات كثيرة في تفسير القرآن الكريم، والفقه، وعلم الكلام، والطب، والكيمياء، وكان يجيد العربية، ويحل إلى مذهب الأشاعرة.

وهو ممتاز في تأليفه بدقة التفكير وقوة التقاط والفطنة على الشعب المسائل وحصر أسئلتها حصراً بحيث يبا إسالة تمام. ويعد الطريقة إليه في التأليف إلى البلاغة ما يجاريها مدار الإعجاز في القرآن، فألف فيها كتابه بداية الإعجاز في دراسة الإعجاز.

فالكاتب كما يلهم من عوائده ينهض نحو الاختصار والإجمال، وقد أعلن في مقدمته أنه يهدف من وراء تأليفه إلى تنظيم ما سلفه عبد التاخر في كتابه وملائق الإعجاز، وأسرار البلاغة، وذلك لما لاحظته فيها من إجمال وعلمية لرئيس الأصول والأنوار، ومن الإعجاب في الكلام.

ومن هذا فالكاتب محاولة من جانب الرازي لخصه ما نظم وأبهره كل ما كتبه عبد القاهر في أصوله تنصت فيها القواعد البلاغية وتختصر فيها فروعه وأقسامها بخصراً تاماً.

وبالإضافة إلى ذلك سره الرازي في كتابه إضافة من مؤلف السمع، وهذه قد استمدتها من كتاب وحداني السحر في دقائق الشعر، للوطواط الذي سبقت الإشارة إليه. والرازي يقل عنه الأشعة العربية مع القنون البديعية التي كتبتها، وكثرت مصطلحاتها الخاصة.

وما يظه من التوطواط ليس الخط نحو قوله تعالى: ﴿وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا﴾، كما نقل عنه ما سيده والمصطلح، وهو كلمات إن تغير لفظها كانت قدماً ومجداً بعد أن كانت مدحاً وشكاً. كذلك عرّض ما سيده ابن المنار باسم الألفاظ، وهو لزوم ما لا يلزم في نوال الشعر وطوره في السمع.

وصور ما يحدث من حسن بسبب التلاف كلمتين، ويقتض ذلك أربعة قصور، تحدث في أولها عن التحسين مرفوعاً أقسامه، وقد نقلها عن الطوطاط، ونقل عنه في الفصل الذي حدث عن الانقضا وقد فصله عن الجاني مع أنه غريب عنه مثل: «قام وجهك لثمن القبة»، ونصر الفصل الثالث على هذه العبر على قصصه واحتل في وفي قصصه صنع الطوطاط، حتى في غريب الألف. أب الفصل الرابع فخص به ما سماه الطوطاط، «المقلوب»، وهو ما يقرأ طرداً وعكساً، مثل:

لسهل السهل عليه صيف كسل ما لعلك إن غنى فيه  
فهذا البيت كل كلمة منه بانصافها إلى أمتها لياتها في القلب.

ومثل: ليس أقسامه هلاله أن ينقصه يكسوكسه  
فك كل كلمة من هذا البيت، ما جاء (أقسامه ويطى) نقرأ مستوية ومقلوبة. ونقل الرزقي إلى ما يحدث من حسن بسبب التلاف الكلمات، ورؤ إلى هذا الجانب السجع، يجعل مع ما سماه الطوطاط بالترج، وهو غريب من التفتيد في السجع، إذ يجمع «عمل كل سبعة بين كلمتين متشابهتي الوزن والروي مثل ومن جد وكند في البداية عز وز في النهاية».

وإلى هذا الجانب رة أيضاً ما سماه الطوطاط باسم الترميع، وهو عنه أن تتلجل السجستان أو يتقابل شطرا البيت تقلباً تاماً بحيث يكون لكل كلمة في سبعة أو شطر ثمرتها السبعة معها في الوزن والروي بالسبعة الثانية أو الشطر الذي متى قوله نعل: «إذ إن إيتا إيتهم لم إن علينا حسابهم»، وعلى قول ابن القيم:

فحريق حمرة سيفه للمعشدي ورجل حمرة سيفه للمعشدي  
فهذا البيت وقع الترميع في جميع الألفاظ، فإن الغلبة فيه حاصلة

بين حريق ورجل، وبين امرأة وأخرى، وبين سبعة وسبعة، وبين المعتدي والمعتدى.

وفي القسم الذي عقد في كتابه للنظم نراه في التوصل الثالث منه بين أقسام النظم، ويستعمل حديثه من ذلك يقول عبد القاهر: وإن الكلام إن لم يتعلق بمفهوم بعض لم ينتج إلى فكر وروية كاستهلاكات الجاحظ في كتابه، ومثل هذا الكلام لا يظهر فيه قوة الطبع وجودة القرينة، إما يظهر ذلك في الكلام الذي يتعلق فيه الجمل بعضها ببعض، وتكتم التبعاً شديداً وعند الزاوي أن ذلك يجري على وجهين شئ، أحدهما ثلاثة وعشرين وجهاً استند بعضها في أمثلتها من كتاب الروطاط وحذاق السحر في دقائق الشعر.

ومن هذه الوجوه الظائفة والفاضلة والمروعة بين معاني في الشرط والجزاء معاً كقول البحراني ( )

إنا ما من الساعي طليح في الخوى أصبححت إلى طولني طليح يا الفجر<sup>(١)</sup>  
كذلك يذكر من هذه الوجوه البيانية الأعراف، والاشتراك، والاكتمال، والتلميح. فلا تفرص هو عبارة عن حيلة تعترض بين الكلامين وتفيد زيادة في معنى غرض التكتم، ومن معجزه في القرآن ﴿فإن لم تفعلوا - وإن تفعلوا - فكثيرا النار التي ولودها الناس والمجنونة﴾.

والاشتراك، كما فسره قدسنا، هو أن يكون التكلم أحداً في معنى يعترضه إما شك فيه، أو ظن أن رداً يرد عليه أو سائلاً يسأل عن سببه

(١) نوح بن أبي القاسم وأما حاشيتها إلى أبي القاسم، فأنه في الشرط والجزاء نراه عليها بطرح شئ.

فلتقت إليه بعد قرائته منه، فإذ أن يجلي الشك، أو يؤكده، أو يذكر  
 سببه. وعرفه ابن القزويني بأنه تصرف للكلم من الاحياء إلى الدخالية،  
 كقوله تعالى: ﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ...﴾ إياك نعبد وإياك نستعين ﴿١٠﴾.

والاكتساب هو أن يضمن للكلم كلامه كلمة من قبل، أو آية من كتاب  
 الله خاصة، وهو من نوعين: خرج لا يخرج به القيس عن معناه، كقول  
 الطبري: «علم يكن إلا كالحج البحر أو هو أقرب حتى أشد بالقرب»  
 فإن الطبري كنى به عن لغة العرب، وكلمت هو في الآية التكرية.

ويخرج يخرج به القيس عن معناه كقول ابن اروي:

لئن انحطت في مدحك ما انحطت في مدحي  
 لقد انحطت صاحبك سواء خير لي ذبح.

فالشاعر كنى به عن الرجل الذي لا يخرج عنه وانزله به في الآية  
 أرض مكة.

والطبع هو أن يظهر للنظم هذا الخروج في بيت أو لربما سجع إلى  
 قصة معلومة، أو نكتة مشهورة، أو بيت شعر حفظه القارئ، أو إلى مثل  
 سائر يجرى في كلامه على جهة التشبيه وأحسن الطبع وأبلغه ما حصل  
 به زيادة في المعنى المقصود، وسماه قوم النحويين تقديم الهم، كأن النظم  
 كن في بيت شكمة زائفة ملاحاة، كقول ابن القزويني:

أشوى الجيرة السابقين نداهوا عند سير الجبهة وقت الزوال؟  
 علموا أنني مقدم وليس راضين فيهم أمام الجحش  
 مثل صاع<sup>(١٠)</sup> العزير في أرجل النوم ولا يعلمون ما في القرحان

(١٠) الصاع: مكافئ مقدار، فعليه الزوال على أي، وهذه أرجل، وكذا رجل على رأي آخر.

هذا التلميح فيه إشارة إلى قصة يوسف عليه السلام حين حمل  
الصاع في رحل أخيه، وأخوته لم يشعروا بذلك.

كذلك ذكر الرزاي غير ما مر من طوحه الجديدة: إرسال لقون،  
أي الجميع ربما في بيت شعر، والقف والشعر، والتصيد، والقزح، أو  
الطرح، وهو أن يذبح الشاعر مدحوداً بصفة جيدة ثم يقرن بها صفة من  
جسدها لغير معنى كتاباً، أو عبارة أخرى أن يحصل الكلام وصورته من  
اللفظ استعمالاً مطلقاً من غير تقييد بمدح أو غيره. وذلك كقول الشاعر في  
الحسن بن سهل عندما زوج ابنة موزان الخليفة.

يسرك الله في الحسنى والسوران في الحسن<sup>(٩)</sup>

يا إمام الحسنى طهرت ولكن بينت من<sup>١٠</sup>

وبل ملك من الزمان الطبع التي ذكرها الرزاي.

تفصيل المرفوع، والسؤال والجواب في بيت واحد، والإعراق في  
القصيدة أو المعلقة، واليقين، والظن، والتقسيم، مرفوعة ومختصة،  
ومستشهد هذا الوجه بأبيات النوطوط سابقاً في كلامه، ثم التصويب، وذكر  
فيه ما لفت به النوطوط من قول بعض الشعراء:

لما شعراً بقيء سلا منطفاً ربا سدرأ بطوح سلا محاق  
فأنت المرفوع ما معنى انطفاً؟ وأنت الطبع، ما سبب إعراقه؟

وأخيراً يذكر حسن النبطي مع حسن مثلث الذي لفت به النوطوط

وأخيراً ذكر الرزاي في مقدمة كتبه نهاية الإيجاز في رواية الإجماع  
أنه يخلو فيه اختصار كثرة عند الشاعر ودلائل الإجماع، وأسرار

(٩) الحسن: كل من كتب من قبل موزان الخلف والراجح، وغيره: له طرفة



البلاغة، وجمع ما تكرر فيها من التكرار البلاغي وتنظيمها وحصر فروعها وأقسامها.

ولكن في هدايت لم يقتصر على ذلك، وإنما أراد بالخص أيضاً بدرجات الوطواط وشر ما أخذه منها في ثانياً فصول كتابه على نحو الذي إلى نزع من الخلط بين مباحث علم النحج، ومباحث علمي المعاني والبديع.

وما هنا نافع نشأة النحج وتطوره في مصوره المختلفة، فإن تحليل عمل الرازي في كتابه وتقدمه والحكم عليه يخرج من دائرة ما نطيه منه، وما نطيه هو معرفة قدر المساهمة التي أسهم بها في خدمة علم البديع وتطوره، وهذه المساهمة، كما رأينا، ليس فيها جديد بحسب للرازي، وكل ما له أنه استخدم في كتابه بعض فروع البديع المعروفة، وكان مرجعه الأول فيها كتاب «مفتاح النحج» في «مفتاح الشعر» للوطواط.

## ٢. السكاكي:

هو سراج الدين أبو يعقوب يوسف بن محمد السكاكي الشافعي على الرابع من سنة ٦٢٦ من الهجرة. ويقال إنه بدأ يشتغل بالعلم ونهض إلى وهو في نحو الثلاثين من عمره، ولهذا أكد على علوم الفلسفة والمنطق والفقه وأصوله واللغة والبلاغة بدرسه حتى أتتها.

والسكاكي مصنفات كثيرة أهمها كتاب «مفتاح العلوم» الذي قسمه إلى ثلاثة أقسام أساسية: فصر القسم الأول منها على علم الصرف وما يحصل به من الانتقال ماواعده، كما جعل القسم الثاني منه لعلم النحو كما القسم الثالث فخصص به علم المعاني وعلم البيان، وملاحقتها من البلاغة والفصاحة، والمصنفات السبعة المنطقية والمعروفة.

ولا كانت علوم البلاغة تحتاج إلى علوم لفظي والعروض والطارفة  
لقد أقر لكل منها مبحثاً خاصاً وسمياً في كتابه. وبذلك اشتمل القشاج  
على علوم الصرف والنحو والمعنى والبيان واللفظي والعروض والطارفة  
والمصنعات الذهبية.

والشجرة السككاني ترجع في الواقع إلى القسم الثالث من كتاب  
القشاج، وهو القسم الخاص بعلم المعاني وعلم البيان، ويطلقها من  
البلاغة والفصاحة، والمصنعات الذهبية اللفظية والمعنوية.

ومصدر هذه الشهرة أنه أعطى لأصول العلوم التي أقر لها القسم  
الثالث من كتابه الصيغة النهائية التي عكفت عليها العلماء من بعده  
بتدريسها وشرحها مراراً

وقد كان ما انتهى إليه في ذلكم العهد الحساب ومهيد ذاتي. والحاصل  
ذلك أنه استطاع أن يخرج من تحليله على أبعاد رجال البلاغة المتقدمين  
عليه ملمحاً لما شروء في كتبهم من تراجم الجواهر إليها ما عن له شخصياً  
من التفكير، ثم صيغ ذلك كله صياغة محكمة استعان فيها بخبرته اللغوية  
في التحليل والتحديد والتقسيم والشرح والتشبيه.

والعل عبد القاهر الجرجاني والرافضري وغير الذين الرازي هم  
أكثر من أقام منهم السككاني في عمله هذا.

ولأن ملأنا من البديع عند السككاني ومهوده فيه؟ لقد ذكرنا آنفاً  
أنه ألحق البديع في القسم الثالث من كتابه القشاج بعلم المعاني والبيان.  
ومعنى ذلك أنه لم يكن ينظر إليه كعلم مستقل قائم بذاته، ولا لكان عليه  
أن يعامله معاملة علمي المعاني والبيان، وأن يحظره من التحليل ما أمطه  
له.

ومع ذلك فقلعه كان أول من نظر في المحركات البدئية وانسبها إلى  
محركات معتوية والعوى لفظية، وهذا أمر يحسب طبيعة الحال للسكالي  
لأن من بحثوا قبله في المحركات البدئية كانوا يوردونها مختلطاً بعضها  
ببعض، وقالوا بحلول أحدكم أن يعزل بين العوى واللفظي منها، كما فعل  
هم.

وشيء آخر أن السكالي لم يأت في كتابه المختار على كل المحركات  
البدئية التي كانت معروفة إلى عصره، وإنما اختصر منها على ستة وعشرين  
نوعاً، لأنها كانت في نظره أهم من غيرها، كذا في تحسين الكلام لفظاً  
ومعنى، كما أنه لم يزد على المحركات جديدة من عند.

والمحركات البدئية المعتوية التي ذكرها على غيرها ووقف عليها في  
كتاب تلخ عشرين نوعاً، هي: القطعة، والقلعة، ومراعاة النظر،  
والإيجاز، والمشاكلة، والإيجاز، والقلب، والشر، والجمع، والضم،  
والقسيم، والجمع مع التفرين، والجمع مع التضمين، والجمع مع التفرين  
والقسيم، وتلكه الدخ كالتضمين، والتوسيع، والاعتراض،  
والإحصاء، والاستبعاد الذي سماه مختصر لولاي الترتيب، وسوى للعلوم  
مساق غيره لئلا كالتوسيع، وتلخيص اللفظ ولا تكليبه كما يدعى في بعض  
صور الإيجاز والإعطاء.

أما المحركات البدئية اللفظية التي أوردتها فهي: الجنس، ورو  
الجمع على الصفر، والجمع، والقلب، والاستثناء، والتوسيع.

وأما هذه القوت البدئية مستندة بأصلها من المختصر لولاي، وقد  
عقب مد مردها بقوله: ويرد الأصحاب هذا أنواعاً حتى كونه الحروف  
منفردة أو غير منفردة، أو البعض منفردة والبعض غير منفردة بالسوة،  
فذلك أن المستخرج من هذا القليل ما شئت، والقلب من ذلك إما أحييته.

والعمل في هذا القول ما يبرز رأيه في سبب انقراض السككيات على ما سلكه من الخصائص الهندسية، ويشارها على غيرها، تلك لأن الأمر كله مرجعه إلى الذوق والقدرة على التمييز أو التفضل بين حسن يدعي وأخر من حيث الأثر الذي يحدث في الارتفاع بالقول لفظاً ومعنى.

٣ - ضياء الدين بن الأثير: ٥٨٨ - ٦٣٧ هـ

هو أبو الفتح عمر بن أبي الكرم محمد الشيباني المعروف بأبي الأثير الجزري نسبة إلى جزيرة وله فيها، تسمى جزيرة أبي عمر بالتوصل.

وتتبعه الدين بن الأثير هـ، هو شقيق محمد الدين بن الأثير، وعمر الدين بن الأثير. ولدت له ثلاثة هؤلاء أشهر كل عيم بن من القنوت، المسجد الذي القبول سنة ٦٠٦ للهجرة من رحاب الحديث المشهورين وله مؤلفات طيبة منها وتبعه في حريب الحديث والآراء، وعمر الدين القبول سنة ٦٣٠ للهجرة من كتاب التاريخ، وهو صاحب، والتكامل في التاريخ، وهو أشهر كتب التاريخ لمؤلفه بن كيد، ومن تولى القضاة الشريعة الإسلامية، بدأ في الحقيقة ونهى إلى آخر سنة ٦٢٨ هـ. والكتاب منه مرتب على تسير، وقد جمع فيه خلاصة الكتب التاريخية التي تقدمت، واقتبس فيه تاريخ الطبري كله تقريباً بعد حذف الأسانيد وفتح في ترتيبه، وحصله ١٢ جزءاً كبيراً. وأبو الدين بن الأثير أيضاً كتاب بأسد الغابة في معرفة الصحابة وهو معجم أجددي في ترتيب الصحابة، في حصة مجلدات كثيرة.

أما ضياء الدين بن الأثير الأخ الأصغر فهو لغوي محب، ومؤلفاته كلها في الأدب والبيان وصناعة الكلام، وأهم مؤلفاته كتاب والمثل السائر في أدب الكتاب والشاعره.

وكتاب والمثل السائر الذي هو موضوع بحثنا هنا مقسم إلى مقدمة

في علم البيان، وليلي مثلهين: الأول في الصناعة التنظيمية، والثانية في الصناعة المنهجية.

ويقول علماء البيان: "إن لكل السائر للنظم والنثر بمنزلة أصول الفقه لاستنباط أدلة الأحكام، فقد أتى فيه بما لم يسبق أحد إليه، وأعطى هذا هو سبب زعمه وإعجاب به بنفسه الباقى في ثلثية كتابه.

وقد ألف عز الدين بن أبي الحديد صاحب شرح نوح البلاغة والمتولى سنة ٦٥٥ للهجرة كتاباً سماه "الملك الدائر على أطلال السائرة" يختلف فيه إشارات الذين ين الأثير على غروره وبهجه على من يسيرون، ويصحيح بعض آرائه، ويغنى إحصاءاته على الزهري والقرطبي، وأبو علي القاسمي وابن سينا والغازي وغيرهم من تناولهم بالنقد والتعرج في كتابه.

والآن وبعد هذه الترجمة الموجزة لأبي الأثير لننظر إلى كتابه وأطلال السائرة على ما نعرفه على ما نورد فيه من أنواع البديع.

وأول ما قلناه بهذا الخصوص أنه لم ينظر إلى التحصينات البديعية كعلم قائم بذاته كما فعلت مدرسة عبد القاهر الجرجاني، والزهري والسكاكي ومن أتى بعدهم، وبالتالي لم يدرسها دراسة مفصلة عن البيان، وإذا نريد بتوسيع في مفهوم علم البيان بحيث يشمل مباحث علم القائل والبديع، عموماً في ذلك مدرسة الجاحظ التي تعتبر كلمة البيان مرادفة لكلمة البلاغة.

من أجل ذلك نراه في مقدمة<sup>(١)</sup> الأولى الخاصة بالصناعة التنظيمية

(١) كتاب أطلال السائر من : ٤٦ - ١٢٢

يتكلم عن المحسسات البدنية اللغوية، وفي صفاته الثانية الخاصة بالصناعة  
للمنوية يحرص للمحسسات البدنية للصورة

وحدد أن المحسسات البدنية اللغوية هي صناعة تأليف الألفاظ،  
ولمّا ساقى منها في صفاته الأولى ثمانية أنواع: عقد لكل نوع منها فصلاً  
مستقلاً، وعلمه الأنواع هي: السجع، والتصريح، والتجنيس،  
والترصيع، ولزوم ما لا يلزم، والتوزن، واختلاف صيغ الألفاظ، وتكرير  
المحروف.

وهو في دراسته لهذه الأنواع لم يفت عبثاً أحد أبعدها ويأتى لتمامها  
«وترصيعها» وإنما هو أيضاً بعد دراسته لما إلى بيان ما يختص فيها بالكلام  
المتكرر، وما يختص بالكلام المنظم، وما يحتم القسمين جميعاً.

فالسجع عندّه يختص بالكلام المتكرر، وعرفه بأنه توافر التوافر في  
الكلام المتكرر على حرف واحد، وهو يطيل القول فيه على أساس أنه قد  
أصبح سنة من سمات الترسيل، أي بمعنى توافر<sup>(٦٦)</sup> القول للشدة في  
الروي استماعاً، متعللاً من ذلك قلة على أن السجع أعلى درجات  
الكلام.

والترصيع يختص بالكلام المنظم، وهو أن تكون كل لفظة من  
ألفاظ الشطر الأول مساوية لكل لفظة من ألفاظ الشطر الثاني في الوزن  
والشاعية. وهذا لا يوجد في كلام الله تعالى لما هو عليه من زيادة التكلف،  
وإنما هو يوجد في الشعر كتقول بعضهم:

فكلام أوليتها متبرها وصرايم ألفيتها متبرها  
فكلام يزل جوايم، وأوليتها يزل ألفيتها، ومتبرها يزل متبرها،

(٦٦) يعني بالتوافر محروف الشاعية

وهو داخل عند في باب السجع لأنه في الكلام المنظم كالسجع في الكلام المنثور.

أما أنواع المعينات البديعة النعنية الأخرى، وهي: التخييل، والتصريح، ولزوم ما لا يلزم، والموازنة، واختلاف صيغ الألفاظ، والتكرير الحروف، كلها عند ابن الأثير نعم القسمين جميعاً.

وفي مقالنا<sup>١١</sup> الثانية الخاصة بالعضاية المعنوية تكلم ابن الأثير بإسهاب عن المعاني. وقد دعاه ذلك إلى الحديث عن بعض المعينات البديعة المعنوية، وعلمه المعينات هي: التبريد، والالتفات، والتفسير بعد الإيهام، والاستفراج، والاعتراض، والأحاديث أو الألفاظ، والتناسب بين المعاني، ويسمى أحياناً ثلاثة: طباق، وصحة القسم، وترتيب التفسير الذي أراد به ما يشمل الكف والشعر. وقد توسع في معنى الطباق فبجمله يشمل التقابلية، والمتشاكفة، والموازنة بين المعاني.

وتكلم عن الاقتصاد والتفريط والإفراط، وهو يعني بالاعتدال الحد الأوسط، وبالتفريط التخصير بالمعنى، وبالإفراط اليقظة، وأحدث عن الاشتقاق وحدة نوعاً من المعاني، كما تحدث عن القسمين، وقسمه قسمين: الاقتباس من القرآن الكريم وأصنفت الرسول، وهو يكسب الكلام حسناً وطلاقة، ونسم أسر يجري في الشعر كما يجري في النثر، إذ يمكن معنى البيت بما بعده، أو يمكن فصل من الكلام لشعر بما يشوه، وفي رأيه أن تلك مقبول ولا ينبغي أن يحجب عن نحو ما عليه بعض النقاد في الشعر.

وأخيراً يتكلم عن الإحصاء ويقول إن لها حلالاً سمى التوضيح،

<sup>١١</sup> كتاب نقل الشعر من ١٢٢ - ٢٦٠

وحقيقته أن يبي الشاعر البيت من شعره على غاية لوجدها له، أي أبعدها في نفسه، فإذا أشد حشر البيت حرف ما يأتي به في لفظه. ووجدته أن ذلك من حميد الصنعة، لأن غير الكلام ما دل بحقه على بعض.

أما التوضيح عند غيبه الصنعة أن يبي الشاعر البيت لنفسه على بحر من غلط، فإذا وقف من البيت على القافية الأولى أي القافية كان شعراً مستقياً من بحر وقافية، وإذا انقلب إلى ذلك ما بي عليه شعره من القافية الآخرين، كان أيضاً شعراً مستقياً من بحر آخر وقافية أخرى، وصار ما يضاف إلى القافية الأولى البيت كالوشاح.

ومن ذلك قول بعضهم:

اسلم ومنت على الخواص ملبساً وكنا نسير لو غضاب حراءاً<sup>(١)</sup>  
ونزل الرمد عكساً منه على<sup>(٢)</sup> وطم السعور ولم يطول بقائه  
لهذا البيت من بحر الكامل، ثم والقافية هي المعرقة، ولكن إذا  
حذفنا من البيت الأول: «لو غضاب حراء» ومن الثاني: «وتم بطول بقائه» ظل  
البيتان قائمين ولمحوا من بحر الكامل، ثم إلى بحر آخر هو مجزوء  
الكامل، وأصبحت صورتهما هكذا:

اسلم ومنت على الخواص ملبساً وكنا نسير  
ونزل الرمد عكساً منه على وطم السعور  
ويطلب غيبه الذين على هذا الترخ بأنه لا يستعمل إلا متكلفاً عند  
تعاظم التمكن من صناعة النظم، وأن حسنة متوط بها فيه من الصناعة لا  
يأ فيه من البراعة.

(١) نسير: الجول القريب من مكان. حراء: جبل فكان به غار، وكان الرمد، جبل أن يوحى إليه، بأنه وطم بطون أفضحت به، أي يبعد له.



وقد اختلف صاحب الفن السابق أحياناً إلى اختلاف البلاغيين في بعض مصطلحات الفنون البديعية والقافية. بل منهم من يضح لن واحد من البديع اسمين اصطفاً منه أن ذات النوح نوحان مختلفان، وليس الأمر كذلك بل هما نوح واحد، وذلك في فعل «الغالب» حيناً ذكر «البلوغ» والإتيان على أنها نوحان من البديع مختلفان، مع أنها من حيث التصور سواء، لا فرق بينهما بحال، كما ذكر أن أبا هلال العسكري قد سمي عدلين النوعين يعنيهما «الإبدال»، وهو أن يستوي الشاعر معنى الكلام قبل البشوع إلى مقطعه، أي قافيت، ثم يأن بالمقطع ليزيد فيه معنى آخر، كقول امرئ القيس:

كان عيون الوحش حول عصفاء وأرجلها البقرع الذي لم يلقه  
 فإن أي بالشيء تلقاً قبل القافية وهو وكان عيون الوحش حول  
 عصفاء وأرجلها الجزع فلما احتاج إلى القافية وجاء بها بلغ الأسد الأقصى  
 في القافية.

ولا يفوت ضياء الدين بعد ذلك أن يشير إلى واقع بعض الكتاب والشعراء بالمصنعات البديعية وتقسيم في اختراع صور منها عرجت بالكلام عن موضوع علم البيان.

ومن فعل ذلك الحريري في رسائل تصنيفها بعض مقاماته، ففي رسالة نراه يفتي على كلمة مهمة وكلمة معجزة، كقوله: «والكرم، ليت الله جيش سمورك، عزيز، والمزم، نفس الدهر عفن سمورك، يمين، والأزرق يمين، والمعور<sup>(١)</sup> يمين».

وفي رسالة ثانية يسيها على عبارات تقرأ طويلاً ويبدأ أي لا تستعمل

(١) المعور: أي من بدأ فيه بوجه قبل التصرف.

بالألف كاسي، كقولك: **هَلْ يَكُلُ مَرْسِي إِذَا كُنَّ يَحْلِكُ بِذَلِكَ.**

وقوله:

**أَسَلِي جَنَابَ غُلَامِي مَسْأَلَتِهِ إِنْ جِئْتَهُ**

وفي رسالة تكملة بينها على صورة فعلها المراء من لؤفة بوجه، ومن  
أعربها بوجه آخر، كقولك: **«إِلَاسَاتُ عَيْبَةِ الْإِحْسَانِ، وَكَسْبُ الشُّكْرِ**  
**اسْتِغْنَاءُ السَّعَادَةِ، وَلِصَّاحَةِ الْمَطْلِيِّ سَحَرُ الْأَكْبَابِ، وَزِيَةُ الرَّحْمَةِ مَطْلَةُ**  
**السُّعَدَاءِ، وَنَاسِي الْخَطُوفِ يَنْتَهِي، عَطُوفُ».**

وفي رسالة رابعة ينشأ على أساس حرف غير منقوط، وأخر منقوط  
كقولك:

**سَيِّدَ قَلْبٍ مَسْجُودٍ مَسْرُورٍ فَعَلَنَ مَقْرِبَ عَزِيزِهِ عِيْزِهِ**  
**خَلَقَ مَتَلَفَ أَمْرٍ غَيْرِ سَيِّدٍ نَبَاهَ فَاَصْلِي زَكِيٍّ تَقْوَمُ**

ويعلق غريب الدين بن الأثير على مثل هذه الخليل الدعية بقوله:  
**«كُلُّ هَذَا وَإِنْ تَضَعْنَ مَتَلَفًا مِنَ الْمَصَاعِدِ فَوَلَدَ مَخْرُجٌ عَنْ بَابِ الْمَصَاعِدِ**  
**وَالْمَصَاعِدِ، لِأَنَّ الْمَصَاعِدَ هِيَ تَهْوِيرُ الْأَلْفَاظِ مَعَ حَسَنَاتِهَا، وَكَفَلَتُكَ الْبِلَافَةِ،**  
**وَالْمَا الْإِكْتِهَادُ فِي مَحَاسِنِ الْأَلْفَاظِ وَالْمَعْنَى . . . وَهَذَا الْكَلَامُ الْمَصْرُوحُ مَا كَانَ بِهِ**  
**الْمُخَرِّجُ فِي رِسَالَتِهِ لَا يَتَخَصَّصُ مَصَاعِدَ وَلَا بِلَافَةً، وَإِنَّمَا يَأْتِي بِمَعْنَاهُ غِنَا**  
**بَارِدَةٍ . . . وَهَلُمَّ الْيَدَانِ إِنَّمَا هُوَ الْمَصَاعِدُ وَالْمَصَاعِدُ فِي الْأَلْفَاظِ وَالْمَعْنَى،**  
**فَإِذَا مَخْرَجَ عَنِ شَيْءٍ مِنْ هَذِهِ الْأَوْصَافِ الْمَشَارِ بِهَا لَا يَكُونُ مَعْقُودًا مِنْهُ وَلَا**  
**مَتَلَفًا فِي بَابِهِ . وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ مَا يَوْصَفُ مَحْسُورٌ فِي الْقَدَحِ وَمَعْنَاهُ لَوْرِدُ فِي**  
**كُتُبِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ الَّذِي هُوَ مَعْنَى الْمَصَاعِدِ وَالْمَصَاعِدُ، أَوْ يَرِدُ فِي كَلَامِ**  
**الْعَرَبِ الْمَصَاعِدُ، وَلَمْ يَرَوْا فِي شَيْءٍ مِنْ أَشْعَارِهِمْ وَيُعْطِيهِمْ»<sup>(١)</sup>.**

(١) نقل السمر ص ٢٠٥

وأخيراً يصدر حكمه على هذا النوع من الكلام بقوله : «وكلي ذلك وإن كان له معنى يتهم إلا أنه غريب من اللطائف» ، والأولى به وبمثاله أن يتعلم بالشبهة والمحاكمة والمصارعة لا بدرجة الفصاحة والبلادة<sup>(١)</sup>.

ولكن يصاحب لكل السائر يرمي من وراء هذا التعليق إلى التنبيه على خطورة الإصرار في اختراع طريق البديعية التي تغدو الأتوب والفنوق معاً ، وتعطي الثلبة في صناعة القول البصعنة على الطبع.

ولعل فيما أوردته عن حياة الدين بن الأثير ما يعطي صورة عن فنون البديع التي عالجها كجزء من علم البيان لا كعلم قائم بذاته كما فعلت مدرسة عبد القاهر والزمخشري والسكاكي ومن ذكرهم.

#### ٤ - التيفتكي المغربي :

هو أحمد بن يوسف التيفتكي المغربي المتوفى بمصر سنة ٦٥٦ للهجرة ، وله مؤلف في علم البديع يسمى به سبعين بحثاً عن الحساب البديعية.

#### ٥ - زكي الدين بن أبي الأصميص المصري :

المتوفى سنة ٦٥١ للهجرة ، وله ثلاثة كتب هي : كتاب الأمثال<sup>(٢)</sup> وكتاب تحرير النجوى ، وكتاب شرح القرآن.

أما كتاب «الأمثال» فيتضمن ما جمعه ابن أبي الأصميص من أمثال أبي تمام ، وأمثال أبي الطيب المشي ، وما يذكره أبو الطيب من أمثال أبي تمام ،

---

(١) في الرجوع - والشبهة والتمويه - على أبي اليزيد أحمد الكاسميري الذي - بقوله ما عليه - أجمعه في زكي الدين.

(٢) انظر بتوضيحه هذا الكتاب عمدة الأتوب لأبي حنيفة المصري ، ص ٥٢.

وصدر الجميع بما وقع في الكتاب العزيز من الأمثال، وزاد على ذلك أمثال  
عشرين الإسلام والحكمة، وأمثال أبي نواس، وختم الجميع بأمثال  
العلاء، وما سار من أمثال الظفراني في لامية المعجم كقولك:

حب السلامة يتي عزم صاحبه      عن الغالي ويغري الغر، والكسل  
أحلى النفس بالأمال أرغها،      ما أخيق العيش لولا مسحة الأمل!  
والما رجل الدنيا وواحداه،      من لا يمول في الدنيا عن رجل

وأما كتاب التحرير النجدة فقد أحصى فيه من المعصيات الشيعية  
مائة وعشرين نوعاً، بدأها بمعصيات ابن المعتز والشافعية، وتيها جمعة من  
كتب البلاغين بعدها، فبلغ ذلك كله الشرح وسعين حصاً، ثم أضافه  
إلى هذا العدد ثلاثين حصاً جديداً، منها مشهور من زيادته هو، وباقى  
إذا سبق إليه لم يتعامل عليه:

وفي كتابه الثالث ديدج الترتيب <sup>أبوكري</sup> من أبي الأصم لما في الطرون  
من معصيات شيعية بلغ بها مائة عشرين وتعالى، كما يقول في مقدمة  
الكتاب:

وما بلا حظ عليه أنه في مناجاة الطرون البديع قد أدخل بعض  
مباحث المعاني في البديع، وخاصة صور الإطباب، كالذكر والفتن،  
والفيل، والاستقصاء، والإيضاح، والبسط، والإيجاز، ومعنى ذلك أن  
البديع عند، وربما قبله، أخذ يشمل لا على الصور اليبانية لمحب، كما  
كان الشأن منذ ابن المعتز، وإنما أخذ يشمل أيضاً على كثير من أساليب  
علم المعاني.

٦- علي بن عثمان الأرملي:

لثروة سنة ٩٢٠ من الهجرة كان معاصراً لابن أبي الأصم

المصري، وقد نظم قصيدة مدح من ستة وثلاثين بيتاً في كل بيت منها نوع من أنواع البديع التي كانت شائعة في عصره. وقد وُجِعَ جزء كل بيت اسم المحسن البديعي الذي نظمته

وهذه القصيدة تعدّ المعجزة الأولى في الاتجاه الذي أخذ بعد ذلك يشيع بين الشعراء بدخولهم في ميدان البديع ينظمون قصيدته في قصائد عرفت فيما بعد باسم «البديعيات».

ولمّا دلى فوزج من بدعيّة الأربلي:

يسطر هذا السلال والإملاك حياك ساجسور والشجنت حياك  
(بشعر الشطري)

طلب قوله مستند البديعية وهو قوله زيات الحبك  
(المن)

ومرّام لك يا مصل الأبد في عيسوها من الأنس  
(بديع)

وما حد يسطر فلكه بديعة القيا لـ وأقل القلي بمود بـ  
(بشعر علي العبد)

ليس فيه عيب بصفاته الحسد إلا الصفات تسيل السواد  
(الاستاذ)

٢ - ابن مالك:

هو بدر الدين محمد بن جمال الدين بن مالك الطائي الأنطلي  
أصله النبطي، درس الأصول سنة ٦٨٦ من الهجرة. وأبرزه الشيخ جمال  
الدين بن مالك العام النحوي صاحب الألفية المشهورة في النحو.

وبدر الدين نحوي كليله، وله مؤلفات في النحو والبلاغة، وكتابه

(٢) انظر القصيدة ونزهة الأربلي في لغات فريقت آثار شاعر الكمي ج ٢ ص ١١٤

«المصباح في علوم المعاني والبيان والبديع» هو للمخبر لكتاب «مفتاح العلوم» للسكاكي. وقد حرره كنيه من تعليقات السكاكي لمطبعة الكلاية والفلسفة التي قدم بها لأقسام المذبح والقصود، كما أدخل عليه بعض تعديلات، أهمها نقل مبحث البلاغة والقصيدة من ليل البيان إلى فاحشة مختصرة.

وقد جرى بدر الدين عن رأي السكاكي في أن علمي المعاني والبيان يرجعان إلى البلاغة، وأن الحسنة البدعية ترجع إلى القصيدة، كما اعترف بأن هذه الحسنة ترواجع لعلمي المعاني والبديع، ولكنه مع ذلك جعلها علماً مستقلاً بذاته سماه «علم البديع»، وذلك بعد الطريق لعلم البلاغة لتصبح منظومة علوماً ثلاثة: المعاني والبيان والبديع.

وأصل أهم شيء، فمير به التخصر على الأصل هو توسع بدر الدين في الحسنة البدعية. فقد ذكر فيها أربعة وخمسين نوعاً، على حين ذكر السكاكي منها ستة وعشرين فقط. وأما رأي أن بدر الدين كان متأثراً في ذلك برحال البديع في القصود، فقد توسعوا في إحصاء أنواعه حتى تجاوزوا بها المائة، بل إن منهم من بالغ بها مائة وخمسة وعشرين نوعاً.

وقد رأ بدر الدين الحسنة البدعية التي عرض لها في كتابه إلى القصيدة اللطيفة والمعنوية مجزئاً في ذلك السكاكي وغيره من أصحاب البديع المتكلمين عليه.

ولكنه افترق عنهم جميعاً بحمل الحسنة البدعية المعنوية قسمين: قسمياً يعود إلى الإلهام والدين، حال: القذهب الكلامي، والتسيم، والتسيم، والاحتراس، والتظليل، والاحتراس، والتجريد، والمبالغة، وقسماً يعود إلى التزيين والتحصين، مثل: الملف والشر، والمجمع مع التسيم، والمجمع مع التفرقة.

ذلك هو مدى التطور الذي تم اعتمده البديع في القرن السابع الهجري على أيدي سبعة من أشهر رجائه هم: أمير الدين الرازي، والسكاكي، وفضلاء الدين ابن الأثير، والنبهاني المغربي، وابن أبي الأصبح المصري، وعلي بن عثمان الأرملي، ويذكر الذين بن ملط.

ولما انتقلنا إلى القرن الثامن الهجري فإننا نلاحظ ستة علماء كان لهم اهتمام بالبديع وقوته. ومن هؤلاء: من عرفني بالبديع في شبابه عrose للميان العربي فهووه العام، وسهم من قصد قصداً إلى دراسة البديع لذلك في عمل مستقل.

ولما يلي لنا عن كل عالم من أولئك العلماء توضيح الجهد الذي بذله والمساهمة التي أسهم بها في دراسة علم البديع.

١ - يحيى بن حمزة.

هو يحيى بن حمزة العلوي البصري سكنوا سنة ٥١٩ للهجرة، وقد اشتهر بطرح الشعر والبلاغة وأصول الفقه، وله فيها مصنفات مختلفة، وهذا منها كتابه المسمى «الطراز النظمي لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإصطارة» والذي يقع في ثلاثة أجزاء.

وفي مقدمة هذا الكتاب يفتخر يحيى بن حمزة على حفيدي: الأول أن من اتقوا في البلاغة إما مفضل على وأما موحى خلق، والحقيقة الثانية أنه لم يطلع إلا على أربعة كتب مما كتبه اللاتيون قبله، وهذه هي: «الكل المسافر» لابن الأثير، وكتاب «البيان» في علم البديع لعبد الواحد الزمطكاني الدمشقي، وكتاب «نهاية الإيجاز في دراسة الإصطارة للخبير الرازي» وكتاب «المصباح في المعاني والبيان والبديع» ليعز الدين بن ملط.

كذلك يعطي في المقدمة السبب الذي دعاه إلى تأليف كتابه، ويذكر

أنه شرح يقرأ على بعض طلابه كتاب الكشاف لفرغري فطلبوا منه أن  
يؤلف لهم كتاباً في البلاغة يسترشدون به في فهم الكشاف للتوسس على  
البلاغة وفراصدها، فاجابهم إلى طلبهم وألف لهم هذا الكتاب..

والكتاب يبحث في قواعد البلاغة سواء ما اتصل منها بالعلى أو  
البيان أو البديع الذي يعدها في المعنى الأول.

وكل ما ذكره يحيى بن علي في كتابه عن علم البديع قد استوحاه في  
الواقع من كتاب «التصريح في المعنى والبيان والتبيين» لأبى القاسم بن  
صالح.

فهو يجري مع بصر القاص في تنظيم علم البديع إلى ما يتعلق  
بالتصاحف النقطية، وما يتعلق بالتصاحف الشعرية. وفي بحثه للتصاحف  
النقطية ساقى يحيى بن علي عشرين فصلاً نقطياً، منها الجنس، والتركيب،  
والترصيع، والالتزام، وقد أخذ من ذلك إلهاماً مع أنه من محضات المعنى  
لا القبط.

وفي حديثه عن التصاحف الشعرية أورد حصة وفلاحي فصلاً معنوياً،  
مما التشبيه، والسرقات الشعرية مستوحياً ما قاله فيها من كلام ابن  
الثير. ثم اختتم حديثه عن البديع بتحديد معناه وبيان ألسانه إجمالاً. تلك  
محاولة موجزة لما جاء في كتاب يحيى بن علي عن علم البديع.

٢ - التنوخي:

صاحب كتاب الألفاظ القريب في علم البيان.

هو محمد بن عمرو التنوخي المتوفى سنة ٦٤٩ للهجرة، وكان معاصراً  
ليحيى بن علي وتوفي في سنة واحدة.

وفي عنوان الكتاب ما ينشأ عن معنى التنوخي ومفهومة البيان أو



البلاغة فهو لا يجري على طريقة عبد الظاهر والزمخشري والسكاكي، تلك الطريقة التي تقوم على أساس التمييز والفصل بين علوم البلاغة الثلاثة المعروفة، وإنما أراد بنع طريقة ابن الأثير التي تعدّ البلاغة وحدة علمية مترابطة.

ثم هو يعدّ ذلك إختلف ابن الأثير في طريقة البحث والمعالجة، فإذا كان ابن الأثير يعتمد في بحثه على المنطق الأدنى، فإن الشروني يعتمد على المنور والمنطوق.

على أن حظ البديع من كتاب الشروني ضئيل، فهو يتكلم فيه عن الاختراص، ويؤكد المدح بما يشبه التلم الذي يعدّه صورة من صور الكتابة، كما يتكلم عن الاشتقاق، والمكبررات، والتقسيم، والبالغة، والتضمين، والاستدراج، والسيح، وأروم ما لا يلزم، والمجلس الذي أمثال فيه. وكذلك ذكر أنواعاً من البديع يمكن أن نرد إلى اليان، مثل التوضيح أو التوضعات.

تلك هي فنون البديع التي ساقها الشروني في كتابه، وهي من ناحية قليلة العدد، ومن ناحية أخرى جاءت مغلقة في الكتاب على حسب مقتضيات البحث، فلا فصل ولا تعريف بين اللفظي والمعنوي منها، كما فعل بعض البلاغيين المتقدمين عليه.

### ٣- ابن قيم الجوزية<sup>(١)</sup>:

هو شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي القسطنطيني المعروف بابن قيم الجوزية التولي سنة ٧٥٦ للهجرة.

(١) انظر ترجمته في المورد الكتابة في أسماء تلك النسخة ج ١ ص ٦١.

وفي المجموع المخرجة ج ١ ص ٦١٩.

كان يلجأ في عدة علوم، مما بين تفسير وفقه، وأدب ونحو، وحديث وأصول. ولزم شيخ الإسلام لفي عصر من تبعه، وأغلب عليه أنه حتى كان لا يخرج عن شيء من الأمور، بل يقتصر له في جميع ذلك، وهو الذي عذب كليه ونشر علمه. واعتزل مع ابن تيمية في قلعة دمشق، فلما مات ابن تيمية أخرج عنه ذلك معروفاً بجميع الكتب يحصل منها ما لا يحصر حتى كان أولادهم يبعثون من بعد موته دعواً طويلاً، سوى ما يحفظونه منها لأنفسهم.

وقد صنف وألف كتاباً كثيرة منها: وكتاب الموائد المطبوقة إلى علوم الفرائد وعلوم البيان، وهو ينتمي عن مقدمة وتسمين. وفي المقدمة إشارة بعلوم البيان، لأن العلم بها في نظره يمين على معرفة إسماعيل القرآن. وفي المقدمة يتحدث أيضاً عن بعض مباحث البيان من حطية وإجاز واستعارة وإغليل.

وفي القسم الأول من الكتاب يتحدث عن الكتابة، ثم يتطرق إلى محاسن البديع المصنوعة في بعض صور ثمانية نوعاً، وفي القسم الثاني الذي علقه للمصاحفة يتكلم عن المحسنات البديعة القطعية ويذكر منها أربعة وعشرين نوعاً.

ذلك من مباحث الكتاب بإيجاز، وهي في الواقع تزيد لما اعتنى إليه المتخصصون في ميدان البيان أو البديع، وليس لاسي الجزئية فيها إلا فصل البديع، وإن كان جمعاً يخلصه دقة الترتيب والتسوية.

١- صفي الدين الحلي<sup>(١)</sup>:

هو الشاعر المشهور صفي الدين عبد العزيز بن سرياء الحلي الحلبي

(١) نظر ترجمته في المورد الكلمة في العهد دولة القلعة لأن حيدر الحسيني ج ٢ دهم

التي سنة ٧٥٠ للهجرة. أحب الأدب ومهر في فنون الشعر كلها، وتعلم  
العلمي والفني، وصنّف فيها، واحترف التجارة، فكان يرحل إلى الشام  
ومصر وإفريقية وغيرها في التجارة، ثم يرجع إلى بلاده، وفي غضون ذلك  
يُدخّل الملوك والأمراء.

ويؤنّص علي الدين الخطي مشهور يشتمل على فنون كثيرة من  
الشعر، وله في مدح الرسول القصيدة طويّة تبلغ مائة وخمسة وأربعين بيتاً  
من بحر البسيط، وهي على طراز بركة البوصيري المشهورة موضوعاً وبولاً  
والنظم.

وهذه القصيدة هي المعروفة بديعة علي الدين والتي مطلعها:

إن كنت سلفاً قبل عن حيرة العلم      وأمر السلام على عرب بني سلم  
وهذه البديعة تشتمل على مائة وأربعة وأربعين بيتاً، لأن كل بيت  
فيها يتضمن بيتاً من محسنات البدع. وقد قصّر الأبيات الخمسة الأولى  
عنها على الجناس الذي يشتمل له فيها التي سمّيت نوعاً.

ومطلع بديعة الخطي المشار إليه أعلاه يشتمل من المحسنات على براعة  
الاستهلال أو حسن الأنداء كما يسميه ابن المعتز، وهي به ثلاثة القطع  
من البيت على موضوع القصيدة.

كذلك يشتمل القطع على نوعين من الجناس بين سلام وسلمه  
و«علم وسلمه».

وقد سمي الخطي بديعته «الكافية البديعة في التلخيص النبوي» وألف  
عليها شرحاً سماه «التلخيص الإنشائي في شرح الكافية البديعة»، وفي مقصده  
الشرح نبذة عن سبيله إلى التأليف في البدع. وفوق ابن حجة الحموي

إن الخلق وفكر أنه جمع بديهة من شعور كائناتية<sup>(٢٧)</sup> . ولكنه البديهة شرح آخر وضعه عبد القلي الفلسفي وسماه «الموجود البشري» في شرح بديهة القضيي<sup>(٢٨)</sup> .

ويلاحظ على بديهة الخلق أنه لم يلزم فيها تسوية النوع البديهي في كل بيت، الكفاءة بالتحريف به عن طريق المثال . ولعله أراد بذلك أن يوسع عمل بديهة صفة الوضوح والجمال الشعري، وإن إنها صفة العقيدة في العلم عند التزام تسوية النوع البديهي في البيت.

وإذا كانت لفظة الأولى السابقة الذكر هي المحاولة الأولى في التفصيص البديهيات فإن بديهة صفي الذي الخلق هي المحاولة الثانية في هذا الاتجاه.

#### ٥ - ابن جابر الأندلسي<sup>(٢٩)</sup>:

هو محمد بن أحمد بن علي بن حاتم الأندلسي الضرير المتوفى سنة ٧٨٠ للهجرة . قرأ القرآن والشعر واجتهدت أهل شيوخ عصره وكان شاعراً جيد النظم علماً بالعربية، وذكر لسان الدين بن الخطيب في تاريخ طرابلس أن ابن حاتم نظم قصيدته لعلب، وكفاية المحدث، وغير ذلك.

وقد دخل من الأندلس إلى مصر والشام واصطبغ معه أبا جعفر الغزنائي، فكان ابن جابر ينظم الشعر والغزنائي يكتب.

ولابن حاتم بديهة على أهمية المهم من بحر البسيط سماها «الحلقة»

(٢٧) انظر حوزة الآداب الخلق الذي ليس فيه صفة شعري من ٢٧٤.

(٢٨) ترجمته في المورد الكفوي في البيت هناك لفظة ج ٢ من ٥٢٩.

وفي تلك القيد المصنف من ٢٧٤

السوا في مدح غير القوي، نطعمها على طريقة بدعية صفاء الدين الحلبي  
والرحمة صاحبه أبو جعفر.

وبدعية ابن جابر تلح في مدح وسبعة وعشرين بيتاً، واستعملها  
طوبه :

بطريقة الرسول وهم سيد الأمم      وسار له المدح وبشر أطيب الكلام  
ويذكر أبو جعفر في مقدمة شرحه هذه البدعية أن ابن جابر ألح في  
سرد المحسنات البدعية المطلب الفروفي في كتابه التلخيص والإيضاح،  
وذلك يعني أنه قصر مدحهم على المحسنات البدعية ولم يلقها بعض  
فنون البيان كما فعل غيره.

وقد انتهى ابن جابر مع صفى طوس الحلبي في عدم الالتزام بتسعة  
الشرع البدعي في البيت، ولكنة عطفه من جهة عدم الإكثار من المحسنات  
في قصيدته مكتفياً فيها بنحو سكين المحسنات، أم من تضمنت قصيدة الحلبي  
مدح وخمسة وأربعين محسنات، ولتصحيح البدعية كس سائر يرى أنه جرى فيها  
على طريقة بقدر الدين من مدح من حيث تقديم المحسنات اللطيفة على  
المحسنات البدعية.

ويبدو أن المحاولات الثلاث لرد البدعيات الثلاث التي عرجت لها  
حتى الآن، والتي بنا بدعية كل من الأرملي، وصفي الدين الحلبي، وابن  
جابر الأنباري قد لغت أبحاث بعض العلماء القدماء فراقوا بتبارون في  
نظم بدعيات على طرازها يمدحون بها الرسول ويضمونها من المحسنات  
البدعية ما قدروا عليه كما عرفوا عبد، وكان تأثرهم بصفى الدين الحلبي  
أكثر من غيره.

ومن أشهر من القادى به من مؤلاء العلماء:

## ٦ - عز الدين الموصلی<sup>(١)</sup>:

القول سنة ٧٨٩ للهجرة.

هو عز الدين علي بن الحسين الموصلی الشافعي المشهور، نزل منطق  
ولقام بخطبه مناه وبيع في النظم، وجمع ديوان شعره في مجلد واحد.

والموصلی بدعية مشهورة مقلتها:

مراعاة تسهيل الفصح في النظم - عبارة عن إبداء المقصود النظم  
وهي قصيدة لونية في مائة وخمسة وأربعين بيتاً، عظمى بها بدعية  
الصفى الحلي، وزاد عليه الأكرام بأن يودع كل بيت اسم الفروع البدعي  
بطريق التورية أو الاستخدام. هناك ذلك كلمة «مراعاة لتسهيل» في مطلع  
بدعيته السابق الذكر، فإني أشير إلى «مراعاة الاستهلال» أحد الخصائص  
البدعية.

وقال الموصلی الزاد: بذلك أن يظهر كقولَه علي صفي الدين الذي لم  
يلزم بالتحال أسماء المحسنات البدعية في نسخ الآيات الكفاة بالتعريف  
بها بالأمثلة من ناحية، ويذكر أسمائها أمام الآيات أو بعضها من ناحية  
أخرى.

وقد علق ابن حجة الحموي على بدعية الموصلی قوله: والشيخ عز  
الدين الموصلی قصيدة بدعية ألزم فيها بتسمية الفروع البدعي ووردى بها  
من جنس الغزل ليميز بذلك عن الشيخ صفي الدين الحلي، لأن ما ألزم  
في بدعيته يجعل هذا الصنف الثقيل... وزاد رضي في الغالب بتسمية

(١) ترجمه في قصيد الكفاة ج ٢ ص: ١١٢

التنوع ولم يعرب عن النسب، ونحو شغل الألفاظ والمخاطب لشدة ما عقد  
عليها<sup>(١)</sup>.

ويطرح عند الغني اللطيف بين التوصل والمخاطب في مقدمة شرح  
بديعته هو النسب ونفعات الألفاظ بقوله: «ثم جاء بعد صفي الدين  
الشيخ عز الدين الموصلي، فطرقه بقصيدة على موال قصيدته، وذكر من  
الأنواع ما ذكره، وزاد عليه بعض شيء يسير من اختراعاته متجياً بشكر  
اسم النوع البديهي في ألفاظ البيت موزناً به لتلا إحتاج إلى تعريف النوع  
من خارج القطب، ولكنه نصف وتكلف في غالب أبياته، وهو موضع  
الرقعة والأنسجام، ثم شرحها شرحاً يبين فيه مقصده ومبراه مع  
الاختصار، ولم يشغف غلة الألفاظ».

هذا وللشيخ عز الدين الموصلي طريقة أخرى لامية على وزن قصيدة  
كتبه بن زهير التي مطلعها:

بانت صدا طفلي التهجّج عشوي  
مهم إنهم لم يفسد مكشول  
ويعد تلك تلك تصور جاء النسخ في القرن الثامن، كما تصور  
التهجّج التي بلغنا في سبيل نظيره ستة من عديدها هذا العصر، ثلاثة منهم  
مهموا للشيخ، في ثانيا كتبهم عن أبيات العرب، أو عرضوا له حل أبي  
علم بلاغي مستقل عن علمي لغوي وأبيات، وهؤلاء هم: الحسن بن  
حزاء، والشواشي، وابن قيم الجوزية. أما الثلاثة الآخرون فمن أصحاب  
البديعيات، وهم: صفي الدين الحلبي وابن جابر الأندلسي، وهما الذين  
التوصل.

• • •

(١) انظر حوزة الأنس لابن حبيب الجسري ص: ٩.

وإنما ما اجتازنا القرن الثامن إلى القرن التاسع الهجري وما بعده فإننا نرى أن الاتجاه الغالب في دراسة الفقه يتعلق في طم النبذيات التي تنحو منحى صفى الدين اعلى أو عز الدين الرضوى وكبارى مع هذا أو ذلك في مناه. وأول هؤلاء الكبارى هو:

١ - ابن حجة الحموى<sup>(١)</sup>:

المترى سنة ٨٣٧ للهجرة.

هو تقي الدين أبو بكر بن حجة الحموى، كان إماماً عارفاً بختون الأئمة، متقدماً فيه طويل النفس في العلم والفكر. وله مصنفات كثيرة منها: بروق الفيت التي أسجم في شرح لأمية المعجم، وكشف الظلم عن وجه الثورية والاستخدام، ونشرات الأوراق في المعاصرات، وحرارة الأئمة، وديوان شعر بلخ.

ولابن حجة الحموى مجموعة مشهورة في مدح الرسول تبلغ مائة وأثنين وأربعين بيتاً، وقد استعملها بقوله:

لي في ابتداء مدحككم يا عرب في سلم - سرافة تستهل الذميج في تعلم  
ولقد حاول في نظمها كما ذكر في مقدمة شرحه لما أن يصح بين  
الحسين، أعني أن يقتدى بعز الدين الرضوى في تصحيح ألفاظ البيت ما  
يشير إلى نوح الحسن النبي الذي جاء عليه، وأن يقتدى بصفي الدين اعلى في دقة شعره وجمال نظمه وسلاسته

وما من شك في أن بساطته أولى وأحسن في نظمها من بتبعيه عز الدين، ولكنه لم يتحج كل النجاح في التخلص مما عابه عليه من قلة العلم والتكلف الشديد في بتبعيه.

(١) انظر ترجمته في «المعجم النبذ»، لمصطفى السباعي، وألفظ نظيرة «المعجم النبذ».



وليس لأن حجة في صميمه فصل اختراع أو زيادة على من تقدموه من أصحاب البديع، وكل ما له من فضل أنه جمع فيها من أعمال السابقين مائة واثنين وأربعين نوعاً من الحسنة ينشط القلبي فيها بالمعزوي من غير فصل أو تحديد. وكل ما يلحق من اختلاف بين وبين سابقه هو في تسعة بعض الأنواع، والصادر، والأحكام مثلاً عند ما رد المعجز على الصادر، ولزوم ما لا يلزم عند غيره. ولعل التعليل في تسمية بعض أنواع الحسنة عند الشيء من صعوبة لطوح اسم الشرح كله للعلم

وقد وضع ابن حجة الحموي شرحاً مطبوعاً لتجميعه في ٤٦٧ صفحة أطلق عليه اسم مخرطة الأنبياء. وقد كان هذا الشرح أهم من التجميع ذاتها، لأنه قد حوّل حقيقة إلى مخرطة لاسيما ليوصلها الكثير من علمه ومطرقه.

فهو يكثر في المخرطة من الألفاظ والشواهد وخاصة لشعراء عصره والقريين منهم في العصر الأيوبي. وكثيراً ما يعرض لخواصهم ومساجلاتهم الأنبياء مع ذكر ما يستحسنه من أشعارهم. وقد يستورد ليسوق بعض ملاحظات له أو لغيره متصلة بالبديع، أو يورد تراجم لبعض الأنبياء، أو يتبع المعاني التي أخذها شاعر من آخر، كتعبيره للمعاني التي أخذها صلاح الدين الصفدي من جمال الدين من نياته.

والشرح الذي لؤده مخرطة الأنبياء هو في الواقع موسوعة أدبية تجمع بين اللغة والأدب والبلاغة والفقه والتاريخ والتراجم ومطروح الكلام ومشهور، وهو في ذلك كله مرجع عدم لا غنى عنه، ومرجع خاص لشعراء العصرين الأيوبي والمملوكي.

## ٢ - والمسيحي<sup>(١)</sup>:

خلال القرن عبد الرحمن من الكامل الحفصري الأسبوعي لتروي سنة ٩١١ للهجرة بديعة مساهمة نظم الشجع في مدح خير شعوبه وله عليها شرح، ولكنها لم تزل من الشهرة ما نلتها غيرها من بديعياته.

## ٣ - عائشة الياقوتية:

هي الطيلة عائشة بنت يوسف بن أحمد من عصر طاهوري لثورة سنة ٩٢٢ للهجرة، أثنى عليها كثير من الأدباء، وهي شاعرة ذات ديوان شعر بديع. ولها في مدح الرسول بديعة فريدة في مائة وثلاثين بيتاً، أطلقت عليها اسم والفتح المبين في مدح الأنبياء<sup>(٢)</sup> ومطلعها:

في حسن مطلع الحفاري طي سلم أصبحت في رمة المشتق كالعلم  
والحدشا الياقوتية في التوجها بالخصم لبديعيتها هي سبب نظمها  
تقول: وهذه قصيدة صادرة عن رمة فجاج شاعرة سلامة الطبايع، منقطة  
بحسن البيان مبه على البيان تروي من الله ورسوله صافرة عن وجود  
البديع سامية بديع الحبيب الشجع، منقطة من قبوه لسمية الأنواع،  
مشرفة الطوطع في أمن الإبداع، موسومة من القصائد السويديت يختص  
الإتمام الذي هو صنفه أصل الإشارات والفتح المبين في مدح الأنبياء.

وتقول عن الفرج: «واستخرت الله تعالى بعد تمام نظمها ونشوت

(١) انظر ترجمة هذا المصنف اعطى عليه في مجلة «جسر الحضارة» في أمار مصر والقاهرة  
سنة ١٩٥٥، وله أحد له من القصائد ٥١٥ مصحفاً بين كتب كثيرة ورسائل ومطالعات طبع  
لغيره.

(٢) هذه البديعة بالترجيح على عنوان «ترجمة الأنبياء» لأن صيغة المصنف ابتداء من  
صنفه (٢١٠).

اسمها في شرح يروى الطالب مولاه وتعلم عند الشيخ فرائد، وهو أن  
أذكر بعد كل بيت أحد النوح الذي بيته عليه، وأقر شاعده فإن ذلك مما  
يختار إليه، وأسمو في ذلك الاختصار ولا أشل مواضع، وأب على ما لا بد  
من قصداً لفتح الطالب... ٤...

ومن هذه الكلمة نرى أن حب الرسول هو الدافع إلى نظم هذه  
البدعية التي حشدت فيها عدة وثلاثين نوحاً من المحسنات البدعية، وأنها  
لم تكلف بتسمية الأبراج، وأن طريقتها في الشرح أن تورد بعد البيت أحد  
النوح الذي سيج عليه مشغولاً بالشاهد في اختصار غير سهل.

وقد وصف الشيخ عبد الغني النابلسي المأخوذة بقوله: «أما فاضلة  
ومن تأليفها هذه البدعية القريظة تسمية بالفتح الذين في مدح الأمين»،  
تطعتها على موال كفي الدين بن حبيب، مع عدم تسمية النوح لسكناً  
بطلاقة الألفاظ واستخدام الكلمات، وأخرجها بهذا الشرح المختصر الذي  
أسفرت فيه عن لسان البيان تدبر الطائفة والإمكان، ولما هيون شعر بفتح  
في المدائح النبوية كله لفظاً، ومن تأليفها مولد جليل للنبي ﷺ اشهد  
على فرائد النظم والقرآن<sup>(١١)</sup>.

٤ - ومن أصحاب البدعيات أيضاً صدر الدين بن منصور الحسيني  
الذي التزم سنة ١١١٢ للهجرة بمدينة حيدر أباد. وقد استعمل صدر  
الدين هذا بدعيته بقوله:

حسن البغدادي يذكري جيرة الخرم له براحة نسوق تستعمل وهي  
وهي على غرار بدعية كل من عز الدين القرصلي وقي الدين بن  
حبيب، من حيث تضمين أبياتها أسماء المحسنات البدعية. وقد وضع لها

(١١) عزلة الكتب المضمومة ص: ٤.

شرحاً سبأ «الوزع الرابع في أنواع الشيع» ، وفيه تعرض - كما عليه من  
أصحاح الشيع - للمحدثات خمس صغرى في الشيع ، ودرجته في مقالهم  
التيبة البديعة.

٥ . ومن عناصر صغر عددنا والشهر في هذا الكتاب الشيع عدد  
الذي بن إسماعيل الباطني<sup>(١)</sup> يقول سنة ١١١٣ من الهجرة ، وهو شاعر  
مؤلف بالشيع ، له مؤلفات عديدة ، منها يدعيها ، نحا في إصطلاحها معنى  
صفي الدين الطلي وعائلة الشيعية ، ومن أنه عطفها لم يفرج فيها اسم  
الوزع البديعي ، ومطلع هذه البديعة التي سماها سمات الأسرار في  
مدح النبي المختار هو :

يا منزلة التركب بين الثمان فاعلم من سلج كاطمة حيث يتقدم  
وله فيها شرح سبأ «المحاضرات الأربع» أحدث به حسن القوا في  
البديع ومن تعلموا البديع<sup>(٢)</sup> :  
لما يدعيه الثانية فمطلها :

يا حسن مطلع من أعزى مذي سم ... برجة الشوق في استهلالها ألي  
وهي حل منزل يدعيه عز علي الوصلي وتلي الذين من صفا ،  
من حيث تضمن كل بيت اسم النوع البديعي الذي بن عليه . وقد كتب  
كل بيت من البديعة الثانية أمام ما يخاله في عناصر البديعة الأولى ،  
والزم ذلك من طبعها هذا الشرح . والبديعة الثانية شرح وصفا القلي  
مع البديعات العشر .

ولي شرحه «المحاضرات الأربع» بخلاف من يدعيه الأولى بقوله :

(١) انظر ترجمته في «الوزع الحادي ج ٩ ص : ٢٩ .

تنظمت هذه القصيدة البنية السبعة بنسختين الأسطر في مدح قلمي المختار  
على طريقة تلك القصائد البديعية، مبرحاً عن نظم اسم النوع البديعي  
في أثناء البيت لاني رأيت ذلك إما يكتسب تظرف الكلمات وغريبة الجاني  
واللغة<sup>(١)</sup> المعقولة لم يستطرد إلى القول بأنه التصرف في اسم النوع  
الضرورة النظم يجعل التعرف عليه من لا يعرف اسمه ورسمه أمراً صحيحاً  
والغريب أنه مع قلده لهذا النوع من البديعيات يعمد إلى نظم قصيدة  
بديعية من طرازها<sup>(٢)</sup>.

كذلك يشاء في شرحه بنسخات الأزهري أن أبيات كل من بديعيت  
يلج ملك وخميس بيتاً وأنها يستعملان على مائة وخمسة وخمسين بيتاً  
بديعياً، بعد زيادة الزواج لطيفة وموت طريقة، لا توجد في البديعيات التي  
صفتها، وربما اتفق في البيت خواتم الزواجر والثلاثة بحسب انتظام  
الطريقة في النظم، والاعتماد فيها على ما أسلف البيت عليه ثم يشير إلى أنه  
شرح وسط بين الإيجاز والإغراب حتى لا يشعر القارئ بالخلل والفساد



لذلك من أهم البديعيات التي ظهرت قبل العصر الحديث، أي منذ  
قام بالتحول الأول في هذا الاتجاه على من علمنا الأديب في النصف الثاني  
من القرن السابع الهجري حتى عصر عبد الحميد العباسي.  
وفي العصر الحديث تلقي أيضاً ما عثرنا من أصحاب البديعيات،  
ومن أشهر هؤلاء:

١ - البيروني<sup>(٣)</sup>:

وهو السيد أحمد الفرج البيروني، عراقي، ولد في صباط ونشأ في بيروت

(١) لغة قلمي - اصطلاحاً.

(٢) لا توجد في النسخ كتاب اللغة العربية لفرج بن عبد الواحد ١ من ١٩٩.

وتوفي في دمشق سنة ١٢٢٦ للهجرة وكان شاعراً أديباً، ومن أكل الأديبة: عطايات البرجس، علي سق مقامات الطبريزي، والشرح الجلي على بيتي الموصل، توسع في شرحها حتى استغرق كتاباً كاملاً فيه كثير من طون الأبيات، والبيان لأحمد شعراء الطون الثامن عشر ببلادي، عبد الرحمن الموصل، وهما.

إن سق والمركب يومياً في يدي من حلفه ذو اللفظ أسس من يها دارت الخليل شرايح وفي تزل أنفسهم عذراً حيث سطر يها والشعري هذا القصيدة بديعة في مدح الرسول أودعها الكثير من أنواع القصائد ولها شرح وصح مصطفى الصلاحي

٢ - الساعلي:

الموت سنة ١٢٩٨ للهجرة

هو الأديب الشاعر قصيدة مشهوره الزيلع الشهير بالساعلي، ولد في القاهرة سنة ١٢٤١ من طبرك، وفي العشرين من عمره سافر إلى القاهرة لأداء طريقة الشيخ، وهناك تم قصده عليه فأكرمه أمير مكة الشريف محمد ابن عون وصحبه فظل ملازماً له وسافر معه إلى حوزاته في نجد واليمن ووصلت كثيراً من وقائع في شعره.

وعندما عزل الشريف محمد بن عون عن إمارة مكة هاجر إلى مصر وفي صحبته الساعلي، ثم سافر معه بعد ذلك إلى القسطنطينية، ومنها وقع به وبسبب الشيخ زين العابدين المكي تخلص أبي.

وفي أوائل عام ١٢٩٨ للهجرة عاد إلى القاهرة فوظف بالحكومة وظل يتقل من وظيفة إلى أخرى حتى فاضت به سنة ١٢٩٨ للهجرة، وهو عضو بمجلس الحكم الجزية والقليوبية. وشعره إذا ليس شعر من تقدموه

بصفة لزوم أو بشعر معاصريه أحمد داركي

ويؤيد الساعلي مطر، أنه في قصيدة بدوية في مدح الرسول  
بلغ مائة وثلاثين وأربعون بيتاً قدم فيها تسمية أنواع البدع وحارّض بها  
شبيبة قبيّ الذين من حجة الحموي. وقد نظمها سنة ١٢٧٠ للهجرة  
وأنتهزها بقوله:

سبح الفروع لذكر السبح والعلم أيدي المروءة في استهلاله يدم  
وقد جرى في نظمها على طريقة ذكر النوع القديم والباحث بالبيت  
الذي بناء عليه، وفيما يلي نموذج لغزل.

الكورة

وكم مكبت عصفاً والكاء على يسر وتودني كدلت ليدومهم  
الغنائس الحام

القصائد تمّ تعالوا في بناتهم عاظت منعه حب لعداهم  
الطيفة

قد طافوا صحبي بالسقم حين نارا ولم دنا فشفوا ما بي من الألم  
وقد عني مشرح هذه الشبهة شرحاً وإلياً عند الله ثباتاً فكري.

ومن معاصري الساعلي كثيرون هم بدعيات، وقد تأثر بهؤلاء  
بعض الشعراء السبعين فطبعوا بدعيات في مدح حميس عليه السلام.

وأحد الشيخ طاهر الحراري عتزل سنة ١٢٨٦ للهجرة هو آخر من  
عرف بتأطلي هذا الفن، فقد نظم قصيدة بدوية وجميع لها شرحاً أطلق  
عليه اسم «المدح الطمحي والتمنيش البدع».

وأخيراً نلاحظ الإشارة إلى أن الاشتغال بعلم البديع لم يلقَ عند أحد الكتب التي صُنعت فيه تأثير الكثير منها بالأصالة والابتكار ولم يلقَ كذلك عند نظم البديعيات، هذا الاتجاه الذي ظهر في النصف الثاني من القرن السابع الهجري ثم أخذ الشعراء يتأثرون ويقتنون به على نحو ما رأينا.

لعل لم يلقَ الاهتمام بعلم البديع عند هذا الحد أو ذلك وإنما تجاوز ذلك أو انحط عن ذلك إلى نظم لغوي في عتق شديدة الإيجاز والتعقيد والإيهام. مثل متن الجوهر المكنون<sup>(١)</sup> في ثلاثة فصول، وعن ابن الشحنة الحنفي:

حقاً قد يكون المقصد من وراء هذه التطويرات التعليمية مساعدة الطالب على تذكر القواعد البديعية وحفظها وتأسيسها عند الاكتفاء. ولكن أية فائدة يجنيها الطالب من حفظ أسيد ومصطلحات لا علم له بفهمها ولا يستطيع أن يستوعبها أو يؤولها إذا عرضت له في حين من التصور الأدبي؟

وعلى سبيل المثال من يريد الطالب شيئاً غير الهام من البلاغة والتصور منها عندما يقرأ الآيات التالية التي أوردها صاحب متن الجوهر المكنون عند كلامه عن المحسات البديعية المعنوية

وخذ من القلبية الطبقة تشابه الأطوار والوظيفة  
والعكس والتسليم والمساواة تسريع رجوع أو مضاعفة  
تسوية السدي سوام لـ أريد مصداق السعيد منهياً  
على أية حال إن القارئ نظراً كانت أو كراً ليست همه الفاصلة على

(١) صاحب هذا الفن هو عبد الرحمن الأحمري وهو علم الكتب والمصنف المشهور المعروف.



البديع وإنما هي حجة شملت الجميع العربية في العصور السابقة عندما  
أُنشئت المنظوم بعمل عوامل شتى يرى عليها العظم والعمود.



وبعد فقد عرّجتنا إنشاء علم البديع وتطوره في العصور المختلفة،  
وعرّجتنا على صورة هذا العرض كيف كانت مساهمة في أول الأمر حصراً من  
عناصر البيان العربي، ثم كيف أضحت هذه المناجاة في العصور الأولى  
تتميز وتتحدد بملئها شيئاً غريباً على صورتها شيئاً مستقلاً على يد ابن  
المعمر، وقدامة، وأبي حلال العسكري وأبي رزيق وغيرهم، وأخيراً كيف  
جاء شعراء البديع والعصبة من أمثال أبي تمام مشغولوا في الشعر تنوعت فيه  
منها بالاختلاف إليهم الأصناف البديع والبيهيجات والشجون وراحوا جميعاً  
منظرون إلى البديع على أنه حجة لا وسيلة يستعان بها على لائق الأساليب  
البليغة والارتقاء بها، ولذلك استلزموا من حيث أرادوا الإحصاء

وإذا كان الشعراء والأدباء في العصور السابقة قد أسرفوا في  
استعمال البديع وصدرت لهم فيه مذام، وإذا كان عليه البديع قد  
توسّعوا في مفهومه حتى شمل العصور البليغة وكثيراً من صور المذموم، وحتى  
أقبلوا إليه ما ليس به، فحفظوا بذلك شيئاً مزيهاً بالبديع الحقيقي - فإن  
ذلك كله لا يخلص إلى قيمة البديع المقدر - بل على سوء فهمهم  
والصورهم ومجهودهم

واعمل في دراستنا لبعض صور البديع ما يرجع هذا العلم إلى صورة  
البيهجة عند ابن المعمر وقدامة وأبي حلال وأصرايم، وما يرد إليه اعتباره  
كقيمة جمالية في الأدب.



## فنون علم البديع

عرفنا من المقدمة السابقة في شأن البديع وتطوره في عهده من العز هو أول من قام بمحاولة تنظيمه رعاية في سيره تأسيس علم البديع وتجهيزه سياحه التي كانت حين قبل انشطة سياحت علم المعلم وعلم البيان.

وتتمثل محاوره هذه في كتب البديع التي ألفه وخصصه ثمانية عشر فناً من فنون البديع. وقد مهتد محاوره التيسيل أمام الباحثين من بعده فالتزوها وأقاموا منها في تطوير هذا العلم واستكمال سياحت وتخصيصه.

فلقداسة بن جعفر وهو من مدصري ابن العز أولي البديع اهتمامه وزاد فيه تسعة أنواع جديدة. وأمر حلال العسكري اعتماد ما ألقى به ابن العز وقداسته من فنون البديع وأضاف إليها حتى بلغت هذه سبعة والثلاثين نوعاً، ثم جدد ابن رشيق القيرواني مزاد على من تقدموه تسعة أنواع لم يرد لها ذكر عندهم.

وهكذا أصبحت فنون البديع تنمو وتكثرت على تعاقب الأجيال

والمقصود حتى بلغت في القرن الثامن الهجري عند الشاعر صفي الدين الحلي مائة وخمسة وأربعين محسناً بديحياً.

وبعد المحسنات يفرد بها تحسين الكلام بعد درجة النفاضة لتعطي الخلق، ودرجة وفسوح الدلالة بطورها عن التعقيد المعنوي.

والمحسنات البديعية صريفة، مصوي يرجع إلى تحسين المعنى أولاً وبالذات، وإن كان بعضها قد يفيد تحسين اللفظ أيضاً.

وتحسب لفظي يرجع إلى تحسين اللفظ أصلاً، وإن تبع ذلك تحسين المعنى لأن المعنى (إن) غُيِّرَ به لفظ حسن استمع ذلك زيادة في تحسين المعنى.

وليس من طرحة هنا التوسع في دراسة المحسنات البديعية إلى حد الإكثار بما جمعها، وإن التفرغ من التركيز على أهم هذه المحسنات المعروفة عليها وبيان أثرها في تحسين الكلام لفظاً ومعنى.

ولا تفتت المعاني هي الأصل والأفضل أنواع ونوابغها، فإننا نبدأ بدراسة المحسنات المعنوية

## المحسنات البديعية المعنوية

### المطابقة

ويقال لها أيضاً: التطليل، والتطيل، والتصاد.

والمطابقة في أصل التوضيح المعنوي أن يضع البعير وجهه موضع يده، فإن فعل ذلك قيل: طابح البعير.

وقال الأصمعي: الطائفة أصلها وضع الرجل موضع اليد في شيء

فوات الأرج. وقال الخليل بن أحمد: طابت بين الشكر، إذا جمعت بينهما على حد واحد.

وليس بين التسمية العامة وتسمية الاصطلاحية أدنى مناسبة، ذلك لأن الطائفة أو الطباق في اصطلاح رجال البيع هي: الجمع بين الصدين أو بين الشيء، ولهذا في كلام أبو بيت شعر. كالجبع بين لسين متضادين من مثل: النهار والليل، والياقوت والفساد، والحسن والظبح، والشفاعة والحسن، وكالجبع بين فعلين متضادين مثل: يظهر ويظن، ويسعد ويحزن، ويحر ويبرد، ويحي ويقت. وكذلك كالجبع بين حرفين متضادين، نحو قوله تعالى: ﴿لَا مَا كُنتَ وَعَظِمَا مَا أَكُنتَ﴾، والجبع بين حرفي الجر والكلام، وعمر، سقطة، لأن في الآية معنى السقطة وفي الآية معنى المصرة، وهما متضادان، ومثله قوله الشاعر:

عل أبي رافعير بك أحمل القوي : يكملن منه لا حمل ولا لبا

وقد تكون الطائفة بالجبع بين حرفين يحذفن كقوله تعالى: ﴿لَوْ كُنْ كَان مَرَاتًا مَعِيَدًا﴾ فإن أحد المتضادين اسم وهو ميثاء والأخر فعل وهو وأعيداه.

وقال زكي الدين بن أبي الأصم المصري: للطائفة ضربان: ضرب يأتي بالكلمات الحقيقية. وضرب يأتي بالكلمات المجاز.

١- فالضرب الذي يأتي بالكلمات الحقيقية هو ما يسمى الطائفة أو الطباق، ومن أمثله قوله تعالى: ﴿وَالَهُ هُوَ الْحَسْبُ وَابْتِئَ، وَكَانَ هُوَ أَمَلْتُ وَأَصْبَى﴾، وقوله تعالى أيضاً: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ، وَلَا الظُّلُمَاتُ، وَلَا النُّورُ، وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ، وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ﴾، وقوله: ﴿وَالْحَسْبُ لِبَاطِءٍ وَهُمْ دَلُودُ﴾

ومنه قول النبي ﷺ: «طباخة العبد من نفسه لنفسه، ومن دنياه لأخرته»، ومن التشبيه للكثير، ومن الحياة للموت، عراقي نفس محمد بيده ما بعد الحياة مستعبد<sup>(١)</sup>، ولا بعد الدنيا دار إلا الجنة والآخرة.

ومن شواهد الطبقة الحقيقية شعراً قول الحمصاني:

تأخرت أسبغني الحياة فلم أجد نفسي حية على أن أكفها  
وقول آخر:

لئن ساءل إن تلتني بمسألة لقد صرتي في شطرت سالك  
؟ «والعرب الذي يأتي بالنقط النحر يسقيه قداسة بن صغير  
«الذكاة» ومنه قول الشاعر:

سلو الشمسك وهو من يسيل يعني النمل صبيحة الإلهي  
طوله «طوله» يجري «الأسفل» إذ ليس في الإنسان ولا في  
شعائه ما يذوق بحاسة الذوق.  
ومنه أيضاً قول الشاعر:

إذا نحن صرنا بين شرق وغرب تحرك بطنان التراب ونفسه  
الطباخة هي بين «البطن» وال«فم»، ونسبها إلى التراب من سبل  
الجلز. وهذا هو «الذكاة» عند قداسة وابن أبي الأصبغ.

أما الطبخة عند قداسة ومن تبعه فهي احتياج المعين المختلفين في  
لفظة واحدة مكررة، تقول زياد الأصم:

---

(١) استرحم، أي الأعداء بقلت ونفسى وميتة، وأقلى وسرج من الحطب والقالب وحطب  
الرحمة.

وأيهم يستصرون بكاملهم ولزوم فهم كمالهم وسنم  
 بالفتحة المذكورة ما هي والكاهن وسما في الشطر الأول من البيت  
 ومن يفتد عليه في الكلمات، يقال: فلان كاهن بني فلان أي معصمهم  
 في الكلمات، وسنمهم في الكلمات. وهي في الشطر الثاني: تَقَدَّمَ أهل الظهور  
 ما بل العنق.

• • •

## أشراج المطابقة:

والمطابقة ثلاثة أشراج:  
 مطابقة الإيجاب.  
 مطابقة السلب.  
 وإيجاب التصاد.

١ - مطابقة الإيجاب: أي ما حُجِّج فيها بأشجار الضمير، أو هي  
 ما لم يتخلف فيه الضمير إيجاباً وسلباً.

ومن استلها بالإحصاء إلى الأمتة السبعة للمطابقة التي تأتي بالنظ  
 الحديقة قوله تعالى ﴿وَإِلَّا تَدْرِيكَ بِذَلِكَ سَبْعُ مِائَاتٍ﴾، وقوله أيضاً،  
 ﴿وَإِلَّا تَدْرِيكَ بِهِ الرُّوحَةُ وَمِنْ أَمَلِهِ﴾.

ومنه من أحاديث الرسول: «أفضل الصفات أن تصل من قطعك،  
 وتعلمي من حركتك، وتصنع عسى تشعرك» وقال: «أهل العروق في الدنيا  
 أهل العروق في الآخرة، وأهل الذكر في الدنيا أهل الذكر في الآخرة».

ومنه شعراً قول امرئ القيس:

مكسر طير طيرين مدهس معاً      كملود صخر حقه السيل من حجر

وقول صليح:

أبعد بي لبي أفسر بفلسي من العيش لو أسي علي أثر عثري؟  
لولاك عثر غير وشتر كلفيا وأساء معروف لم وشكر  
وبت من الأقوال المأثورة: «غضب يجعل في لوكه، وغضب العقل  
في قلعه» وذكر الجامعة غير من صغر الفرقه.

٢- مطابقة السلب: وهي ما لم يصرح فيها بالخير والخبير الضدين، أو  
هي ما اعتطف فيها الضدين إيجاباً وسلباً، نحو قوله تعالى: ﴿قُلْ عَلَى  
يَسْرِي النَّاسُ بِظُهُورِهِمْ فَاحْتَرَبُوا﴾، بالظافة هنا هي في الجمع  
بين يعلمون ولا يعلمون، وهي حاصلة بإيجاب العلم ونفيه، لأنهما صدى

ومن مطابقة السلب أيضاً قول امرئ القيس:

سزعت ولم أجزع من الهم طرأاً، وعزيت قلبي بالكتابات مولدا  
بالظافة هي في الجمع بين أجزعت ولم أجزع، وهي حاصلة  
بإيجاب الجزع ونفيه.

ومن المستحسن في ذلك قول بعضهم:

فُلبسوا وما فُلبسوا للكرامة فكسبهم علقوا وما علقوا  
زُلقوا وما زُلقوا صراح يدا فكسبهم زلقوا وما زلقوا

٣- إيجاب النقاد: وهو أن يؤم لفظ النقد أنه ضد مع أنه ليس  
بضد، كقول الشاعر:

يبدني وشاحاً أيضاً من سبه وأجود لك ليس التذائح الأثيرا  
فإن «الأثير» ليس ضد «السبه» وإنما يؤم بلفظه أنه ضد. وذلك  
قول دعل الخزاعي:



لا تعجب، يا سلم من رجل فضحك الشيب برأسه فوكى  
 فإن «الضحك» هنا من جهة المعنى ليس بضحك «الضحك» لأنه كتابة  
 من كثرة التثنية، ولكنه من جهة اللفظ يوهم التثنية.  
 ومن قول فرط بن أبيه:

يخزون من ظلم أهل الكلام مقروا ومن إسلط أهل السوء إحسانا  
 «والظلم» ليس بضم «الظلمة» وإنما يوهم بلفظه أنه قيد.  
 وقول شاعر آخر:

والعلمت أطرار الكلام علم تدح شسبة يضر ولا صديها يصنع  
 «علم التدح» هو الضيق وليس الضم وإن كان قريبا من معناه، ولهذا  
 قاله صديقه صديقا للتدح هو من قبل إيج الضاد.

\*\*\*

ظهور الضاد وخلافه:

والضاد بين المعنيين قد يكون ظاهرا كما في الألفاظ السابقة، وقد  
 يكون خفيا كقوله تعالى: ﴿ما حظي بهم أفرقوا فداخلوا نارا﴾ (١٥) «وذلك  
 لأن الضاد في الطرف في المعنى، ولكنه يستلزم ما يقابله وهو الإصراف»  
 فإن من دخل النار استغرق، ولا احتراق عند الطرف.

ومثل أيضا قوله تعالى: ﴿ما عهد رسول الله والذين معه أنذاه عن  
 الكفر رجاء بينهم﴾ «الخطابة» هنا هي في الجمع بين وأنذاه ورجاءه  
 «خطبة» ورجاءه ليست صدى في المعنى، لأنذاه ولكن الرجاء تستلزم

(١٥) ما حظي بهم: من أهل حظيهم وسببها

الذين القابل للشفة، لأن من وهم لأن قلبه وروى. ومن هذه الناحية الخفية صحت المطابقة.

ومنه شعراً قول الخليلي:

لهم حلّ مالي إن تسابع في هي      وإن قل مالي لا أكلهم وقد<sup>(٦١)</sup>  
فني قوله وتتابع في غره معنى الكثرة التي هي عند القلة.  
أما قول أبي الطيب الشيب:

إن تطلب الدنيا إذا لم ترد بها      سرود حب أو إسافة مجرم<sup>(٦٢)</sup>  
فهي من المطابقة الفاسدة، لأن للمجرم ليس ضد في المعنى للمحب  
مودة ماء، وليس للمحب ضد إلا بغض  
بلاغة المطابقة:

وبلاغة المطابقة لا يمكن لهذا إلا أن يكون مجرد لفظي متصليين أو  
متصليين معنى، كقول الشافعي:

ولقد نزلت من القلوب بمحمد      فسر لرجل إليه متتابع النبي  
عقل هذه المطابقة لا طاق من ورائها لأن مطابقة العدد بالعدد على  
هذا النحو أمر سهل. وإنما جمال المطابقة في مثل هذه الحالة أن نوضح نوع  
من التتابع البديع يشاركها في البهجة والرويق، كقوله تعالى: ﴿وَنُوحِجَ الْكَلْبُ  
فِي النَّهَارِ وَنُوحِجَ النَّهَارُ فِي النَّهْلِ وَنُوحِجَ النَّهْيُ مِنَ النَّهْلِ وَنُوحِجَ النَّهْيُ مِنَ  
النَّهْلِ وَنُوحِجَ مِنَ النَّهْلِ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾. فني المصطف بقوله تعالى:  
﴿وَنُوحِجَ مِنَ النَّهْلِ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ دلالة على أن من قدر على تلك الأفعال

---

(٦١) الرد: السعد.

الطبيعة تفر على أن يورثي بغير حساب من شاء من حياته. وهذه بمثابة التكميل المشجعة بقدرها على أنها اجتمعت للطائفة الخلقية وببساطة التكميل.

وحده قول امرئ القيس:

مكسر غير مكسر مفسر معاً كجلمود صخر حله السيل من حل  
 للطائفة في الإقبال والإنداء، ولكنه لما قال ومعهما تكسيرا،  
 فإن القراء بما ترويه الحركة وسرعتها في حلتي الإقبال والإنداء، وحالة الكر  
 والفر. لم تترك الطائفة بمرقة من هذا التكميل ما حصل له هذه الشهجة  
 ولا هذا التوقع الحسن في النفس.

لم إنه استطرد بعد تمام الطائفة وتكمال التكميل إلى التشبيه على  
 سبيل الاستطراد<sup>(٢١)</sup> الطبيعي، وهذا التكميل بيت امرئ القيس على  
 الطائفة والتكميل والاستطراد.

ومن كسا الطائفة ميانة التورية أبو الطيب النسي حيث قال:

برغم شيب فاروق السيف كفه وكذا على العلاء يعطحيان  
 كأن رقاب النسي قالت لسيده ريفشت ليسى وأنت يساني<sup>(٢٢)</sup>

(٢١) الاستطراد الطبيعي أن يكون الشاعر في عرض من أعراس طبعه يومه أن يستمر فيه  
 لم يخرج منه إلى غيره فاشبهه بغيره، من أن يكون الاستطراد به اسم الكلام

(٢٢) هو شيبه الطبيعي، خرج على كثره ولحمه مشق وعاصمها وكل على صمدوها. كان  
 من ليس يوق ليس واليمن عدوات وحروب لبيد، والسيف لبيد يسب إلى ليس  
 فيقال له عطية، وركب النسي هذا أن شيباً له حل وطرق السيف كفه، مثلك النسي  
 قالوا لبيد أنت ياني وحاصك ليس يلبا طلع السيف وعزقه. انظر قول الشاعر

فالمطابقة هنا هي في الجمع بين وليس في ذاته وليس مسبب إلى  
 ليس من عدنان وعليه مسبب إلى ليس من فحفظك ولكن ربما شقاق  
 وتنازع واختلاف، ومن هنا أن التصاد بين نفسي وذاتي، والتورية في  
 نقطة وذاته لأن الشاعر يعني أن كف شبيب وسيفه منتظران فلا اجتماع  
 لأن شيئاً كان ليساً والسيف بذلك له ذاته فوزي به عن الرجل  
 المسلوب إلى اليمن.

ولقد أكثر الشعراء من استخدام المطابقة المحرقة والارتفاع بها كما  
 وبلاغتها بما يضمنونه إليها أو يكملونها أو يكسونها به من فنون التلميح  
 والبيان كالجمل واللف والنثر والتورية والتشبيه والاستعارة والتضيق.

### المطابقة

بعد دراسة من جعفر بن لؤي<sup>١٢</sup> تكلموا عن المطابقة عند ذكرها  
 في معرض الحديث عن بعض الخصائص الأسلوبية التي تعطي من قيمة  
 الشعر، قال قدامة: **يوالدي يسمى به الشعر طعناً**، ويكون إما اجتماع به  
 مستخدماً صيغة المطابقة، وحسن لفظ، وعزلة اللفظ، واعتقان الوزن،  
 دراسة القافية، وجودة التعبير، وقلة التكلف، والمشاركة في المطابقة.  
 ولقد حدد هذا كله معنى شجبه الأديب، وأخرج عن وصف البيان<sup>١٣</sup>.

ولقد عرفها في كتابه ذلك الشاعر بقوله: **وصيغة القليلة أن يصح**  
**الشاعر معالي يريد التوفيق أو المصلحة بين بعضها وبعض، فيأتي في لؤي**  
**بما يوافق، وفي المختلف على الصحة، أو بشرط شروطاً أو بعدد أموراً في**  
**أحد المعنيين، فيجب أن يأتي فيما يوافقه مثل الذي شرطه وحدثه، وفيما**

(١٢) كتابه لغة النثر القديمة ص ٤٤.

يختلف بهذا ثالثاً<sup>(١١)</sup> ومن أمثاله هي تلك قول الشاعر:

أموت إذا ما صدحتني بوجهه      وخرج قلبي حين يرجع للوصل

وقد علقى قصيدة عن البيت بقوله: «لجعل عند الموت فرح القلب،

وعند العود بوجهه الوصل، وهذه مثابة قبيحة، ولو قال:

أموت إذا ما صدحتني بوجهه      وأحب إذا ملي الصعود والهبلا

لجعل جزاء الموت الحياة، وجزاء العود بالوجه الإقبال لكنا

محبين»<sup>(١٢)</sup>.

وجاء أبو هلال العسكري بعد قناعة بفرد مقابلته بقوله: «هي

إيراد الكلام ثم مقابلته بذلك في المعنى واللفظ على وجه التوافق أو المخالفة،

نحو قوله تعالى: ﴿عَسْكَرُوا مَعَكَا عَسْكَرُوا مَعَكَا﴾، فذكر من الله تعالى

العداب، حيث الله عز وجل يقابلهم بآتيه وأعلن طاعته»<sup>(١٣)</sup>.

وعرف ابن رشيق القيرواني القبيح بقوله: «هي ترتيب الكلام على

ما يفسد، فيعطى أول الكلام ما يليق به أولاً وآخره ما يليق به آخره،

ويأتي في التوافق بما يوافقه، وفي التعليل بما ينافيه. وأكثر ما نجى للمقابلة

في الأضداد، فإذا جاوز الضاد صدين كان مطابقة، مثلاً ذلك ما أشبهه

قناعة المعنى الشعراء، وهو:

لها صعباً كيف التفتنا صامح      ولي ومطوئي على الغسل خاسر

(١١) بقى الشعر من ٩٥

(١٢) بقى الشعر من ٩٥

(١٣) كتاب الصناعات من ٢٢٢.

فما بين الصحيح والوارد بالحق والظن، وهكذا يجب أن تكون القابلة للصحة<sup>(١)</sup>.

فذلك عرف الخطيب القزويني القسمة في كتابه الشفا على قوله: وهي أن يوزن بمعيين متوافقين أو أكثر ثم ما يقابل ذلك على الترتيب<sup>(٢)</sup> وهو يعني بالتوافق اختلاف التبديل، ليس قوله تعالى: ﴿وَلْيَكُونُوا ثَلَاثًا﴾ وليكونوا كثيراً<sup>(٣)</sup>.

ومن التعريف السابقة يمكن القول بأن القابلة هي: أن يوزن بمعيين متوافقين أو معان متوافقة، ثم ما يقابلها أو يقابلهما على الترتيب، والبالغيون يفعلون في أسر القابلة، منهم من يجعلها نوعاً من الطاقة ويدخلها في إتمام التصاد، ومنهم من جعلها نوعاً مستقلاً من أنواع الصحيح، وهذا هو الأصح، لأن القابلة أهم من الطاقة

وحصة القابليات تعنى في توحيد القول بين الكلام على ما ينبغي، فإذا لم يأتها في صدر كلامه أن يحدد في صوره على الترتيب، بحيث يقابل الأول بالأول، والثاني بالتالي، ألا يتقدم من ذلك شيئاً في التعاقب والموازاة. ومن أجل الترتيب كانت القسمة سابقة.

الفرق بين الطاقة والقابلة:

والفرق بين الطاقة والقابلة يأتي من وجهين: أحدهما أن الطاقة لا تكون إلا بالجمع بين معيين، أما القابلة فتكون غالباً بالجمع بين أربعة أبعاد: فبعدان في صدر الكلام وبعدان في غيره. وقد تعنى القابلة إلى الجمع بين عشرة أبعاد: خمسة في الصدر وخمسة في الغير.

(١) كتاب القسط ج ٩ ص ٦١.

(٢) كتاب الشفا ص ٢٠٢.

والثاني: أن الطاقة لا تكون إلا بالأضداد، على حين تكون المقابلة بالأضداد وغير الأضداد، ولكتبها بالأضداد تكون أصل رتبة وأعظم مرفوعاً، نحو قوله تعالى: ﴿وَمِنْ رَحْمَةِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبَيِّنُوا مِنْ آيَاتِهِ﴾.

فانظر إلى معنى الليل والنهار في صدر الكلام وهما قيدان، ثم تأملهما بضمين: هما السكون والحركة على الترتيب، ثم هجر عن الحركة بلفظ مرادف لاكتساب الكلام بذلك ضرباً من المعائن زائداً عن المقابلة؛ ذلك أنه يدل على لفظ الحركة إلى لفظ انتهاء الفضل، الكون الحركة تكون لصلحة والفساد، وإبقاء الفضل حركة لصلحة دون الفسادة.

ومن أمثلة هذا النوع أيضاً قوله تعالى: ﴿وَيُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَوْتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾. فاعلم أن في كل صدر الكلام وجهين، بضمين، ثم تأمل الضمين في صدر الكلام بضمين لهما في المعجز عن الترتيب.

### أنواع المقابلة:

والمقابلة تأتي على أربعة أنواع على النحو التالي:

١ - مقابلة اثنين باتين: نحو قوله تعالى: ﴿وَلْيَسْكُنُوا كَثِيراً﴾، ونحو قوله عليه السلام: (إِنَّ اللَّهَ عِبَاداً جَعَلَهُمْ مَفَاتِيحَ الْغُيُوبِ مِثْلَ الشَّمْسِ)، وقوله أيضاً للأصمعي: (إنكم لتكثرلون عند الفزع وتقلون عند الطمطمع). وكقولك رجل يصف آخر: «ليس له صديق في السر ولا عدو في العلانية».

ومن مقابلة اثنين باتين في الشعر قول الشاعر الجعفي:

فإن كان فيه ما يسر صديقه      على أن فيه ما يسوء الأعداء

وقول الثوري:

يا نعيم يا منحز إنيك      وخلفك المأسول من وعيد  
ومن طبع هذه المقابلة ونحينا قول العباس بن الأختف:  
اليوم مثل الحبول حتى أرى      وجهك والساعة كالثهور  
قد قال اليوم بالساعة، والحول بالشهر، لأن الساعة من اليوم  
كالشهر من الحول جزء من التي عشر جزءاً.

٢ - مقابلة ثلاثة بلام: نحو قوله تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعم الله التي أنعمت عليكم الخصال ﴾ وقول علي بن أبي طالب لعماد بن عثمان: وإن الحق  
تقول دواءً والباطل عفيف مريء.  
ومن أمثلها شعراً قول أبي غلابة:

ما أسنن الدين والدنيا إن اجتماع      أوفح الكفر والإسلام بالرجل  
٣ - مقابلة أربعة بكسبة: نحو قوله تعالى: ﴿ قلنا من أعطى وقالى  
وصديق بالحق فستسره لغيري، وأما من جعل واستغنى والقلب بالحق  
فستسره لغيري ﴾. وقوله: ﴿ استغنى ﴾ مقابل لقوله: ﴿ اكفى ﴾ لأن  
معناه زهد فيما عنده واستغنى بملكوته الدنيا عن نعيم الآخرة، وذلك  
ينظم من عدم الثغوى.

ومن مقابلة أربعة أربعة أيضاً قول أبي بكر الصديق في وصيته عند  
الموت: وهذا ما أوصى به أبو بكر عند آخر عهده بالدنيا خارجاً منها  
وقول عهده بالآخرة داخلاً فيها، تعالى: ﴿ لو أن بالكر، والدنيا بالآخرة  
وحارجاً بداخل، ومنها معها.  
وبه شعراً قول أبي تمام:



يا أمة كان فتح الجور يسلطها      دعراً فأصبح حسن العدل يرضيها  
وقول جرير:

وسلط خير لوكم يبعثه      ولما هي شرهكم يبعثه  
وقول ابن حجة الحموي:

قابلهم بالرضا والسلم مسترحاً      ولوا غضباً فواصرى انقلاصه  
للمقابلة هنا بين وقابلهم وولوا والغرض والغضب والسلم  
والغريب والانتراح والغيظ.

٤ - ومن مقابلة حبة بفضة: قول الشاعر:

واطرء فوق عند الصبح مشتهر      وطائر تحت ذيل الليل سكتهم  
للمقابلة هنا بين واطرء وطائر لأن واطرء هو الذي على  
الأرض، والطائر هو السائر في الفضاء، وبين فوق وأتت، وهذا وظل  
لا يبيها من معنى العلو والسفل، إذ «الصبح والليل» و«مشتهر ومكتهم»  
ومنه قول صفي الدين الحلي:

كان الرضا يدنوي من خواطرهم      فصار سخطي أبعدي عن خواطرهم  
للمقابلة بين «كان» و«صار» والرضا والسخط والدنو والبعد، ومن  
ومن «خواطرهم» و«خواطرهم» على منسوب من يرى أن المقابلة محو  
بالأتمتة وغيرها.

ومنه أيضاً قول أبي الطيب المتنبي:

لزدوم وسواد الليل يشفع في      وأشي وبهاض الصبح يخزي في  
ومقابلة «الليل» بالصبح، لا تحسب إلا على المقابلة القاتل بجواز

المقابلة بين الأضداد وغيرها. أما على الذهب الثاني ينحصر المقابلة على الأضداد فقط فإن المقابلة بين «الليل والصبح» تكون غير تامة، لأن ضد الليل للضحى النهار لا الصبح.

• ومن مقابلة ستة ستة: قول الصاحب شرف الدين الأرملي:

على رأس عبد تاج عز بزمه      ولي وجل حور قيد، فك يشبهه  
للمقابلة هنا بين «على ولي» و«رأس وجل» و«عبد وحور» و«تاج وزيد» و«عز وولد» و«بزمه ويشبهه»

ويرى علماء النسخ أن رأس رتب المقابلة وألفها هو ما كثر فيه عدد المقابلات شريطة ألا تؤدي هذه الكثرة إلى التكلف أو تروحي به.

كذلك يرون أن المقابلة بالأضداد أفضل وأتم، وهذا هو مذهب السكاكي، فالمقابلة عند أن الجميع بين شيئين أكثر ثم تقابل ذلك بالأضداد، وإذا شرطت في أحد الطرفين أو الأثنين شرطاً شرطاً فيما يقابله فبد.

• • •

وبعد فليعدنا لمركزنا الآن من صورة دراسة لكل من المقابلة والمقابلة مدى أثرهما في بلاغة الكلام. لكل منها بعض على القول رويّاً وبديعاً ويؤدي الصلة بين الألفاظ والمعاني، وإلهو الأكثر ووضوحها شريطة أن يجري للمقابلة أو المقابلة معنى الطبع، أما إذا تكلمها الشاعر أو الأديب مؤلفاً تكون سبباً من أسباب اضطراب الأسلوب وتعقده.

ومن صفات الأديب الجيد تلاصق أجزائه واختلاف ألفاظه حتى كان الكلام بأسره من حسن الخوار وشدة التلاحم كلمة واحدة، وحتى كان الكلمة بأسرها حرف واحد. وكل يتم هذا التلاحم عن طريق التشابه يتم

كذلك من طريق التصاد، لأن المعنى يستدعي بعضها بعضاً، فبما ما يستدعي شيهه، وبما ما يستدعي مقابلة، بل إن التصاد أكثر عتوراً على أقبال من الشيء وأوضح في الدلالة على المعنى منه.

وعلى هذا كلها ظهرت الحاجة لرد المقابلة في الكلام بدعوة من المعنى لا تطفلاً عليه، كانت النجح في أداء دورها المتوط بها في تحسين المعنى.

### المبالغة

إذا نظرنا إلى المبالغة من الناحية التاريخية فإننا نجد أن عبادة من المعنى هو قول من تحدث عنها، فقد حثها في كتابه «الديباج» من محاسن الكلام والشعر، وعزتها بأنها «الإلزام في الصفا»، وبأنها لها.

وبهم من الأمثلة التي أوردناها أن كقواط في الصفة التي عطف على خبرين: ضرب فيه ملاحظة وقول: وأخر فيه إسراف وخروج بالصفة عن حد الإنسان.

ومن النوع الأول هذه قول إبراهيم بن العباس القصوي:

يا إنساً لم أر في الناس جبلاً      منه السرح حجراً ووصلاً  
كنت لي في صند يومى صديقاً      فعلى عيشك أسيئت أم لا ؟  
ومن النوع الآخر للسرف قول الخنصري:

يُدلي يديه إلى القلب لمستفي      لي سرجه يذل الزمخشرك الكرب  
وقول آخر يجوز رجلاً:

تلكي المصبرات إذا ما دعا      ونستعمل الأرض من مبداله

إذا انتهى يوماً لحوم الكفا صرّحها في الجو من كلفة<sup>(١)</sup>

• • •

ثم جاء بعد ابن القتيّ لقراءة من جملتها فتحدث عن إرموط الصفة  
وحدث من دعوت القفا، وكان أول من أطلق عليه اسم والمبالغة.

وقد عرّفها بقوله: والمبالغة أن يذكر الشاعر حالاً من الأحوال في  
شعر، أو يلف عليها لأجزاء ذلك في الغرض الذي قصد، فلا يلت حتى  
يزيد في معنى ما ذكره من تلك الحان ما يكون أبلغ فيها قصد، وذلك على  
قول صير القفا:

ونكسر جوارباً صامعاً بيناً وشبه الكرامة حيث كفا  
فأكرمهم للجوار ما كان فيهم - أي هنا إقامة بينهم - من الأملق  
الحيلة الموصوفة، وشبههم الكرامة حيث كان من المبالغة...<sup>(٢)</sup> ثم  
أورد بعض أمثلة أخرى المصحوب بها وذكر:

وفي كتابه وقد نقله القفا عن الإسراف في المبالغة قال: وربما  
أسرف فيه الشاعر حتى أخرجه إلى الكذب والهلل، وهو مع ذلك  
مستحسن قول أبي نواس:

لعليت من دعوي يخل جفاحه لعمري سوى دعوي وليس يراني  
فلو تسأل الأمان عني ما نرت ولئن مكاني ما عرفت مكاني<sup>(٣)</sup>

• • •

(١) كتاب الفصح لأبي نصر من ٥٥ - ٦٠، وألفها ربح هم

(٢) كتابه نقد الشعر للقفا من ١٠١ - ١٠٣

(٣) كتابه نقد الشعر من ٩٠.

ومن بعد مقدمة جاء أبو حلال العسكري بفردم المبالغة بقوله:  
 والمبالغة أن تبلغ بلعنى أقصى درجاته، وأبعد درجاته، ولا تقتصر في العبارة  
 عنه على أقل منزلة والقرب مراتبه، وينتقل من الشرائع قول الله تعالى:  
 ﴿يَوْمَ نَدْعُلُ كُلَّ مِرْصَعةٍ بِمَا رَضَعْتَ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتٍ حَلْيًا حَلْيًا وَنَرَى  
 النَّاسَ يُكَفِّرُونَ بِمَا هُمْ بِسَكَارَىٰ﴾. ولوقال: تدعى كل امرأة عن ولدها  
 فكان يداً حساً وبلاغة كاملة، وإذا حضن المِرْصَعة للمبالغة، لأن المِرْصَعة  
 أشغل على ولدها لمعرفتها بعبادة إلهها، وأشتغل به القرب منها ولزومها له،  
 لا يخالطها ليلًا ولا نهارًا، وعلى حسب القرب تكون المدة بالآلاف ...  
 وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَكُونُ بَقِيعَةٌ بِحَسَبِ الْقُدْرَانِ﴾. لو قال بحسب القرائن  
 فكان جيداً، ولكن لما أراد المبالغة ذكر القليل، لأن حاجته إلى إلقاء الشيء  
 وهو على غاية آخرى<sup>(٢٥)</sup>.

وبعد أن أورد أبو حلال بعض أمثلة من الشعر للمبالغة، تحدث عن  
 نوع آخر من المبالغة، وهو المبالغة في نوع الأمر، وهو أن يذكر المتكلم حالاً  
 لو كان عليه الأمر في حرمته شيئاً، فيجوز ذلك حتى يزيد في المعنى زيادة  
 تؤكد، ويطلق به لاسطة لزيد، كقولهم: عسى أن تطلى:

ونكرم جوارنا ما دام يوماً ونجده الكرامة حيث سالا  
 فلوكرامهم الجار ما دام فيهم مكرمة، وتباحهم يد الكرامة حيث  
 مال من المبالغة<sup>(٢٦)</sup>.

وتكلام أبي حلال هنا عن النوع الآخر من المبالغة هو في الواقع  
 تزييد لرائي مقدمة السابق في المبالغة واستشهاد بعض أمثلة.

\*\*\*

(٢٥) كتاب المناقب من ٣١٥

(٢٦) كتاب المناقب من ٣١٦

كذلك حرص ابن رشيق القيرواني للمبالغة، فذكر أنها قبيحون كثير، وأن الناس فيها غثولون، منهم من يوترها ويطول بتفصيلها، ويراعا العاقبة القصوى في الجوف، وذلك مشهور من شعوب نابذة بني ثبيان، وهو الغثالي. الشعر الناس من استجيد كله وضحك من رعيه.

ومهم من يعيها ويذكرها ويراعا عيأً وعجبة في الكلام، وقد قال بعض حنظل لقد الشعر: إن المبالغة ربما أسقلت للمعنى، وأثقت على السامع، فليست لذلك من أحسن الكلام ولا أيعرف، لأنها لا تقع موضع القول كما يقع الانقضاء وما فرجه، لأنه ينبغي أن يكون من أهم أعراس الشاعر والشكلم أيضاً الإيالة والإفصاح، وتقريب المعنى على السامع.

فإن العرب إذا فضلت البيان والمصاحبة، وحلا سطقها في العصور، وثقت القوس لأصحاب حساء، والمزادات لطيفة تكسه بياناً، ونصوره في القلوب تصويراً. **والمراد** الشعر هو المبالغة لكلي المحتشون الشعر من القدماء، وقد **رباهم** استأثروا للكلام حتى قرؤوه من فهم السامع بالاستعارات والمجازات التي استعملوها والتشكيك في التشويه، كما قال أبو الرضا:

عيا طيبة الوعداء بين حلاصل ربي العفا كنت أم أم سالم؟  
فلو قال: أنت أم سالم، حل ملي الشك بل لو قال: أنت أحسن من الطيبة، لما حل من القلوب حل الشك، وتكيا قال جرير:

صياك لسو رأيت عبيد نيم ونسيأ قلت: أيمم العبيد؟  
فلو قال: «عبيدكم» أو «غير منبه» لما طُرِّد به الصديق، فاحتك في تقريب المشابهة، لأن في قرعها لطافة تلج في القلوب، وتدعول القصدين والمبالغة في صناعة الشعر كالأستراحة من الشاعر، إذا أعياه يروا

معنى بالغ، فيشغل الإسماع بما هو هائل، ويؤثر مع ذلك على السامعين،  
ولما قصدنا من ليس ينسكن من محاسن الكلام.

ويعلق ابن رشيقي على الرأي السابق الذي أوردناه لأحد العقليين بقوله  
الشعر قائلًا: «والي هذا الكلام كغاية وبلاغ، إلا أنه فيما يظهر من ليعود لم  
يُرد إلا ما كان فيه بعد، وليس كل مبالغة كذلك.

فالغلو هو الذي ينكره من ينكر المبالغة من سائر أنواعها ويضع فيه  
الخلافاً لا ما سواه... ولو بطلت المبالغة كلها وبقيت لبطل التشبيه  
وعُزيت الاستعارات إلى كثير من محاسن الكلام...»<sup>(١٩)</sup>



لما التفتنا من سائر من أمثال الخطيب القزويني فيعدون  
والبالغة المقبولة من محاسن الكلام ونسجده، وبعرفوها بقولهم: «والبالغة  
أن يُلغى الوصف بلوغه في الشدة أو الضعف حدًا مستحيلًا أو مستبعدًا،  
لكل ما يظن أنه غير متناه قهراً»<sup>(٢٠)</sup> أي شلا يتوهم أن أحداً من العقلاء يظن  
أن الوصف المسمى غير متناه في الشدة والضعف.

والسكافي إذ يذهب للمبالغة والمقبولة، إنما يشير بهذا التلميح إلى الرد  
على من زعم أن المبالغة مردودة مطلقاً، مختصاً بأن غير الكلام ما يخرج  
خارج الحق، وكان على منيح المصنف القول بحالين من ثابت:

والما الشعر أب الرد يعرفه على المجازين إن كثيراً وإن حداً  
وإن أنشعر بيت أنت لسانه بيت يذوق إذا أنشدته صدقنا  
والى الرد كذلك على من زعم أب مقبولة مطلقاً، وإن التفصيل

(١٩) كتاب المصداق ٢ من ٢٠، ٢٢.

(٢٠) كتاب النظم القزويني من ٣٠.

مقصود عليها، والمخلص كلها متسوية إليها، مختصاً بأن أحسن الشعر  
أكذب، وحبر الكلام ما يولع فيه.

وتنحصر الباقية عند السكاتي في التبليغ والإغراق والغلو، لأن  
الوصف الذي إذا كان ممكناً حتماً وبعيداً فينبغ كقول امرئ القيس في  
وصف فرسه:

فصاتي جدها بين ثوبة ونحمة دراكاً ولم يتضح لبداء فيفسل  
قد وصف فرسه بأنه طرد ثوراً واسعة من بئر الوحش وأنه أتركها  
ولفها في طلي وقبوط واحد من غير أن يعرف عرقاً مفوطاً يسل جسده،  
أي أتركها ويصاحبها دون معانة مشقة ومقاومة شدة، وذلك أمر ممكن  
حتماً وبعيداً.

وإذا كان الوصف ممكناً حتماً لا حاجة فهو الإغراق، كقول عدي  
الطائي:

ونكرم جلودنا ما دام حسا ونجعه الكرامة حيث صلا  
الشاعر يدعي أن حماره لا يميل عنه إلى أي جهة إلا ونجعه  
الكرامة. وهذا أمر ممكن حتماً لا حاجة، أي أنه ينتج حتماً وإن كان غير  
محتاج حتماً.

وعند السكاتي ومدرسته أن هذين النوعين من المبالغة، أي التبليغ  
والإغراق مقبولان. أما إذا كان الوصف الذي غير ممكن حتماً وبعيداً فهو  
الغلو، كقول أبي نواس:

وانطقت أهل الشرك حتى أنه استخسك السطع التي لم تخلق  
فالغلو هنا هو في إسناد الخوف إلى السطع غير المعقولة، وهذا أمر  
محتاج حتماً وبعيداً.



ويرى السكاكي أن من الغلو أصافاً مفرطاً، منها ما أدخل عليه ما يفرقه إلى الصفة نحو القطة فيكفده التي تعيد عدم التصريح بوقوع الحال، نحو قوله تعالى: ﴿فِي بَكَاءٍ زَيْتٍ يَفِيءُ﴾ ولو لم يفسد بقرينة، لكان إضمار الزيت كإضمار الصباغ من غير أن يفسد البكاء حال حلقاً. ولكن إدخال فيكفده هنا أحمد أن الحال لم يقع ولكن قريب من الوقوع بالغة ومن الغلو المتيقن عدم أيضاً ما تضمن نوعاً حسناً من التخييل، كقول المتني يمدح ابن هملو:

أقلت تبسم والجبهة عسوسى      بمن بالحقى لمصاعف والفتى  
 عذبت سابكها عليه عيسراً      لو تفتى عتفاً عليه لأمكن<sup>(١)</sup>  
 فلتنى في البيت الكلى ما يفتى تراكم القبار الكثيف الرقيق من  
 سباتك الخليل فوق رؤوسها      بعثت جمر أبيضاً يكن سربها عليها. وهذا  
 مدح حلقاً وحادة، لكنه جميل حسن.

وقد اجتمع الأمران أي إدخال ما يفرق الباطل إلى الصفة وتضمن التخييل الحسن في قول القاسمي الأرجاني:

يُخَيَّلُ لي أن سَمَرَ الشَّهَبِ في الدَّمَى      وشذت بأعذاب إلهن الجفاني  
 فالأرجاني يصف الليل بما «يطول» فيقول: «يخيل لي أن الشهب  
 تحكك بالسمير في الظلام لا تتخل من مكانها، وأن أعذب عيناً قد شذت  
 بأعذابها إلى الشهب تطول سميري في ذلك الليل» وهذا جميل حسن،  
 ولغز جميل يزعمه حسناً.

(١) بمن - يمدح سير الجسد، وهو صمد من الغلو والمفرى، والحق. المصاعف: القروح  
 الكثيرة، والفتى: الترميح، والسمت: جمع سبت، وهو طوبى، نظم الشعر، والفتى  
 العذر، والمعنى يمدح اللون والورد، صمد من السير الممدوح

ومن الظن المقبول أيضاً ما أخرج عرج الخزل والملاحقة، كقول  
القبائل:

أسكر بالأس إن عزمت من الشر      ب غسقا إن ذا من العجب

\*\*\*

ومن كلام السكاكي السابق يتضح أن المبالغة المقولة عنه هو ومن  
لقد تنحصر في التبليغ، والإعراق، والظن.

لقد كان الوصف الذي تركباً عطفاً وعلامة فهو التبليغ، وإذا كان  
تركباً عطفاً لعلامة فهو الإعراق، وإذا كان تركباً عطفاً وعلامة فهو الظن.

كما يتضح أنه يرى أن هناك أصنافاً من الظن طيبة، منها ما أدخل  
عليه ما يفرقه إلى الصفة نحو لفظة «يكاد»، ومنها ما تضمن روحاً حسناً  
من التبليغ، ومنها ما اجتمع فيه الأمران، ومنها ما أخرج عرج الخزل  
والملاحقة

السكاكي ومنه المبالغة الخزنية يحدده المبالغة بأشواط الثلاثة من  
تبليغ وإعراق وظن ما واحداً من فنون التبليغ المعنوي.

ولكنه يرى أن الشعراء من أصحاب التبليغ يدخلون كلاً من المبالغة  
بمعنى التبليغ، والإعراق، والظن ما ينبغي فائياً بذلك.

ولذلك فهم يقصرون المبالغة على التبليغ بمعناها عند السكاكي،  
أي إمكان وقوع الوصف الذي عطفاً وعلماً، أو كما يقولون في امرئهم  
في الإعراق في وصف الشيء «بالتكثير الطرب» وقوله علقاً.

واعتبر الشعراء المبالغة بأشواط على أنها ثلاثة فنون بدعية  
مستقلة فيه تطوير المفهوم، فبالله، وهو أول الانساج لأنه يميز كل فن من  
الأخر، ويحول دون الخلط بينها وتداخل بعضها في بعض.

ومن أصل ذلك يظهر بما أنه ندرس كلاً منها عن حدة الخروج  
بصورة واضحة المعالم لكل من من هذه الشئود الدينية الثلاثة. والآن وقد  
تتمتعنا بتأريخ الباطنة ونظورها ومعضلات القول عن الباطنة بمعنى التبليغ، أو  
بمعنى الإفراط في وصف الشيء، فالممكن القريب وقوعه عائد لزماننا الذي  
على بعض تلكه أخرى لما نريدها دمجاً، ثم نطلق إلى دراسة كل من  
الإفراط والقلو على أنه فن بمعنى مستقل بذاته.

فمن أمثلة الماتعة بمعنى التبليغ، أو بمعنى الإفراط في وصف الشيء  
الممكن القريب وقوعه عائد، قوله تعالى في وصف أعمال الكافرين: ﴿أَوْ  
كَلِمَاتٍ فِي بَحْرٍ مَجْيٍّ يَشْقَاهُ مَوْجٌ مِنْ قَوْفِهِ مَوْجٌ مِنْ قَوْفِهِ سَحَابٌ مَلَمَلَاتٍ  
بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهُ﴾.

ولو وقف الكلام عند ﴿أَوْ كَلِمَاتٍ فِي بَحْرٍ مَجْيٍّ يَشْقَاهُ مَوْجٌ﴾  
لكان المعنى تاماً بديعاً، ولكن تراهف المصنف بعد ذلك والإفراط فيها  
أضاع للمعنى ظلالاً وادتمت من درجة القول الذي يتطابق من خلال هذه  
الصورة التي ألونها الباطنة ظليةً ولفظية في البلاغة إلى غزوة الإصطلاح.

ومن الأمثلة أيضاً قول ابن سائط السعدي في سيف النبوة:

لَمْ يَنْ يَنْ حَبْرَكَ فِي قَلْبِهَا لَوْحَةٌ      تَرَكَنِي أَصْحَابُ الدُّنْيَا بِلاَ أَمَلٍ  
وَمَنْهَ قَوْلِ ابْنِ الرَّومِيِّ مِثْلَةً فِي الْبَهْلِ:

لَوْ أَنَّ لِعَصْرِكَ يَا مَنْ يَوْمَئِذٍ عَمَلٌ      إِسْرَافاً يَهْدِي بِيَا قَتْلِهِ الْقَسْوَلُ  
وَأَنَّكَ يَوْمَئِذٍ بِسَعِيرِكَ إِسْرَافاً      لِيَحِيطَ قَلْبُهُ قَمِيصَهُ لَمْ تَقْصِلْ  
وقوله أيضاً:

فَسَيُغْلَى عَلَى عَمِيرَةٍ وَمِثْلِكَ      أَسْفَرُ مِنْ وَالِدٍ غُلَى وَلَدُهُ  
وَلَقَدْ مَنَعَهُ حَبْرٌ تَسْلِيَهُ      مَكَانَ دُرُجِ الْجَبَلِ مَنْ جَسَدُهُ

ومنه قول زهير بن أبي سلمى في مدح هرم بن سنان  
 بطيهم ما قرأوا حتى إذا أطروا      فحرب حتى إذا ما صاروا أحراراً<sup>(١١)</sup>  
 فزهر حين المدح على أمدك في كل حال من أحوال البسالة  
 والشجاعة فضلاً وبإضافة.

ومنه قول أبي فراس الحمداني مستخرجاً:

والمرحورح لم يزل كسيرة	معوقة ألا يفلح هذا العصر
والسؤال يكسح عسيرة	كثير إلى راحة النظر والشور
فأطفا حتى لو توى شمع رافدا	واسحب حتى يشع الخشب والنسر
ونحن أكنى لا توسط عسيرة	لما أصدر يوم العاقين نور القهر

ومنه قول المتنبي مستخرجاً:

إذا صلت لم أترك فضلاً لفضل      وإن قلت لم أترك فضلاً لفضل  
 وقول آخر مضافاً إلى الهجاء:

سؤلت حين أن الهول شديداً      بعيداً عن الأوهام في زمن الملح  
 فما زال لي إقرصهم وانقضاءهم      واحساسهم حتى حسنتهم أهمل

### الإعراق

وكانوا فيها سبق أن المائدة القوية عند السكك التي تنحصر في التلح  
 والإعراق والخلو. وإذا كان الوصف الذي تمكناً عنلاً وإعانة فهو التلح،  
 وإذا كان تمكناً عنلاً لإعانة فهو الإعراق. وإن كان تمكناً عنلاً وإعانة فهو  
 الخلو.

(١١) وصف الطموح بأنه يريد من أمدك في كل حال من أحوال البسالة.

كذلك ذكرنا أن السكالي عرف الحقيقة المقولة بقوله: هي أن  
يُقال لوصف بلوغه في الشدة والصفاء حداً مستحيلاً أو مستبعداً.

وإذا تأملنا هذا التعريف وجدنا أنه يتطابق على نوعين فقط من أنواع  
الحقيقة عند السكالي هما: المعلوم والإغراق. ذلك لأن القول هو المستحيل  
حَقّاً وعادةً، والإغراق هو المستبعد وبلوغه عادةً لا عقلاً.

وعلى ذلك فالإغراق في اصطلاح اللاحقين: هو الوصف الممكن  
ولمعه عقلاً لا عادةً، أو سلباً أسمى هو الإغراق في وصف الشيء بما  
يمكن عقلاً ويستبعد ولمعه عادةً. ومن أمثلة ذلك قول صموئيل التلميذ  
الساين:

ونكرم جواربا ما دام فيها ريشه الكرامة حيث عقلاً  
لأكرامهم الشعار عند إقامته بينهم من الأعراف الجميلة الموصوفة،  
ومنه بالكرم عند رجليه وعلى قدم الكرم شدة ريشه حيث كان وفي  
كل حية يبل إليها هو الإغراق عند ريشه الممتنع عادةً وإن كان غير  
ممتنع عقلاً.

والقول من الإغراق والظن لا يمتد من محسوس القول ويدرج للمعنى إلا  
إذا دخل عليه أو القرون به ما يقر به إلى الصحة والظن، فهو وقته  
للاحتمال، وولوه والولاء للاستباح، وداكته للمطالبة، وما أمسه ذلك  
من كوارث الظروف.

ولم يقع شيء من الإغراق والمعلوم في القرون الكريم ولا في الكلام  
القصيح إلا بما يخرج من باب الاستعداد والاستحالة ويدخله في باب  
الإمكان، نحو: كان ولو وما يجري مجراها

ومن أمثلة ذلك في الإغراق قوله تعالى: ﴿وَكَانَ سَبّاً يَرْفَعُ يَدَهُ﴾

والأصغر  $\varphi$ ، إذا لا يستحيل في العقل أن الفرق ينطق الأصغر، ولكنه  
 يتبع عادة. والذي زاد وجه الإعراف هنا بدلاً هو تفرقه إلى الصيغة بالنقطة  
 وبكثافته، واقتراح هذه الجملة بما هو الذي صرح بها إلى الحقيقة، فقلت  
 من الامتناع إلى الإمكان.

ومن شواهد القريب نوع الإعراف بالنقطة «لوه قول زهير:

لو كان ينفذ فوق الشمس من كرم قوم بأولهم أو يجتهدهم لعدوا  
 فاقتران هذه الجملة أيضاً بالنداء فعود القوم فوق الشمس السعد  
 «لو وهو الذي أظهر بيعة شمسها في باب الإعراف» على حد قول من  
 حجة السمو.

وما استشهد به أيضاً على نوع الإعراف بالنقطة «لوه الذي يمكن  
 الإعراف بما عطفاً ونسج حجة قول الناقلي

ولو أن ما بين من جوى ومكانة  $\varphi$  «لو على لم يدخل القدر كحصر  
 وقبل الحديث عن الإعراف في هذا البيت نذكر أن فيه نظراً من  
 طرفه عطف إلى قوله تعالى:  $\varphi$  «و من الذين كذبوا بآياتهم واستكبروا عنها لا  
 تدخل لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلقى الجحش في ستم الخياط.  
 وكذلك نجزي المستعجمين  $\varphi$  فالجمل له معيار: الذكور من الإبل والجمل  
 العظيمة، وبسم الخياط: لقب الإبرة

فالمراد هنا أن الكاذبين بآيات الله والمستكبرين عنها لا تدخل لهم  
 أبواب السماء، أي لا تقبل دعواتهم ولا أصواتهم، ولا يدخلون الجنة حتى  
 يدخل الجمل بلقي معنى من معنية السلفين في لقب الإبرة، وبما أن دخول  
 الجمل المعروف أو الجمل العظيمة في لقب الإبرة الضيق الصغير أمر بعيد  
 فكذلك دخول هؤلاء المكذبين بآيات الله الجنة أمر مستبعد.

ولقد ألقى نظر الشاعر في البيت السابق، فهو يريد أن يقول: لو  
كان ما به من الحب يحمل لأصناف النحول والصمود والجمال إلى حد يمكنه  
من الدخول في سم الحياض، ولو تغلج دخول الحمل في سم الحياض لما بقي  
في النار كغير لزوال القبح لهم من دخول الحما.

ودخول الحمل في سم الحياض لا يستحيل عملاً إذ القدرة قائمة  
لذلك لكنه كصعب عملياً. فإن قد حلت قدرته إذا شاء وشيخ سم الحياض  
حتى يدخل فيه الحمل، وإذا شاء رفق الحمل حتى يصير كالخطوط الرفيع  
يدخل في سم الحياض. ومن ذلك ينبغي أن الأمر غير مستحيل عملاً لكنه  
كصعب عملياً، وهذا غاية في الإعجاز.



ولا استشهدوا به على الإعراف بعد أدلة من أدوات القويمة قول  
امرئ القيس في وصف أبيات عاتكة بنت النعمان من النعم:

كأنك الشام وحسب الصمام <sup>1</sup> يرويح الغرمي ويشر القطر  
يفعل به سره أيسباً <sup>2</sup> إذا صرد العائس الضعور <sup>3</sup>

فامرؤ القيس يصف حبس راتكة لم يصاحبه سمرراً عند لغير  
الأنواء بعد النوح بأنه شبه بطيب الرليحة المسعة من رويح الخمر الشربة  
بلقاء الخي والحزمي والبحر متممة <sup>4</sup> إذا كانت هذه الرليحة تعرفها جيد  
نوعها مبكرة من النوح، فكيف تعرف راتكة تعرفها في عودتي الخليل

---

(١) الشام: الخمر يقدم من غرباً أو من الجنوب في الشام. وحسب الصمام: حطر الصمام.  
يرويح الغرمي: رليحة عاتكة طشت الطوب الرفيع، ويشر القطر: يصرم القطر بضم القاف والطاء:  
الطاء طيرة الذي يصرم به، يدل به روح أيسباً: يصرم به شالطاً شادراً مرة بعد مرة،  
عائس الضعور: الضعور في وقت الضعور.

والأولاد؟. فإلّا إفرق في تشبه طيب رائحة طم مراك عود تطير الألبوم بعد  
الطبخ بالرائحة الثالثة من احتلاط رائحة العطر المشوية بذلك الشيء بالرائحة  
الطراحي والبخور . الأمر غير مستحيل قطعاً لكنه يتبع عادةً .

ومن الإفرق في الوصف أيضاً بغير أداة تقرب قول الشاعر:

فقد سمعتم أبلسه من صبيحت    فاطلوا الشخص حيث كان الأبن  
وصف الشخص بأنه لا يرى لعدة نحول إلا بأنني أو ثابره إفرق  
في الوصف يتبع عادةً، لكنه غير مستحيل قطعاً .

وتطير هذا الشيء قول ابن حجة الحموي:

وقد تجاوزت صمبي بعد كل طير    وبها أنا اليوم في الأوهام ثقيل  
وطيره أيضاً قول شرف الدين عمر بن الطراحي

تدلى خلال الشبك لولا نأوهي    فصب فلم يبد العود لروحي  
ومن قول صفي الدين ابي في وصف معرك

في معرك لا تتر اهبل غيره    أما تروى للواصي سرمة مدم  
وصف المكان الذي يترك فيه العرس بأن الحبل التي تحملهم  
وتحلب بهم هذا وهذا لا تتر عبارات موفها لكثرة ما تروى في تواب المعرك  
من الدماء التي أراقتها السيوف الواصي . أقول هذا الوصف فيه إفرق  
شديد، إذ لم نر عادة أن تروى أوص معركه مدم بل هذا الحد، لكنه  
أمر غير مستحيل قطعاً .

\*\*\*

من كل ما تقدم يتضح أن الإفرق، وهو الوصف للمكان وفوجه  
قطعاً لا عادة نوهان . إفرق في الوصف لدعل عليه أداة تقريبه إلى



الصحة والقبول، والإغراق في الوصف مجرد من أدوات التقريب  
ولا شك أن المقارنة بين النوعين وعلى ضوء الشواهد السابقة تظهر  
أن الإغراق يقترب بأداة التقريب عن الأتيح له ويصح الدلالة على التقى  
وفي الإضافة إليه مضموناً بما يكسبه رونقاً وهدوءاً  
ولكن على الرغم من كل شيء، يبقى الإغراق موحياً لنا شيئاً يذكّر  
من غون الشيخ الشعرية.

### الغلو

الغلو في أصل الوصف الشعري مأخوذ من الغل والغلو في كل شيء  
والإغراق فيه وهو مشتق من الغلغلة، ومن غلوة السهم يخرج الغنم  
ويكون الغلام، وهي غلوة دابة، يقال: غلوت فلاناً غلوتاً وغللاً بكسر  
الغين، إذا اغترلها ليكنها لغير غلوتها سحرًا.

وقد عرفنا ما سبيل إلى المبالغة بمعنى التبالغ في إمكان الوصف  
لشئ غللاً وغلوتاً، وأن الإغراق هو إمكان الوصف لشئ غللاً  
لا غلوتاً.

أما الغلو في اصطلاح مبدعين فهو: امتناع الوصف لشئ غللاً  
وغلوتاً. وعلى هذا فإذا كان الإغراق فوق المبالغة بمعنى التبالغ في التحليل  
لشئ والإغراق في الصفة للصفة، فإن الغلو فوق المبالغة والإغراق من هذه  
الطائفة.

ولعل ابن رشيق القيرواني<sup>(١)</sup> من الأوائل من توسعوا في بحث

(١) نظر في هذا المعنى كتاب الصفة لابن رشيق ج ٢ ص ٤٧ - ٦٧.

والعلماء، فقد تناولوه في كتابه المصنف من جوانب متعددة ألزم فيها بعض آراء سابقيه ومعارضيه وحلّل عليها بما من له شخصياً من آراء وأفكار.

ظهر أولاً معارض من يرى أن قضية الشاعر إما هي في معرفته بوجوده الإغراق والمغشور، ولا يرى ذلك إلا محالاً، لمخالفة الحقيقة ومغروبه من الواجب والعلمانية.

وهو يوافق المذاهب الدليلية: «غير الكلام الحقيقي، فإن لم تكن فيها غاربية وناسها، وأشد المبرد قول الأعمش:

ظن أن ما أفسسني من منطق... يعود تمام ما تناه حسودها فقال: هذا متعلو، وأحس الشعر ما قارب فيه القتال إذ شبه، وأحسني به ما أفسس الحقيقة»<sup>(٢١)</sup>

وأصبح الكلام عند ابن هشام ما قام عليه الدليل، ولدت فيه الشك من كتاب الله، وقد قرأت الشعر فيه بالخروج عن الحق، فقال سق من قتال... يا أهل الكتاب لا تظنوا في دينكم غير الحق»<sup>(٢٢)</sup>.

كما أن علي تعريف قدامة للعلماء وهو: تجاوز في لغت ما للشيء أن يكون عليه، وليس خارجاً عن طبعه... وحل هذا تطويل أصحاب التصدير لوله تعالى: «ولم يلفظ السحاب غير الحق»<sup>(٢٣)</sup> أي: كاذب...

كذلك لورد رأي القاضي الفرجاني<sup>(٢٤)</sup> في الإكراه، وسلامته أن الإكراه مذهب عام في التحدثين وموجود كذلك لدى الأوائلي، وأن الناس يختلفون فيه: من مستحسن قائل، ومستصح راد، وإن له رسوماً من واقع الشاعر مثله، ولم يتجاوز الموصف حد ما سلم، ومن أجازها سمحت له

(٢١) هو أبو الحسن علي بن عبد الصبر الشهير بالقاضي الفرجاني لقول سق...  
(٢٢) هو صاحب كتاب الوصفا بين كسبي ومضوريه.

الغاية، وأنه الخلق إلى الإحالة، وإنما الإحالة نتيجة الإكراه، وتسمية من الإكراهي.

والصالحى (٢) في القول رأي ذكره ابن رشيق وهو: وجدت الغلبة بالشعر يصيرون على الشاعر أيدت القول والإكراه، ويختلفون في استحداثها واستحداثها، ويحجب بعض مهم جاء، وذلك على حسب ما يوافق طبعه واعتباره، ويرى أنها من إبداع الشاعر الذي يوجب الغلبة له، فيقولون: أحسن الشعر كذا، وأن القول إنما يروى به لبالغة والإكراه، وقالوا: إذا كان الشاعر من القول كما يخرج عن الموجود ويدخل في باب التصريح إنما يريد به القتل ولو لم يرد في القتل، واعتبرا بقول الطبيعة وقد مثل: من أشعر الناس؟ فقال: من استجد كذا وأصيح كذا، وقد طعن قوم على هذا المذهب لثقلته الخفية، وأنه لا يصح عند القتل والفكره.

ويعلق ابن رشيق على أحسن القولين بأن كما قام هو الذي توسع في باب القول وأيدت الناس هذا القول: جوابي أبو تمام بما نحن فيه؟ فإذا صيرت إلى أي الطيب - للنسي - صيرت إلى أكثر الناس خلوا، وأبعدهم فيه مما، حتى لو قصر ما فعل منه بيتا واحدا، وحسب تلج به القتل إلى ما هو صدقني، وله في غيره مشروحة كثيرة.

يتبرهن من عني وشفت - عن فيه أهل من التوحيد وإن كان له في هذا تأويل ويخرج بصله التوحيد غاية القتل في الخلاوة فيه... (٣).

\*\*\*

(٢) هو أبو علي محمد بن الحسن الطوسي - كتب شاعر بعد أن جدد كتب في الفقه والأدب والفقه والفرائض، توفي سنة ٢٨٥ هـ.  
(٣) كتاب الصفا ج ٢ ص ٤٨ - ٦٦.

بعد هذه التقييدات من كتاب المعتمد لأبن وهب والتي تعرض فيها  
للعلو من بعض القرواب يذكر أن رجال الديع يسمون القلو المسمون:  
مقبول وغير مقبول:

١. فالقو الحسن القول مستعم هو ما دخل عليه أو اقترن به أدلة  
من الأبيات التي تنزيه إلى الصحة والقبول من شعر: وقد استدل  
وقوله وقوله لا تمنع، ودلالة التشبيه، وبكاه القفوية، وما أشبه  
ذلك.

ومن أدلة القلو الحسن القول لا اقترانه بأدلة من أبيات التخریب  
قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ زَيْتٌ يُفْسِدُ﴾ ولو لم تحسه نازي، فإن إضافة الزيت  
من غير من ناز مستحيلة عقلاً، ولكن لفظه وبكاه قرنته القلو  
مقبولاً. ولهذا يجب على ناظم القلو أن يسلك في قرواب القفويات الحسة  
التي يدعو العمل إلى قولها في قولكم:

ومن أدلة القلو القبول أيضاً قول شعري

تلكه يفسده من غير رام فكيف من القلوب السسلا  
تلكه سبوتة من غير سسل الحمد إلى ولناهم السسلا

فالقصي التي تسند ماخا إلى القلوب من غير رام، والسيف التي  
تسل إلى القربى تحصل فيها من غير أن تسلي من أفتادها لمران  
مستحيلان عقلاً ولفظاً، ولكن القصي حسي هذا القلو وحسك مقبولاً هو  
دحوال لفظه وتلكاه التي صيرت ما بعدها قريب الوقوع لا واقعاً فعلاً  
كما كان الشأن قبل لدخلها.

وعلى هذا النحو يذكر قسم القلو نفس القول الذي دخلت عليه  
وبكاهه في قول ابن عديس يصف فرساً:

ويكده يخرج مسرعة من طه لم تكن يبرعه في عواقب دغلي  
وقوله العزلة في هي من الغيرة من علي بن أبي طالب كرم الله  
وجهه:

يكده يمسكه جسر طه واحده ولكن العظيم إذا ما جاء يستلم  
وقوله في صخر:

تكد يدي تشدي إذا ما مستها وبت في أطرافها التورق الظفر  
ومن الظفر الحس القول يدعول أدلة الانتاج دلوه عليه لحوال  
البحري في مدح الخليفة المثلث

ولو أن مشتقاً تكلف جوف ما في وسعه لسمي إليه التفسير  
لسمي لمر إلى الحقيقة الشجر لغير من اشتباه له عندما يطوى  
ليحطب في الناس ورمط في الجبل لآية لير الصفة والقول لطفه دلوه.

ومن هذا الضرب من القول يقول في الطيب في قوله  
لم تغفل الشجر التي قاتلتها سدت قفيه إليك الأفضنا  
عند الأشجار أفضنا لفة لمستوح عند مروره يا أمر مستحيل  
لا ممانعة غفلاً ومغفلاً، لكن الذي حش هذا القول وسيله طوقاً هو دخول  
دلوه التي أمانت امتاع وتخرج هذه الأمر المستحيل لا ممانع أن تغفل  
الأشجار.

واللهي كما يقول ابن رشيق من أكل الشجره وألماً بالقول وأبعدهم  
فيه حمة، حتى لو قدر ما أمل منه بيتاً واحداً وما جاء عند أيضاً من هذا  
القول القول لدخول دلوه عليه، قوله محطاً طلقاً:

لم كنت تنطق قلت مستندراً في غير ما بك أيا السرجلي

وتقوله مستغراً:

ولو برز الزمان إلى شخصاً غصب شعر عرقه حسني<sup>(١)</sup>  
وتقوله في ليلة المنوح:

ولو يمتهم في الحشر أهله لأعطرك الذي صلبوا وصاموا<sup>(٢)</sup>  
ومن العلو القول ولادة أخرى إلى الصفة «ولولا» قول أبي العلاء  
لغري يصف سيفه المنوح:

يذهب الرعب منه كقل عصا ولولا الحديد يسكه السلا<sup>(٣)</sup>  
فلعلني هنا أولاً. إن سيفك أيا المنوح نباه السيف ويصاح  
بالرعب والفرج منه كما يملك فرحان وصامون بالرعب والفرج منك،  
ولأنه ما يجوز على السيف أن يسقى حديد ولولا الحديد يسكه الطهر  
سلا

فلذلك كل سيف إلى حد سلاوي في عمله باعث الرعب من  
سيف المنوح لم تنتج عقلاً وحاشا. ولكن تدعى «ولولا» التي أفادت  
امتناع سلاي هذا السيف القاتل لوجود حبله الذي يسكه من السلاي  
قد جعلت هذا العلو شرط في العمل مقبولاً

• • •

---

(١) الفرق وسط الرأس، وأصنام السيف القاطع يقول إن الرعب الذي هو على  
التكديت والفرج أو كان شخصاً لم يرد إلى غداً غصب شعر رأسه سيحي

(٢) يمتهم: المصائب، ولهم كتاب يدرسون وطاعهم يقول: إن أباد ليلة المنوح  
بالرعب والرعب لا يبرون سلاي حتى لو المصائب سلاي يوم القويحة لأعطوه صلايهم  
وصلايهم.

(٣) الغصب: السيف.

٦ - أما تصور غير القول فيتمثل في دفعي الذي يمنع عقلًا واحدة مع حلوله من السمات القويمة التي تدعى إلى الصحة والقول. فمن أمثلة ذلك قول الخفي مائحا:

ففي قلب حمزة رأيت في زمانه      كل جزوه بعينه قراني أجمع<sup>(١)</sup>  
فمن ما في البيت من معنى التعليل مائحا عن التقديم والتأخير الذي اختصه الورود بهذا المعنى أن يقول: إن هذا المقطوع في رأيه في أمثال زمانه يظهر قلب حمزة، وكل جزء من هذه الأجزاء يعادل جزء منه كل ما لدى الناس من الرائي.

فوحده يسان رأيه على اسمع مدي صورة الشاعر تمنع عقلًا واحدة، وهو نظر فث لا يذهب إلى الإيهام به بل إلى التصحبه منه أ  
ومنه أيقنا مائحا:

وبنس دون مسطرتها التيليسيا      وكيف دوبا مدي السسجل  
ومنه قول أبي نواس في وصف الخمر

عليا شربناها ومن ديسها      بل موضع الأسرار قلت له: ففي  
عجدة أن يسطر على شعاعها      فطالع بدعالي على سرى الخفي  
مسطرة شعاع انظر عليه بحيث يظهر جسمه شفافا يظهر ليديه ما  
في باطنه لا يمكن عقلًا ولا حجة، فهو حلو مفرط.

• • •

ومراتب القول في العلم تتفاوت إلى الحد الذي تؤول به أهلها إلى الكفر، فمن ذلك قول أبي نواس مائحا:

(١) رأيت البيت هكذا على رأيه في هذه القصيدة، فمن هذه الأجزاء بعضه - أي بعض جزوه من رأيه قراني الذي في أيدي الناس كله

وأنطقت لعل الشوك حتى أنه استعانت الأسقف التي لم تخطئ  
وهذا كما لا يخفى أمر مستحيل، لأن قيام البرص القويض وهو  
الطوف بالدموم وهي السقف التي لم تخطئ لا يمكن عقلاً ولا حجة.  
ومن قول من قال: الأسقف في سطح قصيدة يندج بها القمر لكون  
الله العاطفي:

ما شئت لا ما شئت الأقدار فاحكم صالت الواحد الظهار  
فأبوء أن مشية القمر فوق مشية الأقدار وله هو الواحد الظهار  
يوهم الكفر.

ومن قول المتنبي في مدح سيف الدولة:

أجوزت مقدار الشهادة باليسر إلى قول قوم أنت بالعيب عالم  
يعلم العيب من استأجر الله من إظهارهم كان يسألاً كثيراً من كان  
يعلم العيب إغراط في علمه يزول علمه إلى الكفر

### الإيهال

والإيهال ضرب من الهلعة، أي أنه في القول خاصة لا يدعوها.  
والإيهال مشتق من الإيهاد، يقال: أوهل في الأرض إذا أهد فيها، وأهل  
إبه سرعة الدخول في شيء، يقال: أوهل في الأمر إذا دخل فيه بسرعة.

فعل القول الأول كأن الشعر قد أهد في الهلعة وأهد فيها كل  
الذهب، وعل القول الثاني كأنه أسرع الدخول في الهلعة بهيمته الفظية.

والإيهال الذي هو ضرب من الهلعة مقصود على القولين يعني أي



الشاعر إذا انتهى إلى آخر البيت استخرج قافية يريد بها معنى زائفاً ،  
فكأنه قد تجاوز حد القنص الذي هو أحد فيه ، وبلغ مراده فيه إلى زيادة  
عن الحد .

وهذا النوع من الخاطئة قد قرأه تسانا بن جعفر وعرفه بقوله : وهو  
أن يستكمل الشاعر معنى به تامه في أن يأتي مقبوضه ، فإذا أراد الإتيان  
بها ليكون الكلام شعراً أراد بها معنى زائفاً على معنى البيت (٢٢) .

وعرف أبو هلال العسكري الإبدال بقوله : وهو أن يستولي معنى  
الكلام قبل البلوغ إلى مقطعه ، ثم يأتي بملغظ من يد معنى آخر يريد به  
وضوحاً وشرحاً وتوكيداً حسناً (٢٣) .

مثل الأصمعي : من أشعر الناس ؟ قال : الذي يجعل المعنى  
الحسيس بالقطعة كثيراً ، أو يأتي إلى المعنى الكثير فيجعله عسباً ، أو يفتني  
كلامه قبل الخاتمة فلما احتاج إليها قال : ب) معنى ، مثل : نحو من ؟ قال :  
نحو الأعمش إذا يقول :

كناطح صخرة يوماً كيوماً                      فلم يصرها وأوهى قرية الوعل (٢٤)  
فلما لم لكل - أي التشبيه - بقوله : وأوهى قرية فلما احتاج إلى  
القافية قال : والوعل - مثل : وكيف صار الوعل مفصلاً على كل ما  
يتطرح ؟ قال : لأنه ينحط من قمة الجبل على قرية فلا يضره .

ثم مثل : نحو من ؟ قال : نحو من القرية بقوله :

(٢٢) تروك الألف لأن صفة الحسوي من ٢٢٩ .

(٢٣) كتاب الصائغ من ٢٥٠ .

(٢٤) الوعل بكسر الهمزة : ذكر الغنم الجبلية .

فقد انجس في اخلال مئة وساء رسوماً كاخلاق طروادة السلس  
 نظير الذي يجلي عليه سؤاها موصفاً كتشديد الحساد الفصل (٢١)  
 وفي البيت الأول ثم الشاعر ثلاثة بقوله «الاخلاق طروادة» ثم  
 احتاج إلى التعليل، فقال «السلس» مراد شيئاً على السلس  
 وفي البيت الثاني ثم ثلاثة بقوله «كتشديد الحساد» ثم احتاج إلى  
 التعليل قال بما يليه معنى رثاء وهو «لصعل» (٢٢)  
 ويقال: إي امرأ القيس أول من ابتكر هذا المعنى، أي الإيهال،  
 وذلك بقوله يصف الفرس:

إذا ما جرى شأوس ولسن عطشاً تقول هزير الريح مرن بالثاب (٢٣)  
 فالحسن هنا أي الفرس إذا جرى شؤوس ولسن عطش من العرق  
 سمعت له صوتاً وبعثاً كخفق الريح إذا مرن، شعر الأثاب «الشاام»  
 بالغ في وصف الفرس وجعله على هذه الصورة بعد أن جرى شؤوس ولسن  
 عطش العرق، وقد تم المعنى بقوله «مرن» ثم زاد بدلاً في صفة يذكر  
 الأثاب الذي يكون الريح في أصف أصواته حفيف عظيم وشدة  
 صوت

وعلى هذا فإذا كانت لفظة «أثاب» قد استخدمتها القافية لتكون  
 الكلام شعراً، فإنها في الوقت ذاته أصبحت معنى رثاء، وهو الجافعة في اللغة

(٢١) السلس: جمع حتى يجمع لغة «السلس» صوت قوي، سلسل، يهتقل موصفاً كتشديد  
 الحساد الفصل (٢٢) أي موصفاً كتشديد الحساد وذكر هذه لفظة «لصعل» أي طلي  
 يعني به خروا إلى كل حين من الحساد أي القصة

(٢٢) كتاب الصناعات ٢ من ٢٩

(٢٣) الأثاب: شعر كثيف يثقل صوت الريح «مرن» به، ولطفت بكسر اللين «الجب

حليف القوس تشبيهه بوزر مريح سمعت من اصطادها بالعصى هذا  
الشعر عند مرورها من خلاله

ومن الإيغال قول امرئ القيس أيضاً:

كأن عيون الوحش حول حباتنا وأوحى الخزع الذي لم يقب  
لها شبه يشعر عيون الوحش بما هي من السود والياض  
بالخزع، وهو الخزع الأسود المشوب بالياض، ولا كانت عيون الوحش لا  
تلوب فيها كانت لشد بالخزع الذي لم يقب. معنى التشبيه أنم قوله  
والخزع وقوله والذي لم يقب ليدل في التشبيه رتبة البيت بالمقابلة والمعاد  
معنى راداً هو تأكيد التشبيه، لأن عيون الوحش غير متعبة، ولا يحس به  
في هذه الرحلة من حسن.

ومن الإيغال في التشبيه كذلك قوله رجز:

كانت حبات النهر في كل سكون فقول ما حلت الصا لم يحطم<sup>(١)</sup>  
وفي الذي عبر عنه رجز القيس حقه قوله وحسب الماء وزاد  
العين في قوله ولم يحطمه رجز لشد ما كانت وتسقط من العيون أو  
الصوف المكون بحسب الماء الآخر، ولا قال بعد فام به ولم يحطمه أراد أن  
يكون حب الماء صحيحاً لأنه إذا كسر ظهر له لون غير الصفاء وهذا  
البيت شبه بيت امرئ القيس السابق من حيث أنه الإيغال فيه رتبة  
البيت بالمقابلة، والمعاد معنى راداً في التشبيه.

ومن الإيغال البليغ بالشعر الميمون قول الحسان في أمها صخر:

(١) أي من بكسر الهمزة وسكون الهمزة. الصوف: الصبر أو لون الماء. وحبات: قطرات. ما  
تسقط من الصوف: الصبر الكوم. ولشد: شعر لشد حب امرئ، وقال الحسان: هو  
عبد الصمد.

وإن صحت أولاً كذا لم أقصد به كماله صلبه في رأسه لئلا  
 يكون معنى حلة البيت كمال من غير القافية، ووجودها ربما لم تكن  
 له قبلها. فالحق أن لم ترض لأحدا أن يأتي به حيث كان الناس حتى جعلته  
 يأتي به أئمة الناس، ولم ترض تشبيهه بالعلم، وهو الجليل الموضع المعروف  
 بطهارة، حتى جعلت في رأسه تارة فهذا الإيذان بالبدء الكامل معنى  
 المشبه به، ورتبة البيت بالقافية

ومن يذيع هذا المحدثي قول مروان بن أبي حفصة:

هو القوم إذ قالوا الصلوا، وندعوا أصبوا، وإن أعطوا أطبوا وأجزلوا  
 فقولاه «وأجزلوا» يخال في نهاية الحسن.



والإيذان ليس مقتصراً على الشعر، وإنما هو يهيء في الشعر وإلا  
 على حد سواء. ويحتمل في الشعر المسجوع أكثر وذلك لإتمام المواضع وزايفها  
 القبح. ومن أمثلة قوله تعالى: ﴿وَيْدٌ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ يَعْمَهُونَ﴾. فالحكم  
 الجماعية يعون. ومن الحسن من الله حكماً لغوم يوقنون ﴿فَإِنَّ الْكَلَامَ تَمَّ  
 بقوله تعالى: ﴿وَمِنَ الْحَسَنِ مِنْ لَدُنْكَ حِكْمًا﴾ ثم احتاج الكلام إلى فاصلة  
 تناسب القرينة أو الفاصلة الأولى، فلما كان يا وهي ﴿فَإِنَّ الْكَلَامَ يوقنون﴾ فإزاء  
 يا معنى زائداً، وبذلك لأنه لا يعلم أن حكم الله أحسن من كل حكم إلا  
 من أين أنه سبحانه حكيم عادل.

ومثل قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ الْكَلَامَ يوقنون﴾ فإزاء يا وهي ﴿فَإِنَّ الْكَلَامَ يوقنون﴾ فإزاء  
 يا معنى زائداً، وبذلك لأنه لا يعلم أن حكم الله أحسن من كل حكم إلا  
 من أين أنه سبحانه حكيم عادل.

إعراض الكفار الذين قُتِلُوا بالقرآن في عدم انصافهم بالأدلة.

والإيجال الذي يُقَدَّر من البيع حقاً هو ما يستدعيه الشيء ويطلبه الكلام استكمالاً للشعر بالقافية والسجع بالقافية. وليس من يبيع المعنى في شيء كل إيجال يتكلفه الشاعر أو القارئ.

### التصميم

أول من ذكر التصميم وعنه من محاسن الكلام عبدالله بن المعتز في كتابه البديع<sup>(٢١)</sup>. وقد سمى «إعراض الكلام في كلام لم يتم معناه ثم يعود إليه فيتممه في بيت واحد»، ويشير له بثلاثة أبيات من الشعر منها:

لو أن الباعطين، وأنت منهم      رأوك تطلمسوا منسك المسطال

فماودة الشاعر إلى الاعتراض بقوله «وأنت منهم» قبل تمام معنى الكلام هو في الواقع تصميم تعهد به الشاعر في بيت المسطال وأن الباعطين وهي واحدة منهم سيجرون بأن ينضموا إلى المطال

ومن بعد ابن المعتز جاء **فداه بن سمعتر** وأطلق على هذا التحسين الشيعي اسم «التصميم» وعنه من تعوت الكافي وعنه بقوله: «هو أن يذكر الشاعر المعنى فلا يدع من الأحوال التي اسم بها صحبه وتكمل معها جودته شيئاً إلا أن يده».

وقد استشهد عليه بأربعة عشر بيتاً من الشعر، منها قول النابغ بن علقمة النميري:

ويقال إذا لم يقبل الحق منهم      ويظنوه حافوا بالسيف القواطع<sup>(٢٢)</sup>

(٢١) كتاب البديع ص ٤٩.

(٢٢) كتاب نقد الشعر للعلامة ص ١٤٤، وهو السطر، والقواطع جمع القطة، أي جلد

لم يعلق على البيت كلاً؛ وما انت جريدة التي إلا بقوله ومطروحة،  
وإذا كان التعلي منطوقاً في الصفحة<sup>(١٦)</sup>.

ويبدو أن تعريف قسامة لغة الفن البديعي لا في استحسان  
البلاتين من بعده أكثر من تعريف ابن طاهر.

وأبو هلال العسكري اعتمد تعريف قسامة واكتشف إليه فلسفة  
والتميم والتكميل، وعرفه على حسب مفهومه له، وأورد عليه أمثلة كثيرة  
من القرآن الكريم والفن والشعر.

والتميم والتكميل عند أبي هلال هو: أن تروي للمعنى سطر من  
المعنى، وتعطيه نصيبه من الصفحة، ثم لا تدارى متى يكون فيه لسانه إلا  
تورده، أو لفظاً يكون فيه توكيده إلا تذكره<sup>(١٧)</sup>.



وقد عرفه بعض رجال الفايح طراً، والتميم عبارة عن الإتيان في  
النظم والفن بكلمة إذا طرحت من الكلام بقصصه ومثاله.

قسم التميم:

والتميم يأتي على ضربين، ضرب في المعنى وضرب في الألفاظ

١- فالتميم المعنوي: هو تميم المعنى، وهو الراد عند، وهي  
المبالغة والاحتباس، وهي في القاطع والخشوع، وأكثر هيبة في الشعر  
ومن أمثلة هيبة الاحتباس قولك قد تداني <sup>(١٨)</sup> من جعل صديقه من ذكر أو  
أش وهو مؤمن بالحقبة حياة طيبة <sup>(١٩)</sup>.

(١٦) هذا الشعر منطوقاً من ١٤

(١٧) كتاب القصاص من ٢٤٨

قوله: ﴿ من ذكر أو أنسى ﴾ تنصيص وقوله ﴿ وهو مؤمن ﴾ تنصيص  
 كان في حجة البلاغة، عند ذكر هاتين التخصيصين ثم معنى الكلام وحرى على  
 الصحة ولو حذف استدلها لزم كذاهما لنفس معنى الكلام واختار حسن  
 البناء.

ومع قول الرسول عليه السلام: «ما من مسلم يعصي الله كل يوم  
 اثني عشرة ركعة من غير الغرغرة إلا من الله له بيتا في الجنة»

معنى هذا الحديث وقع التنصيص في أربعة مواضع هي: قوله «مسلم»  
 وقوله «اثني» وقوله «كل يوم» وقوله «من غير الغرغرة» فحذف أي من  
 هذه التخصيصات بنفس من معنى التخصيص الشرعي وبغلي من تيمنه  
 البلاغية.

ومما ورد فيه التنصيص المعنوي كلام جرير من الشعر قول لعرابية:  
 «كنت الله كل عذوقك إلا أغصانك فلو لم تنم لك ثم الدعاء: ألا  
 حس الإنسان لحرى بحرى البصولة، بحر أنها تروطه وتغمره إلى ما يرمعه  
 ويهلكه».

ومن أشدله شعراً قول عمرو بن برقة:

فلا تأمن البدر حراً ظلمته عما ليل مستطوح كبريم منكم  
 طوله: «كبريم» تنصيص، ألا تكلم بمعي على الماء، وإدام عن  
 الذكر، ولا يكون منه دون العالم تكبر.

ومع أيضاً قول طرفة:

فلسى عيالك غير مفسدك صوب السويح وبهجة مهي  
 لقوله: «غير مفسدك» إلام للمعنى «لا حرام» و«المرحز».

ومثال ما جاء منه للمبالغة قول زهير بن أبي سلمى:

من يلقي يوماً على حلاله حرباً يلقي السباحة منه والذي طرقت  
بقوله: وعلى حلاله تنعيم للمبالغة.

ومن أبلغ ما ورد من التنعيم للمبالغة قوله لعل: ﴿ويطعمون  
الطعام على حبه مسكياً وبهاً وأسيراً﴾ بقوله: ﴿على حبه﴾ تنعيم  
للمبالغة التي تضمن عنها لفظة المخلولين.

٢- والتنعيم المطلق: يقصد به التنعيم الذي يؤخذ به لإقامة  
الوزن، بحيث أنه لم تخرج الكلمة استقل معنى البيت بقونها وهذا  
الترج على ضربين أيضاً: كلمة لا يفيد جهتها إلا إقامة الوزن، وأخرى  
تفيد مع إقامة الوزن صراحة من القائلين، فالأول من العيوب، والثانية من  
النعوت والجلالين.

والتنعيم في الألفاظ الذي يفيد مع إقامة الوزن ضرباً من التبعيض هو  
المراد هنا، ومثاله قول طرفة:

وعصوق قلب لو رأيت فيه  
ثم ساء بقوله: «يا حسبي» لإقامة الوزن، ولكنها في قولك: «الله  
أقامت تنعيم الطائفة بين «الجنة» و«جهنم».

\*\*\*

لقد ذكرنا فيما سبق أن قدامة هو أول من أطلق اسم «التنعيم» على  
هذا الترخ من التبعيض المعنوي. وأن أبا هلال العسكري استحسن هذه  
التسمية فاعتصمها وأضاف إليها «التكميل»

وتجد جاري بعض البلاغيين أبا هلال في تسميته لهذا الفن «التبعيض».



ويطلبوا التكميل بالتقسيم، ولكن الظاهر من أصحاب المدح عافوا بهذا  
الفن إلى تسمية فاضلة له، وذلك لما حظوه من فرق بين الأمرين.

فالتقسيم عندهم يرد على المعنى النقص فيه، والتكميل يرد على  
المعنى تمام تكميله، إذ التكميل أمر واحد من التمام، والتمام أيضاً يكون  
معنى للمعنى النقص لا لأمره في الشعر ومقاصده، والتكميل يكملها.

وليزيد من الإيضاح لو ردد هذا مثلاً للتكميل وهو التكمير عزة:

لو أن عزة حالكت نفس الضحى في نفس عبد مولق النفس لما

قوله: «عند مولق» تكميل حسن، فإنه لو قال: «عند عظمكم» لثم

المعنى، لكن في قوله: «عند مولق» زيادة تكميل بها حسن البيت،

والسابع بعد هذه القصة من المراجع الملق في النفس ما ليس للأول، إذ

ليس كل عظم موصفاً، فإن المولى من الحكماء من نفس يلقن لأفقه.

والجذر الإشاره بعد برأيتها لكل من التقسيم والإيقال إلى أن هناك

موقفاً جيداً، فالتقسيم كما ذكرنا يرد على المعنى النقص فيه، على حين يرد

الإيقال على المعنى تمام لحسن الكلام شعراً أو نثراً مسجوعاً ما يعطيه

قاعته، ولizard في الوقت ذاته فاقعة يتم المعنى بتدويرها كالفقعة مثلاً

ولبيان أثر التقسيم في تحسين المعنى ووضوحه وبلاغته نظرون هنا بين

بين طريقة من البيت وهي الرمة في معنى واحد، بطريقة في دعائه لفتيل

صاحبه بالسقا يقول:

لنقى تبارك غير مصددها صوب السويح وبهجة نهي

قوله: «غير مصدده» فيه إتمام للمعنى بما يعيد أنه يدعو لفتيل

صاحبه بأن يستفيها الفتيل أو ليطر بالسر الطلوب، لا بالسر الذي يزيد

من صاحبها فيصيرها بالثقل والإفساد. فهذا التعميم دالٌّ احترام من  
الجميع حقاً.

أما ذو الرمة فهي دعائه بالسفاهة لدار صاحبه يقول:

ألا يا مسلمي يا دار من عو النيل      ولا زال مهلاً بجموعك الفطر<sup>(١)</sup>  
فأبو الرمة يذم دار صاحبه من السفاهة وبأن عقل الفطر ينيل  
ويتصب على جموعها تعصباً شديداً. وهذا بالدعاء على دار صاحبه أشبه  
بده بالدعاء لهذا، لأن الفطر إذا نيل فيها فاقها فسدت. وهذا  
الغريب بشيء من أن الشاعر لم يتم معناه ولم يحدّث به كما فعل طرفة في  
بنته.

### التورية

التورية من فنون اللمح المعروفة، أو يقال لها أيضاً: الإيهام والتورية  
والتحوير، ولكن لفظة التورية أولى في التسمية لقربها من مطلق  
اللمح، لأنها مصدر وزى تصغير لراء لورية، بطل. وزيت الخمر:  
جعلته ورائي وسركه وأظهرت غيره، كأن التكميم يجعله ورده بحيث لا  
يظهر.

والتورية في اصطلاح رحيل: اللمح. هي أن يذكر المتكلم لفظاً  
مفرداً له معنيان، قريب ظاهر غير مراد، ومعيد حلي هو المراد.  
وإنما نجد لها أكثر من تعريف لدى اللغويين، ولكن على

---

(١) الخمر والآنسج الأرض ذات الطرية تشاك الرمل، ويلق في الرمة السفاهة  
للتورية لا تبت فيها، وقطر الفطر

التعريفات وإن احتفظت لفظاً قريبا لتعق معنى، ولا تخرج جميعها في مضمونها عن مضمون التعريف السابق الذي استلج عليه جمهور البلديين.

فذكر الدين بن أبي الأصم (٦٥٤ هـ) قد عرفها في كتابه القسبي «تحرير النحوي» بقوله: «التورية وتسمى التوجيه هي أن يكون الكلام يحتمل معنيين فيستعمل للكلام أحد استعمالها ويحتمل الآخر، ويراد ما أحمله لا ما استعمله».

والخطيب القزويني (٧٣٩ هـ) يعرفها في كتابه التلخيص بقوله: «ومن البديع التورية وتسمى الإيحاء أيضاً، وهي أن يطلق لفظ له معنيان قريب وبعيد، وهي خبرتان محتمتان ومرشحتان ولم يرد عن هذا الفن شيئ».

وصلاح الدين الصفدي (٧٩١ هـ) يعرفها في كتابه بعض الحقائق عن التورية والاستخدام بقوله: «التورية هي أن يأتي التكلم بلفظة مشتركة بين معنيين، قريب وبعيد، فيذكر لفظاً يوهم القريب إلى أن يعني بقرينة يظهر منها أن مراده البعيدة».

ونقل الدين بن حجة الحموي (٨٣٧ هـ) يعرفها في كتابه «إزالة الابهة» بقوله: «التورية أن يذكر التكلم لفظاً مفرداً له معنيان حقيقيان أو حقيقي واحد، أحدهما قريب ودلالة اللفظ عليه ظاهرة، والآخر بعيد ودلالة اللفظ عليه خفية، فيريد التكلم المعنى البعيد، ويراد به القريب، فيتوهم السامع أول وعلة أنه يريد القريب وليس كذلك، ولاجل هذا سمي هذا النوع إيهاماً»<sup>(٦)</sup>.

\*\*\*

(٦) انظر في كل هذه التعريفات كتاب عزلة الابهة للرحمة الحموي ٨٣٩ - ٩١٢.

ومن أمثلة القوية قول سرج طين قورقيل<sup>(٢١)</sup>:

أصون أقيم وحبي عن أناس لفساد القوت عندهم الأتيم  
وزيد الشعر عندهم يخفي وأبو دلي به طم «حبيب»  
فالقوية في اللغة «حبيب» وما عريان. أودعها الخيوب، وهذا  
هو المعنى القريب الذي يتأخر إلى زمن أول وهلة بسبب التشديد له  
بكلمة «بخفي». والمعنى الثاني اسم أي شام الشاعر وهو حبيب بن لوس،  
وهذا هو المعنى القريب الذي أراد الشاعر ولكنه تلفظ قورقيل عنه وسماه  
بالمعنى القريب.

ومن أمثلتها أيضاً قول بدر طين الذهبي:

بنا ضلالي فيه قل لي إذا سدا كيف لسلو  
أمر لي قل وقفت كالمساة مسرة يحلو  
فالقوية هنا كلمة «سرة» قولها معبر الجدل أنها مأخوذة من  
الزراعة وهو المعنى القريب يحلو معانيتها بكلمة «يحلو» وهذا المعنى  
القريب الظاهر غير مراد، والمعنى الثاني أنها مأخوذة من الزور، وهذا هو  
المعنى القريب الذي يريد الشاعر.

ومما كذلك قول بدر الدين الحفاني:

جودوا لتسجيع سائلهم سج حيل حلائكم مصومفا  
سائلهم أحسن ما تصروا عندكم يطلع السقي<sup>(٢٢)</sup>  
فالقوية هنا في كلمة «السقي» فمعناها القريب الظاهر غير المراد

(٢١) شاعر معروف، ألحق بالذوق في شعره، توفي سنة ٦٥٩ هـ.

(٢٢) من معاني السقي: الخور، وما يشبهه من سيل من ماء وهو بعيد.

هو ما يسلط آخر الليل من نال ومطر حفيف، خليل التمهيد له يذكر  
الظلم والتفريد والوقوع، ومعناها العبد هو الجوه وهذا هو الذي أودع  
الشاعر.

والله أيضاً:

أبسات شعرك كدالفت      سر ولا تصور يا بهول  
ومن المصائب لتسطها      حسر ومعضها هرقين

والثورية في هذا مثال هي كلمة هرقين ولها معنيان: أولها قرب  
ظاهر غير مراد، وهو العبد المملوك، وسب لربه وتذميره إلى القدر ما  
سبقه من كلمة وحرد، والمعنى الثاني بعيد وهو التظلم السهل الممتنع من  
المعنى وهذا هو الذي يربط الشاعر بعد أن ستر، وأعطاه في ظل القدر  
القريب.

ولما ورد منها في غزواته الكريم قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم  
بِالْأُولَى وَيُعَلِّمُ مَا يَمْحُومُ بِالْآخِرَةِ﴾<sup>(١)</sup>، فلفظ الثورية في الآية الكريمة هي  
﴿يَمْحُومُ﴾ ولها معنيان: أولها قرب ظاهر غير مراد وهو إعداءات تفرق  
في الجسم، والثاني بعيد يعني مراد وهو ارتكاب الذنوب والقرائحها.

ومن الأمثلة البليغة تصيح حقيقة الثورية وأما تعالى ذاتاً في لفظ  
مفرد له معنيان: قرب ظاهر غير مراد، وبعد يعني هو الزراد

ومن الأمثلة السابقة تصيح حقيقة الثورية، وأن الكصد من لفظ  
الثورية أن يكون مشتركاً بين معنيين: أحدهما قرب ودلالة اللفظ عليه  
ظاهرة، والآخر بعيد ودلالة اللفظ عليه خفية، فيريد التكلم المعنى البعيد

(١) يَمْحُومُ: يحل محل معنى المرح إعداءات تفرق في الجسم، ولذا سبب السراج جوارح آياتها  
المخرج.

ويؤذى عنه بالحق القريب، فهو من السامع أول، وهذه أنه يريد القريب  
وليس كذلك. ولهذا سمي هذا النوع إيهاماً.

\*\*\*

## أنواع النبوة:

والنبوة أربعة أنواع: عرفت، ومرشحة، وميتة، ومهتكة.

١- النبوة المبرحة: وهي التي لم يذكر فيها لازم من لوازم النبوة  
٢- وهو الحق القريب، ولا من لوازم النبوة عنه، وهو الحق البعيد.

وأعظم كلفة هذا النوع قوله تعالى: ﴿السر من على الصبر﴾  
استوى في كلفة النبوة هي: ﴿استوى﴾ والاعتناء، كما يقول  
الرفعي، على معنى: أحدهما الاستقرار في المكان، وهو الحق القريب  
النبوة به غير المقصود، والثاني الاستقام والصدق، وهو الحق البعيد النبوة  
عنه، وهو الظاهر، لأن المؤمن مستقام منزه عن الغي الأول. ولم يذكر من  
لوازم هذا أو ذلك شيء من النبوة جرحاً لهذا الاعتبار

ومن هذا النوع قول النبي ﷺ في عروجه إلى بدر: وقد قيل له:  
من كنتم؟ علم أنه يعلم السائل، فقال: من بدر، وأمر: كما مخلوقون  
من ماء، فؤذى عنه بظلمة من الحرب، فقال: ماء.

وهي ذلك قول أبي بكر الصديق في الهجرة عندما سأله سائل عن  
الشيء فقال: من هذا؟ فقال أبو بكر: هذا يديني، أراد أن يذكر هو  
هذا يديني إلى الإسلام مؤذى عنه يدي الطريق الذي هو الدليل في  
السفر.

وبه شعراً قول القاضي عياض في سنة كان فيها شهر كانون معطلاً  
فظهرت فيه الأوهى:

تلك نيران أحدى من ملامحه      لشهر كاسون كواصاً من الخلق  
أو الغزاة من طوق الذي عرفت      فما تفرق بين الحدي والغفل<sup>(٩٠)</sup>

والثورة هنا جرم، والشاهد في الغزاة والجدى والحمل، فإن  
الشاعر لم يذكر قبل الغزاة ولا بعدها شيئاً من لوازم القوي به،  
كالإصباح للخصبة بالغزاة الوحشية من طوق العين، وسرعة الانكشاف،  
وسرعة القرب، وسوء العين، ولا من أوصاف القوي عنه كالأوصاف  
الخاصة بالغزاة الشمسية من الإشرق والسمو والظفر والغروب.

٢- والثورة الرضعة: هي التي يذكر فيها لازم القوي به، وهو  
العين القريب، وصيحت عرضة القربى يذكر لازم القوي به، ثم تأتي  
بذكر اللازم قبل لفظ الثورة وتارة بعده، فهي بهذا الاختيار تسكن:

أ- فاقسم الأول منها: فهو ما ذكر لازمه قبل لفظ الثورة، وأصله  
أشدّه قوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقَ السَّابِقَ يَلْعَنُ﴾ وإن قوله: ﴿وَالسَّابِقَ﴾ يحصل  
البد الخارج، وهذا هو المعنى القريب القوي به، وقد ذكر من لوازمه على  
جهة الترشيع والنبذ، ويحصل القوة وسطية الخلق، وهذا هو المعنى  
السيد القوي عنه، وهو المراد لأن الله سبحانه عزه عن المعنى الأول.

ومنه قول يحيى بن منصور من شعراء الحماسة:

فلما نكثت حما العشيرة كلها      أبعثت محالنا السيوف على الدهر  
فما أسلمتنا عند يوم كسرة      ولا نحن أنفينا الجفون على وفر  
والشاهد لفظ «الجفون» مأب لتحمل جفون العين، وهذا هو المعنى  
القريب القوي به، وقد تقدم لازم من لوازمه على جهة الترشيع وهو

(٩٠) من معنى الغزاة: الشمس.

والإقصاء لأنه من لوازم القوي، والحتم أن تكون بقوى السوء التي  
المتبادعة، وهذا هو المعنى البعيد للمراد القوي عنه.

ب- والقسم الثاني: هو ما ذكر لازم القوي به بعد لفظ القوية،  
ومن أمثلة التعليل قول الشاعر:

عد حمت من وجهي في ضياء ولم أصل منته إلى الضلم<sup>(١)</sup>  
قالته قهرا واستعصا ما جرى أصلي فد عام به عصيا

لفظة القوية هنا وتعاضد فيها أنما يحصل حال التسبب وهو المعنى  
الغريب للقوي به وقد ذكر لازمه بعد لفظ القوية على جهة التوضيح وهو  
«المنته» والحتم أن تكون الضامة السوداء التي تظهر ظاهراً في الوجه  
وتكون علامة حسن، وهذا هو المعنى البعيد للمعنى القوي عنه

٣- القوية الملية. يعني ما ذكر فيها لازم القوي عنه قول لفظ  
القوية الوعده. هي بدل الإحصار كقوله:

أ- والقسم الأول: ما ذكر لازم القوي عنه قبل لفظ القوية،  
واستشهدوا عليه بقول البحري:

ووراء تسددة السواح عليه بالحسن الخج في القلوب وتعذب

فالتعاضد هنا في الضميمة فإنه يحصل أن يكون من اللوحة التي هي  
حد الخطوبة، وهذا هو المعنى الغريب للقوي به وغير المراد، ويحتمل أن  
يكون من الثلاثة التي هي عبارة عن الحسن، وهذا هو المعنى البعيد  
القوي عنه وهو المراد. وقد تقدم من لوازمه على الشيء وملة بالحسن.

---

(١) من معاني الخلق: حال السب وهو أهم الآدم، ويطبق الشيء يكون في الضميمة وهو ضامة  
لو كانت سوداء في الضميمة، واكثر ما يكون في الوجه، وهو علامة حسن وقد لم يكن هو  
حسناً في ذلك.



ومن الحسن المزاولة بين هذا القسم قولك لعلني من عبد العزيز:

قليلوا! أما في جملتي لزومة تصيبك من أمتك به تقصوني  
بما عاقلني بوليك من أمتك سهياً ومن عارضة سطرأ

الشاهد هنا في موضعين وهما «سهم وسطى» فإن المعنى المبدى هما  
الموضعتان المشهورتان بترجعاتهما، وذكر الترجمة يحلّ ثبوتها هو المبدى  
لهذا، وأما المعنى الغريب فهو ترك منهم اللحن وسطى العارفين.

ب- والقسم الثاني من التورية المبدى: هو الذي ذكره في لزوم  
الوزن عنه بعد لفظ التورية. ومن أمثله المبدى قول الشاعر:

لري نسب السرحان في الألف جالماً **محملاً** فكى أن المزاولة تطلق؟

فالجواب فيه توريان إحداهما بنسب السرحان فإنه يحتمل قول قصود  
الشاعر. وهذا هو المعنى المبدى للوزن عنه، وهو مراد الشاعر. وقد بينه  
بذكر لازمه بعده بقوله. **وطالعه**. ويحتمل **نسب السرحان** المعروف وهو  
الذئب أو الأسد. وهذا هو المعنى الغريب للوزن به والتورية الثانية في  
«الترجمة» فإنه يحتمل أن يكون المراد به الشمس. وهذا هو المعنى المبدى  
للوزن عنه. وهو مقصود الشاعر وقد بينه بذكر لازمه بعده بقوله  
«وطالعه». ويحتمل أن يكون المراد به المزاولة لوجوبها للمروية. وهذا هو  
المعنى الغريب للوزن به والذي لم يقصده الشاعر.

١- التورية للمبدى: وهي التي لا تقع فيها التورية ولا تنهياً إلا  
باللفظ الذي قبلها. أو باللفظ الذي بعدها، أو تكون التورية في لفظين  
أولاً كل منهما لا يثبت التورية في الآخر. فلهذا على هذا الاشتراك ثلاثة  
القسام.

أ- فالقسم الأول من التوراة الهيكل: هو الذي تنهيا فيه التوراة من قبل. واستشهدوا على ذلك قول ابن سنان فقال: يندرج لذلك الظاهر صاحب هذا:

وميرك فيها ميرة عسرية      فروعته عن قلبه وفروجه من كرب  
والظهور فيها من سميك شدة      فالتحريم ذلك العرس من قلب التنب  
فالشاهد هنا في العرس والتنب وهو يحصل أن يكون  
الاحتكام الشرعية، وهذا هو المعنى المقرب للورى به، ويحصل أن يكون  
العرس بمعنى المطاء والتنب معنى الرجل السريع في قضاء الخواص  
الخاص في الأمور، وهذا هو المعنى البعيد للورى به، وأولا ذكر والسنة  
لا نهات التوراة فيها ولا فهم من العرس والتنب الحكماء الشرعيان  
القدان صحت بها التوراة.

ب- فالقسم الثاني من التوراة الهيكل: هو الذي تنهيا فيه التوراة  
بمنطق من بعده. ومن أمثله شرأ قول الإمام علي بن أبي طالب كرم الله  
وجهه في الأئمة بن كيسان: **«إنه كان يترك التمسك»** <sup>(١)</sup> باليمين،  
فالتمسك يحصل أن يكون جمع شدة وهي التمسك يحصل به، وهذا هو  
المعنى البعيد للورى به، ويحصل أن يترك بها التمسك التي هي إحدى  
اليمين وتبقى اليمين، وهذا هو المعنى المقرب للورى به. وأولا ذكر  
اليمين بعد التمسك لما فيه السامع لمعنى اليد.

ومن هذا النوع من التوراة هيكل شعراً فوق التماسك:

لولا الظهور سالحللات وأهم      فلهذا: سرطاني لا يعود صريفا  
لغضيت نحي في جنانك خدمة      لاكون صديقا نفسي مفروفا

(١) التمسك: جمع شدة، وهي التمسك يحصل به.

وقلتشوبه هنا يحصل اليوت الذي يُمكن عليه، وهذا هو المعنى  
 البعيد القوي عنه وهو المراد، ويحصل أن يكون أيضاً لأحكام الطريقة،  
 وهو المعنى القريب القوي به. ولولا ذكر «القروعي» بعد، لم يتنبه السامع  
 للمعنى الملتبس، ولكنه لما ذكر تبيات الثورية بالذرة.

ج. والقسم الثالث من الثورية لها: هو الذي تلحق الثورية به في  
 السطون لولا كل منبأ لما تبيات الثورية في الآخر. واستشهدوا على ذلك  
 بقول عمر بن أبي ربيعة:

أهذا التكميح القسرياً سهيلاً      عسرك الله كيف يلتقيان؟  
 هي شامية إذا ما سطفت      وسهيل إذا استقبل بمسكن<sup>(١)</sup>

وموضع التلصق هنا هو «الثريا وسهيل»، فإن «الثريا» يحصل أن  
 يكون الشاعر أراد ما يتصل على من عيشته من الحارث بن أبي الأسير،  
 وهذا هو المعنى البعيد القوي عنه وهو المراد، ويحصل أن يكون أراد ما  
 نجم الثريا، وهذا هو المعنى القريب القوي به. و«سهيل» يحصل أيضاً أن  
 يكون سهيل بن عبد الرحمن بن عوف وقيل كان رجلاً مشهوراً من اليمن،  
 وهذا هو المعنى البعيد القوي عنه، ويحصل أن يكون النجم المعروف  
 بسهيل، وهذا هو المعنى القريب القوي به. ولولا ذكر «الثريا» التي هي  
 النجم لم يتنبه السامع سهيلاً. وكل واحد منهما صالح للثورية.

ولما ينبغي التنبه إليه في هذا المقام أن الثورية هنا لا تصالح أن  
 تكون مرشحة ولا مينة، لأن الترشيح واليمين لا يكون كل منهما إلا بلام

(١) سبب نظم البيتين أنه سهيلاً المذكور تزوج ثريا الخالوية، وكان بينهما نوع صلح فالثريا  
 مشهورة في زمانه بالجمال وسهيل مشهور بالذكور. وهذا مراد الشاعر بذكر «الثريا»  
 بلفظها، وأيضاً هي شامية النار وسهيل بماء.

خاص. والفرق بين اللفظ الذي تنهيا به التورية، واللفظ الذي تروشح به، واللفظ الذي تنهين به. أن اللفظ الذي تنهين به التورية تنهيكه لو لم يذكر لما هيأت التورية أصلاً، وأن اللفظ الذي تروشح واللفظ الذي تنهين إنما هما مفردان للتورية، فلم لم يذكرنا لكاتب التورية مبررة.



والتورية التي هي نوع من الترويح المعنوي لم يلقه لعلمائها إلا المتأخرون من حذائق الشعر وأحيان الكتاب. وهؤلاء نظروا إليها على أنها من أغلى فنون الأديب وأعلىها رتبة. ولهذا يرى الكثيرون جداً من شعراء مصر والشام عاصراً في القرن السادس والسابع والثامن للهجرة يتوسعون ويبتغون في استعمالها، ويأثرون فيها بالصعوبة المراتب التي يدل على صفاء الطبع والقدرة على التلاعب في أساليب الكلام.

والخاصي القاصد<sup>(١)</sup> ٥٩٦هـ بعد أول من فتح باب التورية لأهل عصره ومن بعدهم بما أودع من في بطنه وترو. وقد ذكره في التولع بالتورية كثيرون من شعراء مصر من أمثال ابن سناء اللثام، والسراج، والنوراني، والحرابي، والخصامي، وابن عاتيل، وعبيد الشيبين بن عبد الظاهر، وحال الذين بن سناء، ومصلاح علي بن الصفي.

ومن أشهر بالتوسع في استعمال التورية من شعراء الشام شرف الدين عبد العزيز الأنصاري، وعبد الدين بن تيم، وعبد الدين يوسف النعني، وعبيد الدين الحموي، وشمس الدين بن العفيف، هؤلاء الذين

---

(١) هو عبد الرحيم بن علي وزير السلطان صلاح الدين، أشهر بالخاصي القاصد، وهو من أئمة الإنشاء وأجود طريقتي في اللغة بالطريقة القاصية لأنه أكثرها بقاءً من سائر بعده من القاصدين.

الكتبي الشهير بالوهابي، والذي يقال: إنه أشهر من وثائقه في نظم  
التورية<sup>(١)</sup>

ولعل قتي الدين بن حجة الحموي من أكثر رجال الديع القاصرين  
اعتماداً بالتورية. تقول ذلك لأن ما استشهد به عليها من شعر شعراء  
الديع بمصر والشام من عصر الدغلي لم يصل إلى عصره بل في الواقع  
ربح كتابه وعزلة الأديب الذي يشتمل على ٤٦٧ صفحة.

وهو يتشأ من سبب اعتماده بالتورية إلى هذا الحد بأنه كان ينوي  
بعد الفراغ من تأليف وعزلة الأديب أن يوافق كتاباً عاماً بالتورية  
والاستخدام يسمىه وتشف الكتاب عن روح التورية والاستخدام<sup>(٢)</sup>.



وإذا نظرت نظرة على نشأة هذا النوع من الديع الحموي فلنا نرى  
أن المتضمن لم يخلوا كثيراً بالتورية. وأن المرء ليحس فيها بقله سبياً في  
لحيم أنها كانت تقع لهم علواً من غير تصحيد.

وبذلك إن الشئ هو قول من لخصت إليها واستخدمها في شعره على  
نحو طاهر، ولكن المتحقق يظهر أن شعراء الديع في العصر العباسي  
الأول والثاني من أمثال أبي نواس ومسلم بن الوليد وأبي تمام والبحتري قد  
سبوا إليها.

ثم أخذ الاعتماد بها ابتداء من عصر بشري يزدهر فيها فتيلاً حتى  
وصلت إلى عصر الدغلي القاصي فتقلتها وتوسع في استعمالها في شعره  
ونثره إلى الحد الذي لفت الأنظار إليها. ومن ثم طرد فيها شعراء عصر

(١) عزلة الأديب ص ٢٧٧

والشام خاصة في عصره وبعد عصره. وقد أدى الإغجاب بها والتألف في استعمالها والإكثار منها والتكيف فيها إلى إفساد الكثير من شعر الشعراء ورجالاته إلى رواية دعوى وحيل لظنية يطق عليها لول القائل:

وما مثله إلا كعسل الخ يسبق عسل من العسل ولكن بفرواح!

### التقسيم

التقسيم من فنون البديع العربي، وهو في اللغة مصدر قسمت الشيء إذا جزأته. أما في الاصطلاح فاعتبرت فيه القسومات، والكل راجع إلى مقصود واحد.

ومن أوائل من عرض له أمر هلال العسكري وعصره مقوله والتقسيم المصحيح. إن تقسيم الكلام نسبة مستوية انتهى على جميع أنواعه، ولا يخرج منها عسل من الحسل، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿هو الذي يريكم البرق خوفاً وطمعاً﴾ وهذا أحسن تقسيم لأن البرق من رؤية البرق بين خوف وطمع، ليس منهم ثالثاً<sup>(١)</sup> وقد قدم الخوف على الطمع لأن الأمر بالخوف من البرق يقع في أول برقه، والأمر بالطمع إذا وقع من البرق بعد الأمر بالخوف. وذلك ليكون الطمع لاحقاً للخوف، لمجيء الفرج بعد الشدة.

ونذكر من دسوق الخرواني أن شاعر يعقود في بعضهم يرى أنه استطاع الشاعر جميع أقسام ما أيضاً، كقول الشاعر يعقود:

بغروب يلقى الثوب من دق طمعه      والسرك من لحي القفر مثاليه  
فراحوا: غرق في الأسر، ومثله: قليل، ومثل لآء ياليعر عاريه

(١) كتاب الصالحين ص ٣١١.

«البيت الأول قسمان: إما موزون، وإما حياء توريث حياء ومثلية، والبيت الثاني ثلاثة أقسام: أسير، وقليل، وهاريد، فاستقصى جميع الأقسام، ولا يوجد في ذكر الحزبة زيادة عن ما ذكرناه<sup>(١)</sup>».

وعرفه الخطيب القزويني في كتبه الشحيص بقوله: «والقسم فكر متصل، ثم إجابة ما لكل وله على المعين، كقول الشمس».

ولا يتم على صميم وراء بهد ولا الأدلان خير الحني والوند هذا على الحصف مربوط برشته وبدا تشنج فلا يبرلي له أحد<sup>(٢)</sup> فقد ذكر الشاعر العبر والوند، ثم أصعب إلى الأول الرطب مع الحصف، وإلى الثاني تشنج على اشحن.

وبقوله عرفه السكاكي بقوله: «موزون تذكر شياً ما يراى لو أكثر ثم تصيف إلى كل واحد من أجزائه ما لم يولد عنه»، كقوله.

لهيبدان في تلح لا يفتقلان إذاً تحسباً لمرو عبر الكبد فهذا طويـل كسطل القند وهذا قصير كسطل الوند<sup>(٣)</sup>

كذلك عرفه زكي الدين بن أبي الأصم بقوله: «التقسيم حياء عن استيفاء المتكلم القسم الذي هو أصله»<sup>(٤)</sup> وقد مثل لتعريفه بقوله

(١) كتاب الصنف ج ٢ ص ٢٠

(٢) كتاب الشحيص للقزويني ص ٣٧٩، والتعريف بخطيب، وغيره اختار طاب على القليل، وأصعب ما اختار الحني، والحصف الحياء، الرما، القطب من القوي، والتشنج الحني والتكسر.

(٣) حركات الألف ص ٣٧٩

(٤) حركات الألف ص ٣٧٩

تعالى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِيمَانًا وَغُورًا وَعَلَىٰ حُرُوبِهِمْ﴾، واستوفت الآية الكريمة جميع الخصال للمكة.

وكذلك يقول تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ، وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ، وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِنَّكَ أَنتَ بِهِ، واستوفت الآية الكريمة جميع الأقسام التي يمكن وجودها؛ وهي الظالم بجميعه لا يخلو من هذه الأقسام الثلاثة.

ويقوله تعالى أيضاً: ﴿لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمَا وَمَا خَلْفَهُمَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ﴾، والآية التشريعية حاصلة لأقسام الزمان الثلاثة ولا رابع لها، والزمان الحال والماضي والمستقبل، فله ما بين أيديها لمزاد به المستقبل، وما خلفها لمزاد به الماضي، وما بين ذلك الحال.

وما يتعلق على تعريفه من أكرم الأصبح وهو من أشرف المشرق قوله ﷺ: «وهل لك يا ابن آدم من يائس إلا ما أكلت طابيت»، واليئس طابيت، أو تصدقت طابيت ﷺ، علم بين الرسول نسباً راعياً لو طلب الوجد.

ويقول علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: «أقسم على من شئت تكن أميرة، وأقسم على من شئت تكن خيرة، وأصبح إلى من شئت تكن أسيرة، فالإنعام على أحد استوجب هذا أقسام المبرجات وأقسام أحوال الإنسان بين الفضل والكفاف والنقص.

ومنه أن شأناً قدم مع بعض وجه العرب على عمر بن عبد العزيز ثم قام وهدم الجبل فآثلاً: «يا أمير المؤمنين أصبحت أسيرة» مع آثابت اللحم، ومرة أكلت اللحم، ومرة أكلت العظم<sup>(٢٦)</sup>، وفي أيديكم فضول

(٢٦) أكلت العظم: استخرجت لحمه بكسر حروف أي هو.



أموال، فإن كانت لنا لا نصبر، وإن كانت قد تفرقت على جهاد، وإن كانت لكم تصدقوا إن قد يجزي القليل. فقال عمر بن عبد العزيز: وما ترك لنا الأموي في واحدة خيراً.



ومن التعريفات والأمثال السابقة يمكن القول بأن التقسيم يطلق على العود:

أولها: استيفاء جميع أقسام المعنى، وقد ينقسم المعنى إلى اثنين لا ثالث لهما، أو إلى ثلاثة لا رابع لها، أو إلى أربعة لا الخامس لها، وهكذا...

ومن تقسيم المعنى إلى اثنين لا ثالث لهما بالإضافة إلى بعض الأمثلة السابقة قول ثلث البتاني: والحمد لله واستغفر الله. وكما سئل: لم خصها؟ قال: لأن بين نسبة وشبه، فأجدت على النعت، واستغفرت من البدنية.

وبه قول الشماخ يصف صلاة سائلكم الجملة:

من ما تخرج أرساؤه منقطة على حجر برهني لو يتدحرج<sup>(١)</sup>  
طالوته الشهد إذا صلاه الموطوء رجواً أرقص وتفرق منه، لو  
صلياً تدحرج منه، ولهذا لم يزل الشماخ مسلماً ثلثاً.

ومن تقسيم المعنى إلى ثلاثة لا رابع لها قول زهير:

فبين الحق منقطعه لثلاث يمين أو سفسار لو جهل<sup>(٢)</sup>

(١) منقطعة، سائلك، برهني، يعرف، والأرساء: حجج ومعجزات من أبواب الفروع المتعلقين بالحق.

(٢) يمين: الدعوى والتعقيب، والجهل: اليأس من فهم واكتشاف حقيقة الأمر.

فهل أنكم مضطجع كل حين ثلاث كملهن لكم شفاء  
 وكان عمر رضي الله عنه يتمصب من صيغة هذا التقسيم ويقول:  
 ولو أنكرت زعيماً لوليت الشفاء لمرطاه.

ومنه قول أنطبيب:

فلقد فرقت القوم: لا، وفرطهم - - - وفرق لائق: وفك ما تعري  
 ليس في القسم الإجابة عن المطلوب إذا مثل عنه غير هذه الأقسام  
 الثلاثة

وقول عمر بن أبي ربيعة:

وهي كشيء لم يكن لو كثرج - - - الدار لو من غيتة القاسم  
 علم يقين ابن ربيعة لها زعيماً كل إنسان مفلود نسباً إلا أن به في  
 هذا البيت.

وقول زهير:

وأعلم ما لي اليوم ولاس نيك - ولكني من علم ما لي غيرهم  
 فالبيت جامع لأقسام الرمان الثلاثة ولا رابع لها.

\*\*\*

والأمر الثاني الذي قد يطلق التقسيم عليه يمثل في ذكر أحوال  
 الشيء مضافاً إلى كل حالة ما يلائمها ويليق بها - ومن أمثلة ذلك قول أبي  
 الطيب السبي:

سأطلب حقي بالقنا ومشيخي - - - كليم من طول ما تشموا مرود

فقال إذا لاقرء أعضاء إذا ذهبوا كثير إذا شدوا قليل إذا قدوا<sup>(١)</sup>  
 فالشاعر قد أضاف هنا كل حال ما يلائمها، بأن أضاف إلى التكلل  
 حال ملاقاتهم الأعداء، وإلى الحفا حال دخولهم إلى الحرب، وإلى الكثرة  
 حال شدتهم وعبودتهم على الأعداء في الحرب، وإلى القلة حال ضعفهم  
 وإحسانهم، لأنهم إذا غلبوا أعدائهم في قلة عددهم، كان هذا النصر لهم  
 من الكثرة.

ومنه قول زهير:

يطعنهم ما لركبوا حتى إذا طعنوا صارت حتى إن ما صاروا اعتدا  
 فزهر قد كن في هذا البيت جميع ما استعمله الممدوح مع أعدائه  
 في وقت الفجاء والحرب مضافاً إلى كل حال ما يلائمها، وذلك بأن أضاف  
 إلى طعن الممدوح أعدائه حالة تركبهم وإلى فزهره إضعاف حالة طعنهم،  
 وإلى اعتدائه حالة مصارعتهم أظهر في كبر حال، يتقدم خطوة على أقرانه.

ومنه قول طريح الكندي:

إن يستمعوا الخبر بغيره وإن سمعوا شراً تكلموا، وإن لم يسمعوا تكلموا  
 فيها أضاف الشاعر إلى سماع الخبر حالة إضعاف، وإلى سماع الشر  
 حالة إذاعة، وإلى عدم سماعهم خبراً أو شراً حالة الكذب.

\*\*\*

والأمر الثالث الذي قد يطلق التفسير عليه يتمثل في التشطيع،  
 ويقصد به تشطيع ألقاب البيت الواحد من الشعر إلى أقسام مثل تشطيعه

(١) القدا الزمخ، كبر ما شدوا من عدو، وبالشبح من استعمل، لا يتوهم قدام ولا  
 لرب، فاعلم فاعلم مراد، والتمام في الحرب هذا العرب، كذا لفظه فيهم.

العروضية، ثم إلى مقاطع متساوية في الوزن، ويسمى التقسيم حينئذٍ  
«التقسيم بالتقطع».

ومن أمثلة ذلك وهو من بحر الطويق قول لثني:

لما شوق ما أبهى وبالي من السوى      ويا مع ما أبهى وبيا قلب ما أبهى  
فلقد جاء لثني بهذا البيت مقسماً على تقطيع الوزن، كل أسطرين  
روح بيت.

وبه وهو من بحر السبط قول لثني أيضاً:

للسي ما تكبروا والظلي ما ولهم      والسهب ما جمعوا والفر ما زرعوا  
فلقد جاء البيت مقسماً قطعاً إلى أربعة مقاطع متساوية في الوزن.

وبه وهو من بحر الخفيف قول البحاري

لقد شوقاً أو مسعداً أو أعزباً      أو مديماً أو عافواً أو عسولاً  
فالبيت هنا مقسم قطعاً إلى ستة مقاطع كل واحد منها يمثل تعليلة  
من تعليلات بحر الخفيف.

وقد يجرى التقسيم بالتقطع مسجوماً، فنقول مسلماً من الوالد:

كأنه لمصر أو طهرهم مصر      أو حبة دكر أو عارضي عطلي  
ونقول أي شام من نصيبنا مدح فيها القصم ويذكر فتح عبودية.

ثم يعلم الكافر كم من العصر كمت      له ألفة من الشعر والقصبة<sup>(٢٠)</sup>  
تدبير معتصم به الله متقم...      فله مرلقبه في الله مرلقبه

---

(٢٠) الشعر: الزخام، والقصم: السرب، وعبودية: عطلي، هذه الأوزان الشهيرة وكانت  
معهم أطراف من القسطنطينية، وقد قلنا انقسام في معرفة الشعر.

فاليوم الثاني هذا فيه تقسيم بالتطعيم المسحور. وقد أطلق قدامة  
 على هذا النوع اسم «المزجج»، واصله، وأصله كثيراً في وصفه  
 والمطعماء لم يكتفوا من هذا النوع كروعة التكلف، وإنما زودوا عقولهم  
 به قول أبي التمام في الرثاء:

هيباط أودية حمال أنوية      شهيد أعمدة مروحان قبيحان  
 يخطيك ما لا تكاد النفس تسلمه      من غلابة وعروب طير صان<sup>(١)</sup>  
 بالتطعيم بالتطعيم المسحور هو هذا في البيت الأول كما يرى.

ومن التقسيم نوع يقال له تقسيم القصد ويكون مجمل كل شيء،  
 قصده، كقول العباس بن الأحنف  
 وحالككم عزم، وعينكم قل      وعظكم عزم، وسلككم عزم

حكى الصولي أن محمد بن موسى المصنف كان يحب التقسيم في  
 الشعر وكان معجبه ببيت العباس بن الأحنف هذا ويقول: وأحسن وأقل  
 فيها قسم حين جعل كل شيء قصده وأراد أن هذا التقسيم لأحسن من  
 تقسيمات إقليدس<sup>(٢)</sup>.

عروب التقسيم:

والتقسيم إذا استوعب جميع أقسام الشيء أو جميع أحواله فهو  
 التقسيم الصحيح الذي يحد من موك الذبح للمعوي. ولكن التقسيم قد  
 يحدوه بعض أمور قصده وتنقص من قيمته، ومن ذلك:

١ «عدم استيفاء كل أقسام الشيء». كقول جرير،

(١) السرحان بالكسر: القلب والأذن. والغلة والغلة والغلة: كل ذلك كقيم، وبه لعله  
 الطوف والطريف

(٢) كتاب المصنفين ج ٢ ص ٢١.

عبارة خمسة أثلاثاً فكلهم من العهد وثلاث من موثيقنا  
 فهو بعد أن ذكر أسم الأسم ثلاثة ذكر قسمين وسكت عن الثالث،  
 فالفقرة هنا رديئة قيل: إن حريزاً أشد هذا البيت ورجل من حيفة  
 حاضر، فليلك. من أي قسم أنت؟ فقال: من الكثرة القليل ذكره  
 ومن هذا شروع أيضاً قول من القفرة: «الاس ثلاثة: عاقلي،  
 وأحق، وقاهر»، فإن الفقرة هنا رديئة لعدم استبعاد ألقابها، لأن القاهر  
 يجوز أن يكون أحق، ويجوز أن يكون عاقلاً، والعاقلي يجوز أن يكون  
 قاهرًا، وكذلك الآخر.

٢. يقول أحد القسرين في الآخر: كقول لامية بن أبي الفضل:  
 قد بعثت لنا تبارك رمت رب الأسم ورب من يشاء  
 فالفقرة هنا فاسدة لأن من يتألم ويترحمه داخل في «الأسم»  
 وكقول الآخر:

فما برحت نومي إني بطرفها وتزلفن أحياناً إني طرفها عقل  
 فالفقرة في البيت متداخلة لأن «نومي» و«نومضه» واحد،  
 وكقول جميل:

لو كان في قلبي كقدر لخالمة حناً وحشاك أو ككثك رسائلي  
 فليت يومهم بالتقسيم، ولكنه ليس كذلك لأن إيهان الرسائل داخل  
 في التوصل.

### الآلقات

لعل الأصح (٢١١) هذا أول من ذكر «الآلقات»، فلهذا حكي عن

إسحاق الموصلي أنه قال: قال لي الأصمعي: أتعرف الضمت جريراً قلت:  
وما هو؟ فأثنيت قوله:

أتسى إذا نود عينا سليمي بصورة يشاء؟ سفي الضمائم  
أما نود مثلاً عن شعره، إذا شئت إلى الشام فذكره فهدأ له<sup>(١)</sup>.



ولقد عُدَّ ابن القزويني والاعتماد من الحسن الكلام وبنيته، فعرفه  
ومثل له بعدة أمثلة من القرآن الكريم والنسخ. فهي تعريفه له بقوله:  
والألفاظ هو انصراف لشككم عن شذوطة إلى الإحصاء. ومن الإحصاء إلى  
الخطابة وما يشبه ذلك. ومن الألفاظ الانصراف عن معنى يكون فيه إلى  
معنى آخر<sup>(٢)</sup>.

ثم مثل لانصراف التكلم عن شذوطة إلى الإحصاء، أو بصورة  
أخرى لانصرافه عن الخطابة إلى الخطبة بقوله تعالى: يا أيها الذي يسركم  
في السر والنجوى حتى إذا قسم في القللك وآخرين هم مريج طيبة وفرحوا بما  
جاءها ربيع عاصف وجاءهم الفرج من كل مكان وطوبى لهم أحبط يوم  
دهوا الله مخلصين له الدين لكن أجبنا من هذه لكوني من الشاكرين<sup>(٣)</sup>.

والألفاظ في الآية الكرينة هو في قوله تعالى: يا أيها الذي يسركم في  
القللك وآخرين هم مريج طيبة<sup>(٤)</sup>. ومن هذا الألفاظ يقول ابن الأثير:  
وقوله إنما يعرف الكلام هنا من سقطت إلى الضمة الفاعلة وهي أنه ذكر  
لفهمهم حالهم ليعلمهم منها كالخبر ثم ويستدلون بهم الإنكار عليهم

(١) انظر كتاب المصنف ج ٩ ص ٤٤١. وكتاب الصحاح ص ٣٩٧، والشام: شعر ذو

سقى وألفاظ وروي لا شعر له.

(٢) كتاب الفصح ص ٤٥.

ولو أنه قال: حتى إذا كنتم في الفلك وجرى بكم برج طيبة وطرحت بها،  
وساق الخطاب منهم إلى آخر الآية، تدعيك تلك الفاعلة التي أنشأها  
الخطاب الآية<sup>(١)</sup>.

ومثل ابن المعتز كذلك لا يصرف المفعول عن الإخبار إلى المفاعلة،  
أو بصورة أخرى لا يصرفه عن الآية إلى الخطاب بقوله جرى  
طرب الحمام بني الأراك فتأني لا زالت في غلّ وأنت ناضر<sup>(٢)</sup>  
مجرى لحد آخر عن العذب في الشطر الأول وهو الحمام، ولكنه  
في الشطر الثاني يصرف عن الاستمرار في خطاب هذا العذب والتعب إلى  
مخاطبة بقوله لا زالت في غلّ وأنت ناضر الرينة فاعلة في المعنى هي  
النداء للحمام.

أما النوع الثالث من الألفاظ نجد أن المعتز وهو يصرف المفعول  
من معنى يكون فيه إلى معنى آخر فقد أمثل له بقوله أي تمام:  
وأصعدن من بعد جهنم داركم في دمع أنحن على ساكني نجد  
فالشاعر، وهو المفعول هنا، ينز من مخاطبهم بأنه يعلم أنهم قد  
انقلوا دارهم في سعد بعد أن كانت في جهنم، ثم يصرفه أو يلتفت بعد  
ذلك إلى معنى آخر يأمثل في دمع الدمع ومطالبتهم بأن يسعدوا على ساكني  
نجد.



وجدنا قداسة بن جهم بعد أن المفعول بعد الألفاظ من معون:

(١) قال الشاعر في ٢٢٠.

(٢) المفعول جمع الذين واللام المجرى بعد مشرب تاء، والظن: شمس، فيجاء إكراه  
ويقال شجر من الأراك.



العلمي وعرضه بقوله: «والاكتشافات أن يكون الشاخص تبعاً في معنى لهيئته إما شك فيه أو ظن بأن راءة يود عليه قوله، أو سقلاً يسلك من سبه فيعود راجعاً إلى ما تقدم، بمعنى بلغت إليه بعد فراقه، فإما أن يذكر سبه أو يظن الشك له»<sup>(١)</sup>.

ومن أمثلة ذلك عند قول المعطل المفضل:

تبين صلالة الحروب ما ومنصور ما من التفتة والسلم ماغن<sup>(٢)</sup>

فقوله: «والسالم بانه رجوع من المعنى الذي تقدمه حين يبين أن علامة وشلالة الحروب من غيرهم أن السالم يكون مدناً والمطرب صامراً ومن أمثله أيضاً قول فرماح من مدينة:

فلا حيرته يشو ولي الفليس راحة ولا وجهه يسوق لنا عكسونه<sup>(٣)</sup>

فكأنه يقول: «ولي الفليس راحة» أو «لا» أو «لا» إلى المعنى التقدير أن مدبراً يقول له: «وما تصيح مدبراً في حيرة» يقول مياً علة ما يرجوه من انكشاف حيرته وحيرة: «لأنه يراعي في الفليس، ولي الفليس راحة»

• • •

ومن يدارن مفهوم والاكتشافات عند من لمعز وفدانية، ثم يطلع منهجه عند غيرهم من أمثال أبي هلال العسكري، ومن راسل، ومن الذين الرزاي والسكاكي، نجد أن سبهم من يستوحى مفهوم والاكتشافات عند

(١) كتاب لغة الشعر لعماد ما ص ١٠٦

(٢) البيه: تبيين صلالة الحروب عدم السد الفس بامسود حرقا وندى والحوفا مع

صلا، مثلي: قاضي وحيدة

(٣) الصريح يفتح صلا: عند الرمز وهو الشعر والحمد

بين المثلث أو قدامه، ومنهم من يخط بين هذا الفن البديهي والاعتراضي،  
 وغير من عرض الموضوع، والاعتراض في نظرية هو قياس الذين بين  
 الآتي، فقد عالج بوضوح وهم لأمره البلاغية، ولهذا كثر أن نقل هذا  
 خلاصة لكلامه عن «الاعتراض» توضيح حقيقة ووظيفته البلاغية، ولهذا  
 الخط الكثير الذي وقع فيه غيره من اللغويين.

يستعمل ابن الأثير كلامه، عن هذا الفن من فنون البديع اللغوي  
 بيان حقيقة يقول: «حقيقته مأخوذة من الصفات الإنسانية من بنية  
 وشماله، هو يقبل بوجهة ثلثة كذا وثلاثة كذا، وكثرت يكون هذا طرح  
 من الكلام خاصاً، لأنه ينقل فيه عن صيغة إلى صيغة كالاتصالات من  
 خطاب حاضر إلى غائب، أو من خطاب غائب إلى حاضر، أو من فعل  
 حاضر إلى مستقبل، أو من مستقبل إلى حاضر، أو غير ذلك مما يأتي ذكره  
 مفصلاً.

ويسمى أيضاً «شجاعة الحرية»، وإنما سمي بذلك لأن الشجاعة  
 هي الإقدام، وذلك أن أرحل الشجاع يركب ما لا يستطيع غيره، ويتورع  
 ما لا يتورع سواه، وكذلك هذا الاعتراض في الكلام، فإن اللغة الحرة  
 تختص به دون غيرها من اللغات»<sup>(١)</sup>.

## أقسام الاعتراضات

ثم يقسم ابن الأثير الاعتراضات ثلاثة أقسام هي

١ - القسم الأول: في التخرج من الغيبة إلى الخطاب، ومن  
 الخطاب إلى الغيبة.

(١) كتاب نقل القصار عن ١٢٢، وهو = ٦ بقوله سواه أي بطرقه بما لا يحيط به سواه

٢ - القسم الثاني: في الرجوع عن الفعل المستطيل إلى فعل الأمر،  
وعن الفعل الماضي إلى فعل الأمر.

٣ - القسم الثالث: في الإتيان عن الفعل الماضي بالمستطيل، وعن  
المستطيل بالفعل الماضي.

وهذا على خلاصة الكلام من الأثر من كل قسم من هذه الأقسام.



١ - من القسم الأول، وهو المخصص بالرجوع من الغيبة إلى  
المخاطب ومن الخطاب إلى الغيبة يورد ابن الأثير أولاً قوله بعض علماء  
البلاغة في السبب الذي قصده العرب إليه من وراء استعمال هذا  
الأسلوب، ثم يعقب عليها برأيه.

عمامة المتنون إلى هذا قسمين إما مباشر عن الانتقال من الغيبة إلى  
المخاطب ومن الخطاب إلى المخبر فلهذا كذلك كانت جهة العرب في  
أساليب كلامهم. وهذا القول يفتقر حكاية نصيبان كما يقال.

كذلك لم يوافق جواب الزمخشري عن هذا السؤال بأن الرجوع من  
الغيبة إلى الخطاب إنما يستعمل لتطويع الكلام والانتقال من أسلوب إلى  
أسلوب بطريقة لشاط السامع ويحفظ للإصغاء إليه.

ويحد من الأثر أن الانتقال من الخطاب إلى الغيبة لو من الغيبة إلى  
المخاطب لا يكون إلا تبادلاً اقتضته. وذلك لقاعدة لم يرد الانتقال من  
أسلوب إلى أسلوب، غير أنها لا تحد بعد ولا تقسط بضابط، لكن يشتر  
إلى مواقع منها أيقن عليها غيرها.

فالانتقال من الغيبة إلى الخطاب قد يكون القرض من تعظيم شأن  
المخاطب، وقد يستعمل ذات القرض للبعد، أي للانتقال من الخطاب

إلى الغلبة، ومن ذلك يعبر أن العرض الوضوح لاستعداد والاتجاه لا يجري على رتبة واحدة، وإنما هو منصوص على المثابة بالحق المقصود، وذلك المعنى يتشعب شعباً كثيراً لا نحصره، وإنما يؤول بنا على حسب التوضيح الذي نرد فيه. وفي الأمانة مثابة توضيح ذلك.

أ. فمن الألفاظ بالرجوع والمعلوم عن فنية إلى الخطاب قوله فعل - ﴿ وقالوا الحمد للرحمن ولما لقد عظم ثبته إذا ﴾<sup>(١)</sup>. وإنما قيل: ﴿ لقد عظم ﴾ وهو خطاب للمخاطب بعد قوله ﴿ وقالوا الحمد للرحمن ولما ﴾ وهو خطاب للمخاطب بعد ثبته، وهي زيادة التسهيل على قلبي هذا القول بالجرأة على الله، والتعرض لسطوته، وتبته لهم على عظم ما قالوه. كذا يخاطب قوماً مضربين بين يديه منكراً عليهم ومبرحاً لهم.

ومن هذا النوع أيضاً أي من الألفاظ بالرجوع أو المعلوم عن الغلبة إلى الخطاب قول القاصي **الرحمن**.

وهو أي لا مهجة يطالبوناً **رحمن** لرحمت الأديب فهي لم قلبي إذا رمتو قلبي ولكنكم أحيى **رحمنا** الذي أحيى إذا تشتمو عدينا؟

والبيت الثاني قد جاء وهو خطاب للمخاطب بعد البيت الأول وهو خطاب للمخاطب بالتعرض السلافي من وراء الألفاظ بالمعلوم عن الاستمرار في الإحياز عن العتاب بل غلظته هو لقل أحياء المخالفين في البيت الأول كأنهم يحضرون أمام لقرآنهم ويلومهم على عدم معاملة بالحق، وذلك بالقبالة بين مشاعرهم بحره. هو على أنهم استعداد لأن يقدّمهم بهجت إن أرحامهم ذلك، وهم يرومون قطع بالاعتدال في هجرته

(١) ﴿ يحضر طمرا والشيء الذي - الأمر المصحح طمرا، وإن الأمر شديد ذلك: الله وعظم عليه.

والإعراض عنه كما لو كان عدواً لهم.

• • •

وبما يخطر في هذا السلك الالتفات بالرجوع من خطاب النية إلى خطاب النفس، كقوله تعالى: ﴿ثم استوى إلى السماء وهي دخان فلقا لها والأرض إثنياً طوعاً أو كرهاً فلقا اثنتى مائتين﴾، ففصلان سبع سموات في يومين، وأوحى في كل سماء أمره، ورزق السماء الدنيا بمصالح وحفظاً، ذلك لتقدير العزيز العليم ﴿﴾.

فلا بد من الالتفات بالعدول من النية إلى خطاب النفس، ﴿ثم قال﴾ ورزقاً ﴿بعد قوله﴾ ﴿ثم استوى﴾ وقوله ﴿فلفصلان﴾ - وكوسى ﴿﴾. والفتنة في ذلك أن طاعة من الناس غير المشركين يعتقدون أن الموعود ليست في سماء الدنيا، وإنما يستحقها ولا دعوى، فلما صار الكلام إلى هذا عدل به عن خطاب النفس إلى خطاب النفس لأنه مهمة من مهمات الاعتقاد، وهذا تكثير للفتنة الكثرة المتعددة بطلانها.

ومن الالتفات بالرجوع أو العدول عن مخاطبة النفس إلى مخاطبة الجماعة، قوله تعالى: ﴿وإلى لا أهدى الذي بطري وإليه ترجعون﴾. وإنا صرف الكلام عن خطاب نفسه إلى خطابهم، لأنه أمر الكلام لهم في معرض المناجاة، وهو يريد ما يحتاجون لينطق به ويدارهم لأن ذلك أدخل في إحصاء الصبح، حيث لا يريد لهم إلا ما يريد لنفسه. وقد وقع قوله ﴿وإلى لا أهدى الذي بطري﴾ مكان قوله ﴿ومنا لكم لا تعبدون الذي فطرهم﴾ بتأويل قوله ﴿إليه ترجعون﴾. ولولا أنه قصد ذلك لكان «الذي فطرهم» وإليه أرجع.

• • •

بـ ومن الكلمات بالمرحوم أو المندول من الخطاب إلى الغيبة، قوله تعالى: ﴿وَإِذَا يَا أَيْهَا النَّاسُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جِئُوا فَقُلْ لَكُمْ إِلَهُكُمْ إِلَهُ الْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ ۚ فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأَمِيِّ الَّذِي يَأْمَنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبَعُوا أَمْرَهُمْ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝﴾.

قوله إنما قال: ﴿فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ ولم يقل: يَفْآمَنُوا بِاللَّهِ وحيه عطفاً على قوله: ﴿وَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جِئُوا﴾ لكي يجري عليه الصفات التي أُجريت عليه. ولما علم أنه الذي وجب الإيمان به والاتباع هو هذا الشخص الموصوف بأنه النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته كالآية من كان لها أو غيره، إظهاراً للصفة وبدأ من التصيب. فمر أولاً في صدر الآية إلى رسول الله إلى الناس، ثم أخرج كلامه من الخطاب إلى معرض الغيبة لغرض: الأول منها إجراء تلك الصفات عليه، والثاني الخروج من غيبة التصيب.

ومن هذا الوجه، أي على الاستعداد بالمرحوم أو المندول من الخطاب إلى الغيبة قول ابن القيم:

من سحر عينك الأمان الأمان قتلت رب السيف والسيلسان  
أصغر كماله صبح له حيلة لو لم تكن كحيلة كانت ستان

لقد جلد من الخطاب في البيت الأول إلى الغيبة في البيت الثاني لغرض بلاغي قد يكون الغرض في الأسلوب، وقد يكون التذكير من به التشبيه الذي يشبه فيه القوام بالمرجع، مع المحافظة على سلامة الوزن الشعري.

• • •

والقسم الثاني من الكلمات، هو الخاص بالمرحوم أو المندول عن

الفعل المستقبل إلى فعل الأمر، ومن الفعل الماضي إلى فعل الأمر.

ويقول ابن الأثير إن هذا القسم ثلثي فله في أنه ليس الاستفهام فيه من صيغة إلى صيغة طلباً للتوسيع في أسلوب الكلام فقط، بل الأمر وراء ذلك. وإنما يقصد إليه تعظيماً لحال من أجرى عليه الفعل المستقبل والتعظيماً للأمر، وبالضد من ذلك ليعين أجرى عليه فعل الأمر.

فمن الالطافات بالرجوع أو العدول من الفعل المستقبل إلى فعل الأمر قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا يَأْتِيَكُمُ الْفِتْنَةُ عَنْ يَدَيْكُم بِالْأَمْرِ نَافِلَةً﴾. وما نحن بشاركي ألفتنا من قولك. وما نحن لك بمؤمنين. أن نقول كلا فمشارك بعض ألفتنا بسوء. قال إلى أشهد الله. وأشهدوا لي بربيه عما تشاركون ﴿

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا يَأْتِيَكُمُ الْفِتْنَةُ عَنْ يَدَيْكُم بِالْأَمْرِ نَافِلَةً﴾. ولم يقل: «وأشهدكم» ليكون مؤلفاً له بضماء، لأن إتيانهم الفتن على البراءة من الشرك صحيح كانت. وأما إتيانهم بما هو إلا يبارون ببركة الله عن لغة الالفاظ بأمرهم، ولذلك عدل به عن لفظ الأول - المستقل - لإحلاف ما يبدوا وجوبه به على لفظ الأمر، كما بقوله الرجل لي سألت خلافتك به: أشهد عليّ أي أشهدك. يركباً به واستهانة بحلفه.



ومن الالطافات بالرجوع أو العدول من الفعل الماضي إلى فعل الأمر بخرس التوكيد لما أجرى عليه فعل الأمر فكان العناية بتحقيقه قوله تعالى: ﴿قُلْ أَمْرٌ رَبِّي بِالشَّفِطِ وَالْقِيَمَةِ وَجُوهَكُمْ عَنْ كُلِّ مَسْجِدٍ وَإِعْرَافُ غُلَامِكُمْ﴾.

وكان تقدير الكلام: أمر ربّي بشفط وبقالة وجوهكم عند كل مسجد، فعلى من ذلك بالالطافات إلى فعل الأمر للعناية بتوكيده في

تقومهم. فإن الصلاة من أركان عبادتي الله على عباده، ثم أتبعها بالإخلاص الذي هو عمل القلب. إذ عمل الجوارح لا يصح إلا بإخلاص القلب، ولهذا قال النبي ﷺ: «الإيمان بالقليات».



لما قسم ثالث والأخير من أقسام الانكشاف فهو الخاص بالإخبار عن الفعل الماضي والمستقبل وعن مستقبل بالفعل الماضي.

فلأول هذا، هو الإخبار عن الفعل الماضي بالمستقبل. ويان ذلك أن الفعل المستقبل إما أن في حالة الإخبار عن وجهه الفعل كان ذلك أبلغ من الإخبار بالفعل الماضي. والسبب في ذلك أن الفعل المستقبل يوضح الحال التي يقع فيها، ويستحضر تلك الصورة حتى كأن السامع يشاهدها وليس كذلك الفعل الماضي.

وليس كل فعل مستقبل محطاً على ماضي يجري هذا المجرى وتكفي ذلك أن يحطه المستقبل على الماضي ينقسم إلى صريين. أحدهما بلاغي وهو إخبار عن الفعل الماضي بمستقبل، والآخر ليس بلاغياً. وليس إخباراً عن فعل ماضي مستقبل، وإنما هو مستقبل على فعل ماضي مستقبل غير ماضي، ويراء به أن ذلك الفعل مستمر الوجود لم يطف.

فالضرب الأول كقولهم تعالى: ﴿فَمِمَّا فَتَمَّ اللَّهُ لِي إِذْ رَأَيْتُ السَّحَابَ مُتَجَاوِزَ مِثْقَلِ إِثْمَانٍ﴾. فمما فتتم الله لي إذا رأيت السحاب متجاوزاً ميثاقاً من الأرض بعد موتي كذلك التثنية. وإنما قال ﴿فَمِمَّا فَتَمَّ اللَّهُ لِي﴾ مستقبلاً وما فيه وما بعده ماضي، وذلك حكاية الفعل الذي يقع فيها إلقاء الروح السحاب، واستحضار تلك الصورة البهيجة الدالة على القدرة الباهرة... وهكذا يفعل بكل فعل فيه نزع ليزر وعصرية، كقولهم: ﴿سُتَغْرِبُ أَوْ هُمْ لِمَا تَطِبُّ لَوْ غَيْرَ ذَلِكَ﴾.



ومن هذا الضرب أيضاً قوله تعالى: ﴿ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو يخوي به الريح في مكان سحيق﴾. خلال أولاً  
 ﴿من السماء﴾ بالتخطف الطير أو يخوي به الريح في مكان سحيق. ﴿خلال أولاً﴾  
 ﴿من السماء﴾ بالتخطف الطير، ثم عطف عليه الاستفيل وهو  
 «تخطفه وتهوي»، وإثنا عطف في ثالث إلى المستقبل لاستحضار صورة  
 عطف الطير إياه وتخوي الريح به في مكان سحيق.

وبنه كذلك قول ثعلب شراً:

بئس قد أقيت الغسول تهوي      يشبه كمالصحيفة مصححان  
 فالحجرية بلا دعش غسرت      عسيرةً للبدن والمحران<sup>(١)</sup>

تأبط شراً قصد في هذين البيتين أن يصور لغوهم الخال التي تنجع  
 فيها على ضرب القول كأنه يُرحم إيجا متعينة مائة أمام أعينهم لتعجب  
 من جرأة على ذلك القول. ولم قال: «عسيرة» عطفاً على الفعل الماضي  
 فيه وهو «أقيت» لزان الغرض التلالي<sup>(٢)</sup> المذكور.

أما الضرب الثاني: وهو الفعل المستفيل الذي يدل على معنى  
 مستقبل غير ماضٍ، ويؤيد به أنه فعل مستمر الوجود لم يضي فكفرته  
 تعالى: ﴿إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله﴾ الآية إذا عطف  
 الفعل المستفيل ﴿يصدون﴾ على الماضي ﴿كفروا﴾ لأن كفرهم كان

(١) القول بلفظ الحيا، بالضم، والدعش، والى ما جعل الإنسان والحيوان فهو قوله  
 وكانت العرب ترحم أن يهلك في شيرات والصغير يرمى لسان فيقول كفراً،  
 أي كفراً قوياً في صور غير الصلح من الطير والبهائم. وحل هذا الذي يكون  
 القول التي يرب ذكراً في اليد قد قصد التأبط شراً في صورة ناقة أو رجل.  
 والمصححون الألف السنية التامة، وسحران بكسر الحيم. ملحق من البحر من  
 ملحقه إلى متعده، وإثنا يرك البحر وقد عطف على الألف قبل التي بركه بالألف.

وَوَجَدَ لَمْ يَسْتَجِدُوا بَعْدَهُ كَثَرًا ذَاتًا، وَصَدَعَهُمْ مِنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَلْجَأَهُ عَلَى  
الْأَيَّامِ لَمْ يَكُنْ رِجْوَاهُ، وَإِنَّمَا هُوَ سَتَرٌ يَسْتَكْفِي فِي كُلِّ حِينٍ.

وَمِنْ هَذَا الْقَرْيَبِ لِبَشَأَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا تَرَى أَنَّ اللَّهَ آتِيًا مِنَ  
السَّمَاءِ بِالسَّحَابِ فَاصْبِرْ الْأَرْضُ عِصْرَةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾. فَبِهَا تُدْكَرُ عَنْ  
النَّظَرِ الْخَاصِّ إِلَى الْمُسْتَقْبَلِ فَذَلِكَ. ﴿وَاصْبِرْ الْأَرْضُ عِصْرَةً﴾ وَلَمْ يَقُلْ  
وَأَصْبَحْتَ عِصْرَةً عَطْفًا عَلَى مَا تَوَلَّى وَبَدَلَتْ لِإِطَاعَةِ بَقَاءِ أَمْرِ الْخَطَرِ زَمَانًا مَعَدَّ  
زَمَانًا. فَاتَّزَالَ اللَّهُ مَطْنِي وَجُودِهِ وَحَضَرُوا الْأَرْضَ بِأَقْلَامِ لَمْ يَكُنْ.

وَعَلَى كَيْفَا تَقُولُ: وَأَنْصَبُ عَنْ غِلَاظِ مَارُوحٍ وَأَخَذُوا شَاكِرًا لَهُ وَابْنُ  
قَلْبٍ - وَفَرَحَتْ وَفَقَدَتْ شَاكِرًا لَهُ لَمْ يَلْعَ ذَلِكَ الْوَجْعُ، لِأَنَّهُ يَنْتَلِ عَنْ مَخَاصِي  
قَدْ كَانَ وَالْخُفْيَ.



وَلَمَّا الْإِخْبَارُ بِالْفِعْلِ الْخَافِي عَنْ الْمُسْتَقْبَلِ، يَجُوزُ عَكْسُ مَا أُنْقِصَ  
ذَكَرَهُ، وَذَلِكَ أَنَّ الْفِعْلَ الْخَافِي إِذَا تَحَوَّرَ عَنِ الْمُسْتَقْبَلِ فَذَلِكَ لَمْ يَوْجَدْ  
مَعًا، كَمَا أَنَّ ذَلِكَ أَجْلَعُ وَأَبْوَكَ فِي تَحْقِيقِ الْفِعْلِ وَالْإِخْبَارِ، لِأَنَّ الْفِعْلَ الْخَافِي  
يَحْتَلِي مِنَ الْمَعْنَى أَنَّهُ قَدْ كَانَ يَوْجَدْ.

وَإِنَّمَا يَنْفَعُ ذَلِكَ إِذَا كَانَ الْفِعْلُ الْمُسْتَقْبَلُ مِنَ الْأَشْيَاءِ الْمُعْطَاةِ الَّتِي  
يُسْتَعْمَلُ وَجُودُهَا. وَتَفَرَّقَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْإِخْبَارِ بِالْفِعْلِ الْمُسْتَقْبَلِ عَنِ الْخَافِي  
أَنَّ الْفَرْقَ بَيْنَهُمَا لِيَبَيِّنَ هَيْئَةَ الْمَعْنَى وَاسْتِحْصَالَ صَوْرَتِهِ لِيَكُونَ السَّمْعُ كَمَا هُوَ  
يُشَاهِدُهَا، وَالْفَرْقُ بِالْإِخْبَارِ بِالْخَافِي عَنِ الْمُسْتَقْبَلِ هُوَ الدَّلَالَةُ عَلَى إِتْيَانِ  
الْفِعْلِ الَّذِي لَمْ يَوْجَدْ.

فَمِنْ أَسْبَابِ الْإِخْبَارِ بِالْفِعْلِ الْخَافِي عَنِ الْمُسْتَقْبَلِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا  
يَقْضَى فِي الْحُجُودِ الْفَرْجُ نَسِيَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، لِيَكُنْ إِذَا ذَكَرَ

﴿الفرغ﴾ يُلغى الماضي بعد قوله ﴿يُنْفِخُ﴾ وهو مستقبل، للإشارة بتجديد الفرغ، وأنه كائن لا محالة، لأن الفعل الماضي يدل على وقوع الفعل وكونه متطوعاً به.

ومن أمثلة الاستغناء بالإخبار بالفعل الماضي من المستقبل أيضاً قوله تعالى: ﴿وَجِئَ نَجْعَ الْجَدَلِ وَتَوَرَّى الْأَرْضِ يَابُورَ وَحِشْرَتَاهُمْ فَلَمَّ ظَفِيرُهُمْ أَسْفَافاً﴾. وإنما قيل ﴿وَحِشْرَتَاهُمْ﴾ تعجباً بعد ما سبَّ وتَرَبَّى وهما مستحيلان للدلالة على أن حشرهم قبل التفسير والبروز ليشاهدوا تلك الأحوال، كأنه قال: وحشرتهم قبل ذلك لأن الحشر هو أتهم، لأن من الناس من ينكر، كالغلاسفة وغيرهم، ومن أجل ذلك ذكر بلفظ الماضي.

مالم يرد في النصوص من حيثها من الأحكام إلى حيثها لا يكون، كما  
وأما، إلا أنوع من الخصوصية التي هي ذلك، وهذه أمر لا يوجب في  
كلامه إلا للمفسر بين القول والمفهوم كغير الخصوصية والاطلاق<sup>(١)</sup>.



المجموع: هو أن يُجمع بين متعدد في حكم واحد، أو هو أن يجمع التكليم بين شيئين فكلٌّ في حكم واحد، كقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ وَالْيَوْمُ الْآخِرُ أَكْبَرُ مِنْ اللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾، فقد جمع الله سبحانه وتعالى لفظاً واليومين في الزيادة.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَالشُّعَرَاءُ وَالتَّمْرِ حِصْبَانِ وَالنَّجْمِ وَالشَّجَرِ حِصْبَانِ﴾. فجمع بين الشمس والقمر في الحِصْبَان أي الحساب

١٨٧ - ١٨٨

(٢) الحساب يقدم انشاء للثقافة الحساب الفيلسوف والنسب من الفيات التي يقدم الى  
يقدم من الارض ولا ساق له، والشعر، الجهد الذي له ساق وله الفصاحة، ووجهات ا  
الى ثقافتين لا اراء الف، سيجات منها

الذليل، وضع بين اللحم والشعر في السجود في الالتفات لإزالة كل  
سبحة.

وبت قوله ﷺ: من أصبح تمأً في سريره، دعا في بدنه، هذه  
أقرب بوجه، فكانت حيرت له الدنيا بعد الفريضة<sup>(1)</sup>، فجمع الأمن وسلامة  
البدن وقوت اليوم في حكم واحد هو عيارة الدنيا واعتلاها بعد الفريضة أي  
من صبح نواحيها.

وبت شعراً قول أبي العتاهية:

إن الصراخ والشكوى والحسنة مصفحة للفساد أي مفسدة  
لجميع الشغل بين الصراخ والشكوى والحسنة أي الاستغناء في حكم  
واحد هم المفسدة، أي أن هذه الأمور تزدني مصافحاً إلى الفسدة.

### التعريف

التعريف في اللغة ضد الاجتماع -

والتعريف في اصطلاح النحويين هو إيقاع تاليف بين امرين من نوع،  
في المدح وغيره. وهذا معناه أن شككتم أو الشاظم بالي إلى تبيين من نوع  
واحد فيقول يسي تالياً وتفرقاً يرق يحد زيادة وتزجيلاً فيها هو بصفته  
من مدح أو ذم أو نسب أو غيره من الأعراف الأدبية.

ومن أمثلة التعريف قول رشيد الدين الموطوط

---

(1) العرب بكسر التين وسكون الراء - مصر وهو الراء عاد، ومن معانيها أيضاً: المصافحة  
من السنة والشر والظن والظن والثناء والرحمة، وأصبح أعرافاً، والظن: التوسل،  
وأصفاً صلياً.

عنا نوال الغصام وقت ربيع كشور الأسير يسوع صطبا  
 عسوال الأسير بسلوة عين<sup>(١)</sup> ونسوال السعصاع قسرة ساء  
 والشاعر هنا قد لوقع التبين بين النوالين أي العطارين: نوال الغصام  
 ونوال الأسير، مع أنها من نوع واحد وهو عطق نوال.  
 ومن أمثلة التفریق أيضاً قول الشاعر:

من قيس جودك بالغصام فما نصف في الحكم بين شكاكين  
 أنت إذا شئت صاحبت أبدا وهو إذا جاد دافع العين  
 لها شيان من نوع واحد هما جدوى المدوح وجدوى الغصام، أي  
 عطاهما، وقد لوقع الشاعر تلياً بينها فرق يفيد زيادة وتوجيهاً لكثرة  
 عطاء المدوح، فهو يعطي صاحباً فرحاً بالعطاء، عل حين يعطي الغصام  
 دافع العين، كأنما هناك قوا تبعد إلى العطاء على غير إرادة منه.  
 ومنه قول الشاعر:

ناسوك بالخص في الشقي قيس أهمل بلا انصاف  
 هناك خص الخلال بدمي وأنت طعن بلا خلاف  
 والشاعر أنى مما ينبغي من نوع واحد على التثنية هما: خصن شعر  
 الخلاف أي المصنّف، ونوال صاحبه الذي يلمه الخصن في الشقي، ثم  
 لوقع التبيان والتفریق بينا لقائمة معنوية اندعاه، وهي تفصيل نوال  
 صاحبه على خصن الخلاف، لأن الأخير تنفر الخص من لاسد والخلاف

(١) شعيرة من شعائرها الطقاع دعا من عراهم ومشاري وعمرها وهو القصيدة هناك والقصيدة  
 ليس فيه الجب أو شعيرة الأسير وهذا شكس صحيح من جلد ولد العطار إذا عظم، فبقية  
 غير: ليس فلهو والعراهم أو الشاعر أو غيره، والنوال: عطاء

لما الأول وهو قوام صياحته لفصل لا خلاف ولا شك فيه. وفي خلافه  
وخلافه جناس ثم تشابه الظن مطلقاً لا معنى، وإلتاق صروفها هبة  
وبوها وعدماً وإرتياً.

ومن الطريق أيضاً قول صفى الدين الحلي في مدح الرسول:

فيصود كفيه لم تطلع سحائبه عن العباد وجود السحب لم يدم  
فهي التيبت شبتان من نوع واحد هما: جود كفي الرسول صلوات  
الله عليه وجود السحب، وقد أوقع الشاعر لابتاً بينها مع أنها من نوع  
واحد وهو مطلق جود.

وقد قصد الشاعر من ورده هذا التبيان لو التفرق بين الشبتين من  
نوع واحد إلى طرفين بلامعي هو ترجيح وتفضيل جود كفي الرسول على  
جود السحب، فوجود كفي الرسول يحكي العباد متصل دائم وجود السحب  
منقطع غير دائم.

### الجمع مع التقسيم

الجمع مع التقسيم. هو جمع متعدد تحت حكم ثم تقسيمه، أو  
العكس أي تقسيم متعدد ثم جمعه تحت حكم

فالأول وهو جمع المتعدد ثم تقسيمه كقول المتنبي من قصيدته يصف  
فيها مولعة دارت بين الروم والغرب نهاية سيف القذبة بالقرب من بحيرة  
الحدث:

حتى أقام حل أرواح خروسة تلتفي به الروم والغصبان واليهج<sup>(١)</sup>

(١) الأرواح: جمع دهر فصحى، وهو ما عود الحياة، وخرقة: بلد من بلاد الروم،  
ولها بلقاء أبو فراس الحمداني:

للسبي ما تكفروا والقتل ما ولدوا والشب ما جموا والشر ما رزوا  
 فلفظي هنا جمع الروم مشير في سلبهم وأولادهم وأموالهم وزرعهم  
 تحت حكم واحد هو الشقاء، ثم قسم تلك الحكم إلى سبي وأقتل ونبه  
 بالإعراق، وأرجع إلى كل قسم من هذه الأقسام ما يلائمه ويناسبه، فأرجع  
 للسبي ما تكفروا، والقتل ما ولدوا، والشب ما جموا، والشر ما رزوا،  
 أي إهلاك مزارعهم بالإعراق.

ومع أن الصلابة والبيع تشترك بالمعنى مع فروج في الحكم عليها  
 بالشقاء إلا أن التقسيم أعطى بالروم وقصر عليهم وحدهم.

والثاني: هو التقسيم ثم الجمع، أو جملها الأخرى هو لتقديم التقسيم  
 وتأخير الجمع في الحكم عليه. ومن أشبه قول حسان بن ثابت

فوج إذا عاربوا ضربوا عرابهم<sup>١</sup> ثم حاولوا جمع في ألبانهم ففروا  
 سحبة تلك منهم غير عراك<sup>٢</sup> إن الحلائق فاجلم شرها فدرج<sup>٣</sup>

فسم الشاعر في البيت الأول صفة المتدعويين إلى ضر الأعداء في  
 الحرب ومع الأتباع والأولاد، ثم عاد فجمعها في البيت الثاني حيث  
 قال: وسحبة تلك.

والفوج الأول هنا كما يبدو أحسن وأروع في الخلوب من الثاني،  
 وعليه مشى أصحاب البديعيات.

---

١ - إن زوت وعربهماء لسيرا      فلكم أصطك بنا صغبروا  
 ولقد رأيت العرابك      شهب القتل والخصموا  
 ولئن لشهد الحمرن غدا      فله فله اليد يلك السروا  
 وإذا فدرج جمع يدعا، وهي تحت في ليس يد الكعدا، والرم يد هذا عدوك  
 الأعداء.

ومن النوع الأول أيضاً وهو المجمع ثم التلخيص قول صفى الدين الحلي:

أبناهم فليت: المال ما جمعوا      والروح لتسيف والأجساد للترحم<sup>(١)</sup>  
فكما يلهم من لبيت: جمع القضاة لمعرودين على السلطان تحت حكم  
واحد هو الإفتاء، ثم قسم ذلك الحكم إلى المال والروح والأجساد،  
وأرجع إلى كل واحد من هذه الأقسام ما ياسبه، فارجع لبيت المال ما  
جمعوا، وللسيف الروح والترحم الأجساد

ويلاحظ على هذا البيت أن صفى الدين الحلي قد استوحى  
معناه من معنى الفتني السابق، ولكن شدة بين صياغة وصياغة، وبين  
شاعر صانع وآخر ملحد

### المجمع مع التفريق

يعرفه علماء البديع بأنه المجمع بين اثنين في حكم واحد ثم التفريق  
بينهما في ذلك الحكم.

ومن أمثاله قوله تعالى: ﴿وَاجْعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَةً فَسَجَّوْنَا آيَةً  
الَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مَبْهُرَةً﴾ فاللهي أولاً أن الله سبحانه جعل الليل  
والنهار آيتين، أي دليلين على قدرته وحكمته، والقرآن يسمو آية أعطها جمعوا  
فبوجهها، أي جعلها مظنة كما جعل آية النهار مبصرة.

على هذا جمع بين الليل والنهار في حكم واحد هو آيةا تبيان ودلائل  
على القدرة والحكمة، ثم فرق بينهما في ذلك الحكم من جهة أن الليل  
يكون مظناً والنهار يكون مبصراً.

(١) الترحم: الظهور، جمع راحة يرحم



ومن أمثلة الجمع مع التعريف شعراً قول رشيد الدين الطوطا:  
 فوجهك كاللؤلؤ في فسونه      وقبسي كاللؤلؤ في حرها  
 لقد جمع بين وجه الحبيب وقبسي في حكم واحد هو تشبيهها  
 باللؤلؤ، ثم فرق بينهما في ذلك الحكم من جهة وجه الشئ في كليهما، فوجه  
 الحبيبة كاللؤلؤ في صولها ولونها، وأما الشاعر كاللؤلؤ في حرارتها ولونها  
 المحرق.

ومن الشواهد أيضاً قول الشاعر عيسى:

تشابه صعدنا لحدة هرجلة      مشابيه في قصة دون قصة  
 فوجبتها لكسر المذامع حمرة      وصبي يكسو حمة القون وحقي  
 فالشاعر هنا جمع بين المذمومين صفة العرق في الشئ، ثم فرق بينهما  
 بأن وقع الحرة أيضاً في هذا العرق على أنها صارت حمرة بسبب الحرارة  
 حقة، وإن دعه حمرة لأنه يكتفي بما وجدته من القبول والتعجب  
 أصغر لهذا جرى دمه على لونه حمرة آخر.

ومن أمثلة الجمع مع التفريق كذلك قول البحري:

ولما التفتنا وألقينا سويدك      تعجب رأيي الذي لنا ولاقط  
 فمن لؤلؤ تجلوه عند استسها      ومن لؤلؤ عند الحديث تساقط  
 فالبحري في بيته هذين جمع بين رأيي الذي التفت ولاقط في حكم واحد  
 هو التعجب، ثم فرق بينهما في ذلك الحكم، أي من جهة التعجب،  
 ف رأيي الذي تعجب من ثابها اللؤلؤية التي تبدو له عند استسها، ولاقط  
 الذي تعجب مما تخرج منه شفاها عند الحديث من كلمات يثقلها وثاقها  
 اللؤلؤ قيمة وبغاسة.

## الجمع مع التفریق والتقسيم

وهو الجمع بين شيئين أو أشياء في حكم واحد، ثم التفریق بينهما في ذلك الحكم، ثم التقسيم بين الشيئين أو الأشياء بطريقة بأن يضاف إلى كل ما يلائمه ويناسبه .

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى : ﴿يَوْمَ يَأْتِي لَا تَكَلِّمُنَّ عَنْهُ إِلَّا بِأَمْرٍ﴾ ، فاستعمل النبي وسعيد ، فلما التزم شقراً في النار فلم يبق فيها زهير وشهيل فالتزم بينهما ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك إن ربك فعال لما يريد . ولما التزم شقراً في الجنة فالتزم بينهما ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ<sup>(١)</sup> .

لما أجمع في قوله : ﴿يَوْمَ يَأْتِي لَا تَكَلِّمُنَّ عَنْهُ إِلَّا بِأَمْرٍ﴾ فإن قوله ﴿تَكَلِّمُنَّ﴾ متعده معنى ، أي جميع الأنفس مخلوقة : ﴿لَا تَكَلِّمُنَّ عَنْهُ﴾ ، لم فرق بينهم بأن يعقلم النبي وبعضهم سعيد ، ثم قسم بأن يضاف إلى الأشياء ما لهم من عذاب النار ، وإلى السعداء ما لهم من نعيم الجنة .

ومن الجمع مع التفریق والتقسيم شعراً قول ابن جرير الطبري :

لمختلفي الحاجات جميع بيانه  
فهذا له فن وهذا له فن  
تلك خصال العليا والمستمدة المنى  
والمطلب الحق والمختلف الأمن<sup>(٢)</sup>  
فمختلفو الحاجات جميع بينهم في حكم واحد هو الاجتماع أمام

(١) يوم يأتي أي يوم يأتي أمر ربك وإلهنا إخراج النفس بشيء ، وشهيل زهير بن سفيان ، وعطاء غير مجذوذ : أي عطاء غير مقطوع

(٢) فمن حذر مقال ، وبما قيل : ساقط الساقط الذي لا طاعة ، فاعلموا من على القول قولاً إذا دعا بعضهم ، والمطلب الحق أي الرضا عنه والتسلو من شيء

بأنه، ثم فرّق بينهم في ذلك الطلوع من جهة أن كلاً منهم له حال خاص  
 اختلف حال غيره، ثم جاء ففسّر بأن أضاف إلى كل واحد منهم ما ينسب  
 إليه « فالحاصل العليا، والمنعقد الغنى، والمذهب العتيق، والمطابق  
 الإيمان».

## تكميل الحجج بما يشي بالعدم

قول من فطن إلى هذا انفرج من الفجج المعنوي عندنا بن المعز ،  
فقد جدد في كتابه والديج من عجاس الكلام ، وسماه وتأكيد مدح لها  
يشبه اللحية ولورده له مثاليه عما تقول القاسم النيفار :

ولا عيب فيهم غير أن يسوقهم حين . قول من إلواح الكساف  
وقول القاسم الجعدي :

ففي كملت أسلانه غير أنه صود لها يفي من ليلك ماتها  
ومن البلاطين من يسمي هذا الفن البديهي والاستثناء ناظرين إلى  
أن حسنة المعنوي تاشبه من أكر كراه الاستثناء التي أين عليها ، ولكن  
السمة ابن المعز له كمال في الواقع عليه من تسميته والاستثناء .

■ ■ ■

وتأكيد المدح بما يشبه الدم خربانه :

٦ - أولها ، وهو في الوقت ذاته أفضلها ، أن يستثنى من صلة دم

منفية عن الشيء صفة مدح بتقدير منحرفاً في صفة القبح.

كقول الشاعر الفراء السليق:

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بين قلوب من يبرأح الكفاية<sup>(١)</sup>

لأنه هنا على أولاً من المدح صفة العيب ثم عاد فأثبت لهم

بالاستثناء عيباً هو أن سيوفهم بين قلوب من يبرأح الكفاية.

وهذه ليست في الواقع صفة ذم وإنما هي صفة مدح أثبت بها الشاعر

لمدحهم وأكد بها بقية المدح.

وتأكيد المدح في هذا الصرب من وجهين: أحدهما أن التأكيد فيه هو

من جهة أنه كدعوى الشيء بنية وبرهان، كأنه استدلال على أنه لا عيب

فيهم لأن ثبوت عيب لهم معلق بكون قلوب الكفاية عيباً وهو محال.

والوجه الثاني أن الأصل في معلق الاستثناء الإنعاش، بمعنى أن

المستثنى يكون دائماً في المستثنى منه وطرفاً من نوره، وعلى هذا فإذا قيل:

ولا عيب فيهم غير... فإن السامع يتوهم بمجرد التعليل بأنه الاستثناء

والغير أو نحوها وفيل التعليل بما بعدها أن ما يأتي بعدها وهو المستثنى لا بد

أن يكون صفة ذم، فإذا دل ذلك الاستثناء صفة مدح لقد توهم السامع

بأنه المتعجب الذي لم يكن يتوقعها. لقد توهم أن الذي سبب ذلك الاستثناء

لا بد أن يكون صفة ذم فإذا به يتفاجأ بأنها صفة مدح. ومن هنا يجيء

التوكيد لما فيه من المدح على المدح، ومن الإشعار بأن التكلم لم يجد صفة

ذم يستشها فأنظر إلى استثناء صفة مدح وتحويل الاستثناء من متصل إلى

متقطع.

• • •

(١) والقبول: جمع قل، وهو قسم عيب السيوف في صفت وبراخ الكفاية: طائفة الجوش

وبدلتها عند الفراء.

٢ - والظروب الخلق من تأكيد المدح بما يشبه القوم يستعمل في إثبات صفة مدح الشيء، تحقيقاً لآلة الاستثناء يكون المستثنى بها صفة مدح أخرى له.

ومثال ذلك قول الرسول: **بأنما أصبح العرب يد لي من قرشي، وبيته يعني غيره وهو أدلة استثناء، وأصل الاستثناء في هذا الضرب أن يكون مضطجماً، ولم يذكر متصلاً لأنه ليس هنا صفة ذم متبوية عامة يمكن تقدير دخول صفة المدح فيها.**

وبما لم يمكن تقدير الاستثناء متصلاً في هذا الضرب فلا يفيد التوكيد إلا من الوجه الثاني، وهو أن ذكر أدلة الاستثناء يوجب إخراج شيء مما قلناه من حيث أن الأصل في مطلق الاستثناء هو الاتصال، لهذا ذكر بعد الأدلة صفة مدح أخرى **بما التوكيد**

ومن تأكيد المدح بما يشبه القوم ضرب آخر وهو أن يؤتى مستثنى فيه معنى المدح معمولاً بالفعل فيه معنى الذم، وذلك نحو قوله تعالى: **﴿وَمَا نَقُصُّمُ مَا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا﴾** أي وما نحبب ما إلا الإيمان بالله الذي هو أصل الشائب والمفاسد كلها.

والفعل **﴿نَقُصُّمُ﴾** فيه معنى العيب والذم، والمستثنى **﴿إِلَّا﴾** وهو مصدر الإيمان الموزون من **﴿أَنَّا آمَنَّا﴾** بمعنى صفة مدح، وهو في قولك **﴿أَنَّا معمول الفعل **﴿نَقُصُّمُ﴾**. فهذا الذم والتعظيم، مما نأتي فيه صفة المدح الواقعة بعد أدلة الاستثناء معمولاً بالفعل فيه معنى الذم - بعد ضرباً آخر من تأكيد المدح بما يشبه القوم.**

وفي هذا الأسلوب البديهي قد نأتي لنبوت الاستثناء من مثل **﴿إِلَّا، وغيره وسورة يعني ولكنة التي للاستعراك، وعندها يكون تأكيد المدح**

بما يشبه العلم فيها من الضروب التي التي يتعامل في إثبات صفة مدح  
لشيء. لعلمها أداة استثناء يكون السببي بما صفة مدح أخرى له. وذلك  
كقول الشاعر:

هو البحر إلا أنه البحر زائراً سوى أنه الطرغام لكنه الويل  
فالمفرد هنا هو البحر، لكنه البحر زائراً، لكنه الطرغام، لكنه  
الويل أي المظهر. فقد شبه المفرد بالبحر وهذه صفة مدح، ثم أكدت  
على الصفة صفات مدح أخرى هي: أنه البحر زائراً، وأنه الطرغام  
سجاجة، وأنه الويل أي المظهر الخفية. وكل ذلك قد ثبت وتؤكد  
بالاستدراك الذي أثبت توهم السامع بالاستثناء لصفات ثم وأصل عليها  
صفات مدح.

ومع ذلك، تتحذر الإنشائية من كل أي نسبة هذا الفن القديمي  
ويؤكد المدح بما يشبه العلم قد يطرأ عليها إلى الأعم الأغلب، وإلا فقد  
يكون ذلك في غير المدح والثناء ويكون من أخطاء الكلام. كقوله تعالى:  
﴿ وَلَا تَكْفُرُوا مَا نَكُحَ آبَاكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ﴾ يعني إن  
لمنكنكم أن تكفروا ما قد سلف منكم فلا يحل لكم غيره، وذلك غير  
الممكن.

والفرض بطبيعة الحال هنا هو الباطنة في تحريم هذا النوع من  
الزواج ومنه الطريق إلى إباحته. ولكن أسعة ما يأتي من هذا القبيل  
ويؤكد الشيء بما يشبه القبيح.

\*\*\*

والسنة لا سبق وزيلها في توضيح نورد فيها على بعض أسئلة ما جفت  
به لوائح الشعراء فيه.

فالتعجب الأول من تأكيد مدح يا بشبه الدم هو، كما عرفنا، أن  
يستثنى من صفة دم متينة عن الشيء صفة مدح يتغير ديموقها أي صفة  
الدم. ومن أمثلة ذلك:

١ - يقول أبي حقان الشاعر:

ولا عيب فيها غير أن مصاحبا      أخيرا بناء والباس من كل جانب  
فألقى الردي لرواحنا غير عظم      وألقى القدي لرواحنا غير عاصب  
فلولا إن السماع والباس انمرا      جم ليس عيب على الخليفة، ولكنه  
توكيد مدح. ولما زاد المعنى ملاحا ولطف مزلج ما تضعه من الحفراس  
بمدح في قوله وغير عظم وغير عاصب.

٢ - ويقول ابن الرومي:

ليس له عيب سوى أنه      لا يمدح العبد على شبهه  
فجعل انقراضه في الدنيا بالحسن حتى أن يكون له قمر، فإنه حيا،  
فهو بذلك يزيد توكيد حسنه.

٣ - ويقول عاتق العتقي:

وما تشككي جزلي غير أنني      إذا غاب عنها بعلمها لا تزورها  
سيلها خيري ويرجع أهلها      إليها ولم تقصر على متورها  
١ - ويقول أبي هلال العسكري:

ولا عيب فيه غير أن قري القدي      محساس إذا ليسوا به والشام  
٢ - ويقول شاعر:

ولا عيب فيكم غير أن غيورككم      تصاب بسيدان الأعباء والوطن



٦ - ولول حقي القين الخلي في المعن السابق:

لا عيب ليهن سوى أن التزل يم يسار عن الأهل والأوطان والحشم

٧ - ولول جمال الدين بن نباتة:

لا عيب فيه سوى العزائم فخرت عنها الكواكب وهي بعد لحاق

٨ - وأعظم الشواهد على هذا النوع قوله تعالى: ﴿وَلَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا إِلَّا تَهَلَّلًا سَلَامًا﴾.

• • •

والضرب الثاني من تأكيد المدح بما يشبه المذموم يستدل في إثباته صفة مدح الشيء تعظيمها لأنه استثناء يكون للمشيء بها صفة مدح أخرى له. ومن أمثله:

١ - قول الشاعر الجاهلي:

ففي كعبتك أصلافة خبير أنه جوار ما بقي من المال بقلها

ففي مكان فيه ما سر ضيقه هل أن فيه ما يسيء الأصابع

٢ - وقول شاعر آخر:

أدفع عن أحسابهم فبح أني وحاشائي يوماً لا أقر عليهم

٣ - ولول شاعر ثالث:

أطلب للمجد دليلاً خبير أني في خلاي لا تعرف القيس نفسي

## تأكيّد التّام بما يشبه النّسخ

وتأكيّد التّام بما يشبه النّسخ كتمكيده السابق لمرّة ثانية:

١ - أحدهما أنّ يستحقّ من صفة **أجدح** منقولة عن الشيء صفة **دم**،  
باعتبار دخولها في صفة **النّسخ**.

وذلك لمرّة ثالثة **القتال** : **فعلان** لا **الخبر** فيه إلا أنّه يسمّى إلى من  
أحسن إليه.

٢ - وثانيهما أنّ يكتسب للشيء صفة **دم** وتعلّق به بالحق استثناء تليها  
صفة **دم** أخرى له. وذلك كقول **القتال** : **فعلان** فاسق إلا أنّه جاعل له.

والضّرْب الأول بعيد التّأكيد من وجهين، والثاني من وجه واحد،  
كلّهما مر من تأكيّد النّسخ بما يشبه التّام.

### المذهب الكلامي

المذهب الكلامي نوع كبير من أنواع البديع المعنوي، وقد عبّ عنه ابن  
العتّار أحد القنّون البديعية المحفّدة الأساسيّة التي بنى عليها كتابه

«اليدعي»، وقال عنه: «هو مذهب سماء عمرو الجاحظ المذهب الكلامي». وهذا باب ما أعلم أني وجدت في القرآن منه شيئاً، وهو ينسب إلى التكلف، يعطى الله عن ذلك عتراً كبيراً»<sup>(٦)</sup>

ولكن ابن المعتز لم يذكر مفهوم الجاحظ لهذا الفن الندي كما أنه لم يمارس هو نفسه، وكل ما فعله أنه ذكر بعض أمثلة له، منها قول الغزالي:

لكل امرئ نفس: نفس كرهة وأخرى يحاسبها الله ويخطبها  
ونفسك من نفسك تشفع للدي إذا قيل من أمرت من شقيها  
ومنها قول أبي نواس:

إني هذا يرى - ولا رأيي لأحد - مني - في نصفه إنساناً  
ذاك في القطن عنه وهو جفدي - كذا في لم يكن وراء كان كذا  
وقول إبراهيم بن الهادي يفتخر المتكلمون من ولاة على الخلافة:

أجر منك وطام العشر عندك في - فبما فعلت فلم تفعل ولم تلم  
وقام عليك بي فاحتج عندك في - مقام شهادت عندك غير منهم  
وإذا قلنا كل مثال من هذه الأمثلة وجدنا أن الشاعر يدعي دعوى  
لم يمارس التماس دليل مقنع عليها. أولاً كما يفعل المتكلمون بإيراد  
الحجج العقلية على دعاوتهم.

وعلى هذا فأطلب القى أن مفهوم المذهب الكلامي عند الجاحظ  
واين المعتز كما نوصي به الأمثلة السابقة هو: اصطلاح مذهب للتكلمين  
المعنى في الحد والاشتغال وإيراد الحجج والتماس العقل، وذلك بأن

(٦) كتاب البصير لابن المعتز ص ٥٢ - ٥٣.

بأن البليغ على صحة دعواه بحجة قاطعة أي كان نوعها.

والعل ما يؤكد ذلك قول المحقق في معرض المعرفة والاستدلال:  
«والولا استعمال المعرفة لما كان للمعرفة معنى، كما أنه لولا الاستدلال لما  
كان لوضع الدلالة معنى». والمحقق في خلال ذلك يقول: «والقارئ  
تطلب، وكثير للمواظرة أحياء، وبهذا المعنى الرأي أيوب»<sup>(١٦٩)</sup>.



وقد عرض البلاغيون بعد ابن المعتز للمذهب الكلامي وعرفوه من  
ثلاث جهات، ومن هؤلاء أبو حنبل العسكري وابن رشيق القزويني.

وكلام هذين الأخيرين لم يزد في جهة على ما قاله ابن المعتز نقلاً عن  
المحقق، ولكن أبا حنبل يعلق ملاحظة ذكية على قول ابن المعتز، يقول  
في مستهل كلامه عن المذهب الكلامي: «مذهب عبد الله بن المعتز أقرب  
الحال من البديع، وقال: إنا أعلم أن وجدت منه شيئاً في القرآن وهو  
ينسب إلى التكلف، فليس به إلا التكلف وأصله من البديع»<sup>(١٧٠)</sup>.

كما أن ابن رشيق يبرز أنه «مذهب كلامي فلسفي»<sup>(١٧١)</sup> كما جاء في  
تعليقه على بيتين من شعر أبي نواس:



وإذا ما انتهينا إلى المعصور استأخرنا إذا نجد الخطيب القزويني  
في ٧٣٩هـ يعرف المذهب الكلامي بقوله: «هو إيراد حجة للمطلوب على  
طريقة أصل الكلام، نحو: «لو كان فيها شيء إلا الله لقد استأخرنا»<sup>(١٧٢)</sup>.

(١٦٩) كتاب المعيار ج ٩ ص ١٦٨ - ١٦٩.

(١٧٠) كتاب الصائغ ص ١٦٠.

(١٧١) كتاب الصائغ ج ٢ ص ٣٦.

(١٧٢) كتاب التمهيد القزويني ص ٣٨٤.

والغرضي بقصد وبطريقة لعل الكلام، أن تكون الحقيقة بعد تسليم  
 التكمينات مستلزمة للمطلوب. ففي قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا﴾<sup>(١)</sup>  
 لقسمة في الالتزام، وهو لسان السجرات والأرض باطل، لأن قوله به  
 خروجها عن النظام الذي هما عليه، فكأنما الالتزام وهو تمدد الألف باطل.

ومثل هذه الآية الكريمة قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا﴾<sup>(٢)</sup>  
 بعبارة وهو أعون عليه في أي والإحاطة أعون عليه من البدء، والأعون من  
 البدء أدخل في الإمكان من البدء، والإحاطة أدخل في الإمكان من البدء  
 وهو المطلوب.

وقد استشهد الغزواني عن هذا الفن الديني أيضاً بأيات من  
 قصيدة للشاعر الفارسي يحضر فيها إلى شعبان بن قيس، وهي:

حلفت فلم أترك لنفسك راحة <sup>وإني</sup> وليس وراءك التوراة مذهباً<sup>(١)</sup>  
 لكن كنت قد بلغت مني غيابة <sup>بذلك الواسي أثنى</sup> وأكذب  
 ولكني كنت أمراً به عذاباً <sup>من الأرض فيه سيرة ومذهباً<sup>(٢)</sup></sup>  
 ملوك وإخوان إذا ما مدحهم <sup>أنت</sup> كنتكم في أسوأهم والقريب  
 كعصمت في قوم لو أنك استظفرتهم <sup>فلم</sup> نرحم في مدحهم لك أنبروا

فالقصيدة كلها بينهم من المصيدة التي منها هذه الأيات. أن الحقيقة قد  
 كان مدح كل جملة بالشام فذكر العلماء ثلاث وعظمت على الشاعر. وفي  
 هذه الأيات التي هي مثال للمذهب الكلامي بإبطال الشبهة التعصبات  
 بالملوك وروايع عن نفسه بالجميع وأنه لم يعرف من ولاه له، وليس من  
 العقل التفرقة في الحكم بين مدح ومدح. ثم ينتهي بالحجة الدامغة

(١) قوله: فقلت.

(٢) مسنداً: موضع يريد به المذهب الرزقي، وهو من راء "أنا" أي عليه.

يقول: أنت أحسنه إلى قوم أربك اصطفتهم فمدحوك، وأنا أحسن إلى قوم فمدحتهم، فكيف أن مدح لو كنت أنت لا بعد ذنباً، فكذلك مدحي لمن أحسن إلى لا بعد ذنباً.

ففي المذهب الكلامي نقضاً ودعوى بدافع عنها باللسان واليد، والجميع والأمة المتصفا، كما رأينا.



ومن جاءوا بعد القروي وحرصوا للمذهب الكلامي ابن حجة الحميري أحد علماء وأدباء القرن التاسع الهجري.

ففي مسائل حديثه عنه يقول: والمذهب الكلامي نوع كبير نسبت إليه إلى الخاطئ. وهو في الاصطلاح أنه يكي الخليج على صفة دعواه وإبطال دعوى خصمه بصحة باطلية خاطئة تصبح نسبتها إلى علم الكلام، إذ علم الكلام عبارة عن إثبات أصولكم كبرى بالبراهين العقلية المقاطعة.

ثم يستورد إلى الرد على قول من يفتخر بأنه لا يعلم ذلك في القرآن، يعني المذهب الكلامي، يقول: أين حجة: وليس عدم علمه مانعاً علم غيره، إذ لم يستشهد على هذا المذهب الكلامي بأعظم من شواهد القرآن، وأصح الأدلة في شواهد هذا النوع وألغها قوله تعالى ولو كان فيها آفة إلا الله فسدناها، هذا دليل قاطع على وحدانيته جل جلاله، وإمام الدليل أن يقول: لكننا لم نفسد، فليس فيها آفة غير الله.

ومن أدلة أيضاً عنده قوله ﴿وَلَوْ تَحَصَّنُوا مِمَّا آتَيْنَاهُمْ مِنْ أَنْبَاءِ الْبَرِّ لَمَا تُغْنِي عَنْهُمْ كَيْفَتُهُمْ وَلَاحِظُهُمْ مِنْ أَنْبَاءِ الْبَرِّ﴾ ولو تحصنوا ما أعلم المصحكين غلباً وبكيتهم كثرة، وإمام الدليل أن يقال: لكنكم فصحتكم كثرة وبكيتهم قليلاً فلم تعلموا ما أعلم. فهذا قياسان شرطيان من كلام الله وكلام نبيه.

ومثله قول مالك بن النرجل الأندلسي:

لو يكون الحب وصلاً كله لم تكن غيبته إلا ضللاً  
لو يكون الحب مجبراً كله لم تكن غيبته إلا الأجل  
إنما الوصل كمثل الماء لا يستطاب الماء إلا بالفضل

فالبيان الأولان قياس الشرطي والثالث قياس الغيبي، فلو لم يكن  
الوصل على الماء، فكيف أن الماء لا يستطاب إلا بعد العطش، فالوصل مثله  
لا يستطاب إلا بعد حرارة الجحر.

وحد ابن حجة أن القياس الشرطي أوضح دلالة في هذا الباب من  
غيره، وأغلب في الفوق، وأسهل في التركيب، هذه جملة واقعة بعد فاقه  
الشرطية وجوابها، وهذه الجملة على اصطلاح الناطقة مقدمة شرطية  
يستدل بها على ما تقدم من الحكم<sup>(١)</sup>.

### الحب والشر

وسمي بعض البدويين الشطي وأكثروا وهو ذكر متعدد على  
التفصيل أو الإجمال، ثم ذكر ما تكن واحد من غير تعين، فكذا بأن  
السابع يرد إليه لعلهم بذلك بالغرائس الصطية أو القنوية.

وهذا يعني أن الذكر شيطان فصاحداً إما تنصبلاً فتنص على كل واحد  
منهما، وإما إجمالاً فتنص بلفظ واحد يشتمل على متعدد وتغوص إلى العقل  
رد كل واحد إلى ما يليق به من غير حادثة إلى أي نفس أنت على ذلك.

(١) يرجع إلى كلام ابن حجة الحموي من هذا النوع القليل في كتابه «نزهة الألب»  
ص ١٦٨.

أصله:

واللفظ والشر كما يلهم من التصريف السابق فسمان:

الآراء: ذكر المصنف على التفصيل وهو ضربان:

١ - أحدهما: أن يكون الشر على ترتيب اللفظ بأن يكون الأول من المصنف في الشر للأول من المصنف في اللفظ، والثاني الثاني، وهكذا إلى الآخر. وهذا الضرب هو الأكثر في اللفظ والشر والأشهر.

ومن شواهد هذا الضرب بين اثنين قوله تعالى: ﴿وَمَنْ رَحِمَهُ جَعَلْكُمْ أَثْقَالًا وَالْآخَرِينَ تَنَاسُخًا﴾ واستفوا من قوله ﴿فَالسَّكِينُ رَاجِعٌ إِلَى الْبَلَدِ وَالْآخَرُ رَاجِعٌ إِلَى الْبَلَدِ عَلَى التَّرْتِيبِ﴾.

ومن شواهد شراً قول الشاعر:

ألمت أنت الذي من دونه فحظه / كدوره راحته أعني وانصرف  
ومنها أيضاً مع زيادة التورية قول شاعر آخر:

صياغته عن اسمه فأنشئ / ينجب من إسراف صهي السخي  
وأبصر فسلك وسفر البدن / ففعل ما خشي وعمل ما أمني

ومن شواهد بين ثلاثة وثلاثة قول أبي حنيس:

ومضرت يخي القديم سوجه / عن كاسه القلبي وعن إبريقه  
فصل القدم والسوى ومذاقها / من طليبه ووجعته وريقه

ومنها قول ابن الرومي:

أولكم ورجسهم ورسولكم / في الحادثات إذا ذبحتم نجوم

(١) المخرط: ليس مخرطاً، أي عدم فتح الفاء وهو فرع من القاف.



فيها معالم للهدى ومصباح  
ومنه قول حمزة الأندلسي:

ولما أتى الرواسيون إلا قرأنا وما نمر عيني وعتك من نكر  
فروناهم من نظرك وأسمي وأنفسا يسيب والسيل والنار  
ومن شواهد ذكر المتعدد على التفصيل والتركيب بين أربعة وأربعة  
قول الشاب الطريف شمس الدين بن العفيف:

رأى جسدي والدمع والقلب والحناء فأنعمي وأنتي واستصالي وأيسا  
ومن شواهد أيضاً قول الشاعر:

نظر وعبد وهد وأحمرار يد كاتطع والورد والروان والبلح  
ولقد أعان الشعراء في هذا النوع من الفن والنثر الفصل المرتب  
حتى بلغوا فيه إلى الجمع بين عشرة وأحمرار كنول بعضهم:

شعر حين عبرا معطوب كصل صدق لم وجبات ناظر نضر  
لهل صياح هلال بدسة زلفا أس أناس شقيق نرجس قو  
وحسن هذا النوع من البديع يتمثل في أن يكون الفن والنثر في  
بيت واحد خالياً من الحشو والتعليل جامعاً بين سهولة اللفظ والعمق  
المخرجة. ولكن المبالغة والإسراف في كثرة التعدد متنبها في بعض الأمثلة  
السابقة فخرج به عن دائرة البديع ونجرت من سموت الحسن وارتدت إلى نوع  
من التبعث يظهر إلى العجب منه بذلك الإحجاب به.

٢. والخراب الثاني من الفن والنثر التفصيل: هو ما يبيء على غير

---

(١) فرعون: عروة الرحمن يسكنون الجود وهو شغل، والاسرافات: وجوه: أي والأخرى عنه  
صلى.

ترتيب القلب. ومن هذا الضرب ما يكون معكوس الترتيب، فنقول ابن  
سبيوس:

كيف أسلم وأنت عطف وفصل، وبسزال لحظاً وقسداً وروطة؟  
فلأنحط للمزاج، وأنتد للعصن، وأزود للخلط.

ونقول القزويني:

لقد عنت قوماً لو جئت إليهم طريد دم لو حياناً لقل مغرم  
لأقوت بهم مصطباً وسطاً عندي وراك شزراً بالوشيح المشوم<sup>(١)</sup>  
ومنه ما يكون غلطاً مشوشاً، ولهذا يسمى القلب والشر المشوش.  
نحو: وهو ليل ويرد وسك عنت وأقارب وشعراء.



والقسم الثاني من القلب والضم ما يكون ذكر المتعدد فيه على  
الإجمال، نحو قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُوداً أَوْ  
نصارى﴾. فإن التفسير في قوله ﴿لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُوداً أَوْ  
نصارى﴾، فذكر الفريقان على وجه الإجمال بالتفسير المتكافئ إليهما، ثم  
ذكر ما لكل منهما أي: قالت اليهود: لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً،  
وقالت النصارى: لن يدخل الجنة إلا من كان نصارى.

فالفريقان إجمالاً لئلا يقتدر السامع على أن يرد إلى كل فريق  
قوله، وإنما من الاتفاق، وذلك لعمدة المتكافئ بين الفريقين والتفصيل  
كل واحد منهما لصاحبه بدهري أن داخل الجنة هو لا صاحبه. وهذا

(١) أحط بكسر الحاء. قوله العظيم استمر بانه = التكميل في العظيم والاستعارة

(٢) فوشيح: شعر الرماح، وقيل: هي عصا الرماح وبمعناها بشفة، مأخوذ: هو من لغة  
العجم.

القسم من الكلف والنشر لا يقتضي ترتيباً أو عدم ترتيبه.



ومن يدع الكلف والنشر وغيره أن يذكر متعلقات أو أكثر ثم يذكر في نشر واحد ما يكون لكل من أفراد كل من المتصلين، فيقول القائل: والشيء والفطر والعلم والجعل بها لها لشعوب وبها قوت.

وقالني وانقره لف أول، والعلم والجعل، لث ثان، وجعله: «بها لها لشعوب وبها قوت» نشر ذكر فيه ما لكل واحد من الفلين، لأن قوله: «بها لها لشعوب» نشر راجع لجميع من الكلف الأول والعلم من الكلف الثاني. وقوله: «وبها قوت» نشر راجع للنشر في الكلف الأول، والجعل في الكلف الثاني.

ولما بعد كل ما تقدم فلو كان معنى تسمية هذه النوع من البدع النحوي وبالكلف والنشر، لوجه تسمية معنى التعدد الأول على وجه التخصيص أو الإجمال بالكيفية أنه يعبرى فيه عنك، لأنه يشمل عليه من غير تصريح به، ثم لما صرح به في الثاني كان كانه نشر لما كان مطوية، فلذلك سمي نشرأ.

### مراجعة الظير

وسمي أصحاب البدع التمس والاتلاف والتوفيق والمواظاة أيضاً، وهو في الاصطلاح: أن يجمع النظم أو النشر كماً وما يناسبه لا بالنظم لتفريح الطائفة، سواء كانت الناسبة لفظاً لمعنى أو تنظراً للفظ أو معنى لمعنى، إذ المقصود جمع شيء إلى ما يناسبه من توجه أو ما يلائمه من أي وجه من التوجه.

ومن أمثلة ذلك قول البحري في وصف الإبل الأنثى التي تحملها  
السير:

كأنفسٍ لمطولات بلى الأسرهم مسيرة بلى الأوتار  
لأنه لما شبه الإبل بالنفس و أراد أن يكرر التشبيه كان يمكنه أن  
يضعها مثلاً بالمرامير أو تون الخط لأن المعنى واحد في الالتصاق والرقابة،  
ولكنه قصد التشبيه بين الأسهم والأوتار لما تقدم ذكره النفسي.

ومن شواهد مراعاة النظم التي يجمع فيها بين الأمر وما يتبعه لا  
على وجه التصاد قول الشاعر في وصف فرس:

من جلتار ناسخه حسنة وأقسه من روق الأسر<sup>(١)</sup>  
عائسة هنا من الحشر والأسر والتفرد

ومما أيضاً قول ابن رشيق في مدح الأمير نجم

أصبح وأخرى ما سمعناه في الذي ~~من~~ البحر النسيور عند فطيم  
أحلفت لروية السيول من أطيا ~~بمن~~ البحر من كف الأمير نجم  
فإن الشاعر قد نسب هذا من الصحة والفرة والسماع والبحر المأمور  
والرواية، ثم بين السبل والمب والبحر وكف نجم، مع ما في البيت الثاني  
من صحة الترتيب في الصفة، إذ جعل الرواية لصاحبه عن كابر كما يقع في  
حد الأحاديث، فإن السيول أصلاً بطر والطر أصله البحر، ولهذا جعل  
كف المنفوخ أصلاً للبحر مبالغة.

ومما كذلك قول الشاعر:

---

(١) المختار: زهر فرجه.

والنظر في تلك النصوص كذا وكذا رغب بمصاحبه النجوم فينظ  
والنظر بقراً والفتور صحيفة واسرج تكتب ولتصام ينظ  
فالجمع بين كل أمر وما ياسبه في البيان أوضح من أن يدن عليه  
تشابه الأخراف:

ومن مراعاة النظر ما يسميه بعضهم تشابه الأخرافه، وهو أن  
يجمع الكلام ما ياسب أوله في المعنى، فتقوله تعالى: ﴿لَا تترك الأبقار﴾  
وهو يدرك الأبقار وهو الطيف الخبز ﴿فإن النطق ياسب ما لا يدرك﴾  
بالصبر، والخبرة تاسب من يدرك شيئاً، فون من يدرك شيئاً يكون غيراً  
.

ومنه قوله تعالى أيضاً: ﴿لَا مَا فِي السموات وما في الأرض وإن الله﴾  
هو الغني الحميد ﴿قال: ﴿في المعنى الطميد ﴿على أن ما له ليس خلافاً،  
بل هو مني عنه سواء به، ﴿لأنه جاء به ليجده التعم عليه  
إتمام التناسب:

ويقتصد به الجمع بين معنوي غير متشبهين بلعقوب يكون لها معنيان  
متشابهان وإن لم يكونا متشبهين، ومن أمثل ذلك يلحق بمراعاة النظر،  
ومثال إتمام التناسب هذا قوله تعالى: ﴿والشمس والقمر بحسبان،  
والنجم والشجر يسجدان ﴿﴿والشمس والقمر بحسبان ﴿أي  
بحسبان معطوف والقمر حكمه ملوك، ﴿والنجم والشجر يسجدان ﴿،  
النجم: قباذ التي ينجم من الأرض لا ساق له كالثقل، والشجر  
الذي له ساق، وسجودهما: التبادهما له قبرا خيلاً له  
فالنجم يعني القباذ وقد لم يكن ماسباً للشمس والقمر، فقد يكون  
يعني الكوكب وهو ماسب لها ولذا سمي إتمام التناسب

## استلوه الحليم

يقصد باستلوه الحليم نفي المطالب بغير ما يترقبه، إما بترك سؤاله والإجابة عن سؤال لم يسأله، وإما بحسن كلامه على غير ما كان يقصد، إشارة إلى أنه كان يعني أن يسأل هذا السؤال، أو يقصد هذا المعنى.

ومن أمثلة ذلك: «قيل للناس: ولهم رأس مالك؟ فقال: إلى أين وثقة الناس بي عظيمة. وقيل للشيخ عرج: ولهم سنان؟ فقال: إلى أعم بالمدينة».

نفي السؤال الأول صريح النفي، لأنه من رأس مالك بيان ما هو عليه من الأمانة وعظم ثقة الناس به، إنشراحاً بأن هاتين الصفتين وأمثالهما أجلب للرجح وأحسن لنجاح الشريعة.

وفي السؤال الثاني ترك الشيخ عرج الإجابة عن السؤال للوجه إليه، وصرفه سائلاً في رفق من ذلك، وأخبره أن صحت مولوداً، إنشراحاً للسائل بأن السؤال عن الصحة ليس واجباً.

• • •

وأهل الجاهل أول من فطن إلى هذا النوع من اليدبع العتري، فقد  
عقد له بدأ عاصاً في كتابه البيان والبيان<sup>(١)</sup> وأطلق عليه اسم **العتري** في  
الجواب وأورد له أمثلة شتى منها:

سأل رجل بلالاً مولى لى بكر وجه الله وقد أكمل من جهة الحيلة:  
من سبوا؟ قال: سبق المقربون. قال: إذا أسألك عن الخيل قال: وأنا  
أجيبك عن الخير. فترك بلال جواب لفظه إلى غير هو كلف له.

وقال الخياط لرجل من الخوارج: أجمعت القرآن؟ قال: استوفيت  
كان فاعده؟ قال: أكثره، طهره؟ قال: بنى قروءه، وأما نظر إليه قال:  
أصغفقه؟ قال: أخصففت فزاره، وأصغفقه؟ هل ما تقول في أسير المؤمنين  
عبد الملك؟ قال: لعنت الله وأهلك. قال: إنك مقبول فكيف تلقى الله؟ قال:  
ألقى الله بعلمي، وثقله أثق بدمي.

وقالوا: كان الخطيب **راعي** في هذه حصاء، مع به رجل  
فقال: يا راعي العلم ما عبدك؟ قال: أعتز به من سلم<sup>(٢)</sup>، يعني حصاء،  
قال: إلى صيفه، فقال الخطيب: **أكتسبه من أعتز به**

لمن هذه الشواهد وبطونها يتضح أن هذا الأسلوب من الكلام  
والذي أطلق عليه الجاهل والعتري في القرون كان يستعمله العرب  
لأغراض مختلفة كالشكوى أو التلصص من إخراج السائل، أو تقديم  
الأهم، أو التهكم.

وبما من شك في أن ما تقدمه الجاهل من أمثلة شتى في هذا الباب قد  
كنت أنظار البلاغيين من بعده لهذا النوع من الكلام، وأعطاهم الأمان

(١) كتاب البيان والبيان ج ٢ من ١١٤، ص ٤٨٢.

(٢) الصفاء: الكفرا الصبر، أي الصفة والسلم بالصبر، أي الصبر.

للذين من القرآن اليدعي هذا القرآن وأستوب الحكم.



وقد أطلق عليه المشركون من الأهلين اسم القرآن بالموجب،  
ولهم فيه عداوة عظيمة. ومن هؤلاء ابن أبي الأصميصي فقد حمله  
بقوله: وهو أن يجادل الشكك خطأ بكلام فيجهد المجادل إلى كلمة  
طرفة من كلام الشكك فيبي عليها من نقطة ما يوجب عكس معنى  
الشكك. وذلك عين القول بالوجوب لأن حقيقة رد الخصم كلام خصمه  
من الجوى لفظ.

وكلام ابن أبي الأصميصي هذا يذكرنا إلى حد ما بكلام الجاحظ السابق  
ويوحى بأنه قد نشره في شهرته هذا النوع ليدعي

وقد قسم الخطيب القزويني<sup>(١)</sup> القرآن إلى قسمين:  
والأول<sup>(٢)</sup> القسم:

١ - أحدهما أن يقع حقيقة في كلام تغير كتابه من شيء. كقوله  
حكيم فثبت في كلامك تلك الصفة تغير ذلك الشيء من غير تعرض  
لثبوت ذلك الحكم أو نفيه.

مثال ذلك قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَنْ يَرْجِعَ إِلَى اللَّهِ الْبَحْرُ مِنْ  
الْأَمْرِ مِمَّا ارْتَضَى﴾ وفي العزة والرسالة والمؤمنين ﴿لَهُمْ كُنُوزٌ وَأَنْزَارٌ  
مِنْ رَبِّهِمْ﴾ و﴿الْأَنْزَارُ﴾ من مريد المؤمنين، و﴿كُنُوزٌ وَأَنْزَارٌ﴾ الإخراج،  
فثبت الله في الرد عليهم حقيقة ﴿العزة﴾ في قوله والرسالة والمؤمنين من غير  
تعرض لثبوت حكم الإخراج للمؤمنين بصفة العزة ولا لثبوت عليهم.

(١) كتاب التبيين ص ٣٤٩، وكتاب الإصباح ص ٣٣٦



ومنه أيضاً ما جرى بين القبطري والقصير، فقد توعدته الشجاعة  
 بقوله: «ولا أخشاك على الأفعى لقل القبطري». ومثل الأمر يحصل على  
 الأفعى والأفعى: فقال له الشجاع: «أكرمت الحفيد، فقال القبطري:  
 «لأن يكون حفيداً غير من أن يكون بلداً». أراد الشجاع بالأفعى القيد  
 والحفيد الممدد المخصوص، وحلوا القبطري على القرس الأفعى الذي  
 ليس بلداً والكلام هنا قد حله القبطري على خلاف مراد الشجاع  
 كذلك.



٢- والقسم الثاني من أسلوب الحكيم أو القول بالموجب عند  
 صاحب التلخيص هو حل لفظ وقع في كلام الغير على خلاف مراده لما  
 يمتدحه يذكر متعلقه. وهذا القسم هو الذي شاع تداوله بين الناس ونقله  
 أصحاب الشريعات، نقول ابن سراج (رحم)  
 قال قلت إذا أتيتك بمرزاً قلت تساعلي بـالأيادي  
 قال طوبكت قلت لوليت طوباً قال أكرمت قلت حبلى وقلبي  
 فصاحب ابن سراج يقول له قد قلت عليك وعلمتك الشفا  
 بكثرة زيارتي بمصرفه الشاعر عن ربه في آداب وعرف ويقتل كلمته من  
 متعلقاً إلى معنى آخر. ويقول له: إلك قلت كاهني يا أهدفت علي من  
 نعم.

وفي البيت الثاني يقول صاحب: قد علمت إقامتي عندك وأكرمك  
 أي جعلتك يوماً طوباً. فورد الشاعر عنه مرة أخرى في آداب ولطف

(١) هو أبو عبد الله بن أحمد البغدادي، شاعر عبقري في العمود في العمود، وله ديوان شعر  
 كبير، توفي سنة ٣٩١ هـ.

ويطلق كلامه من صغره إلى معنى آخر، ويقول له: إنك تطولت وأنتعت  
علي وأحكمت ولويت حبل ودلتي.

• • •

وسمى أسئلته في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَعْلَاقِ  
قُلْ فِي مَوَاقِفِ النَّاسِ وَالْخَيْلِ﴾. فمسؤول هذا عن حقيقة الأعلقة: لم تبت  
صغيرة لم تزداد حتى يتكامل موردها ثم تتصلب حتى لا تزيغ.

ولما كانت هذه القضية من الصدا علم العنق ولحمها وذاق يحتاج إلى  
دراسة عويصة، فإن القرآن قد عمل من الإجابة عنها إلى بيان أن الأعلقة  
وسمى الخوفاً في المصاحف وأصله من. وفي هذه إشارة إلى أن ما كان  
يسمى أن يسأل عنه هو قائمة الأعلقة لا حقيقتها، إلى أن توسر لهم المصاحف  
العلمية التي تعينهم عن فهم هذه الظاهرة الكونية

وبه كذلك قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُعْقِرُونَ قُلْ مَا أَفْعَمُ  
مِنْ حَيْثُ يَخْلُقُونَهُ وَالْأَنْثَىٰ وَالْأُنثَىٰ وَالسَّائِبِ وَالسَّائِبِ وَالسَّائِبِ﴾

فالمسلمون قد سألوا الرسول ماذا يخلق من أموات، فصرهم عن  
هذا بيان المصروف، لأن العلق لا يحد بها إن لم تقع موقعها  
ومن أمثاله شعراً قول شاعر رابح:

ولما نعى الدامي مسأله خشية      ولكن خوف اليرب تسكب لظفر  
أصاب الحصى! قل نفس حادثة العلا      فقال بعضي! قلنا بكل مضار  
فأسلوب الحكيم في البيت الثاني هو في قوله: «فالنفس» ويريد بها  
«هاتية» ولكنهم حللوا على إحصار الحوادث وقصائدها، وهذا ما لم يقصده.  
وكذلك في قوله: «ومضي» أراد بها «هاتية» وأرادوا هم «فغيب» فأنشغل ولم  
يدع لأحد شيئاً.

ومنه قول شاعر آخر:

ولقد أبيت لصاحبي وسأله في الغرضي ويتر لأمر كذا  
فأجابني والله داري ما صوت حيناً فقلت له ولا يسأله<sup>(١)</sup>

فأبيت الثاني جاء على أسلوب الحكيم، لأن المحاطب أراد بكلمة  
وحياء الذهب، ولكن المتكلم حثها على العون بالاسم، وهو ما لم يقصد  
للمحاطب، إشارة إلى أن مدحه من الغرض لا يجوز.

ومنه كذلك قول بعضهم:

طلعت منه عروفاً يومياً فأنهض العجب  
وقدك ذا من قسوة يصعب لا من الصعب

فهي البيت الثاني صوب لطيف عن طلب التمييز، فإن الشاعر لم  
يحب السائل عن سؤاله، وإن أضاف بعضاً إليها يصعب منه التمييز وأنه من  
القصة لا من الصعب، إشارة بأنه ما كان ينبغي له أن يطلب.

ومنه قول شاعر يحيى أيضاً أنه سأله عن فروع والنفس:

جسدي أبي يومياً وكنت أراد في ريمانة ومعضل نفسي  
قال: ما الفروع؟ قلت: إحد روعي قال: ما النفس؟ قلت: إنك نفسي

فهي البيت الثاني سأل الأبن عن فروع والنفس وهما من الأمور  
التي حذر الأطباء والفلاسفة في تعريفها وتحديدهما، ولهذا صوب الشاعر  
أبيه عن ذلك ببيان سره منه، إشارة بأنه ما كان ينبغي له أن يتكلم في  
ذلك، القصيدة عن أن يتكلم فيها في الأمور.

• • •

---

(١) العون: الطلب والمعونة، والإسالة: له براد، إسالة العين والله براد، أي لم يمدحني الله

ويحتفل بعمل في هذه الأمانة ما يوضح ما سبيل أن الله من أن  
 أسلوب الحكيم أو القول بالوجه هو نظري المطالب بعير ما يترقه، إما  
 يترك سؤالا والإجابة عن سؤال لم يسأل، وإما يعمل كقائمة على طهر ما  
 كان يقصد، إجابة إلى أنه كان يعني أن يسأل هذا السؤال أو يقصد هذا  
 المعنى.



## التجريد

وهو أن يتخرج من أمر ذي صفة آخر مثله فيها مباشرة، وذلك لتكمال تلك الصفة في الأمر الآخر.

والتجريد أنصاه:

١ - منها ما يكون التجريد فيه حاصلًا بنقطة واحدة التجريدية، نحو قولهم: قل من فلان صديق حميم<sup>(١)</sup>. أي يدع فلان من الصداقة هذا صحيح معه أن يستخلص من فلان هذا صديق آخر مثله في الصداقة.

٢ - ومنه ما يكون التجريد فيه حاصلًا بنقطة واحدة التجريدية الداخلية على المتخرج منه، نحو قولهم - ولئن سألت فلانًا لتسكن به البحر - وهذا القول يقال في مقام المبالغة في وصف «فلان» بالتكبر، حيث تتخرج وجرد منه بحر في الكرم واليساعة.

---

(١) صيغة: فرياد التي تدعى الأمر.

٣- ومنه ما يكون التجريد فيه حاصلاً بلغة واداء اللفظ والذاتية على المترج، نحو قول الشاعر:

وتوهدا تلعب بي إلى صاوخ الوحي يستلهم مثل الفتيق للرجل (١)  
فاللحي. وروى فرس هذه صفتها تلعب بي لاجدة التفتيت في الحرب  
ومعي من نفسي آخر مستعد للحرب. فلهذا بالغ في الصياغة بالاستعداد  
على المترج وحده من نفسه مستعداً آخر لا يمسأ فوجاً

٤- ومنه ما يكون التجريد فيه حاصلاً بدخول لفظ وفيه على  
المترج منه، نحو قوله تعالى: (فلم يعم بها دار الخلق). أي لم يعم في جهنم  
وهي دار الخلق، لكنه المترج داراً أخرى مثلاً وجعلها معدة في جهنم  
لأجل التكفير بهيئة الأمر، وبهذه في الصياغة بالشد

٥- ومنه ما يكون التجريد فيه حاصلاً بدون توسط حرف، كقول  
فائدة من مسلحة الحظي:

فلن يلبث لأرسلن مسفرة الفري الغنم لو يوت كرم

فالشاعر قد عي «الكرم» ما نفسه، فكأنه مترج وجيء من نفسه  
كرباً مبالغة في كرمه. وقيل إن التعبير «لو يوت» كرم، ويكون من  
قيل: أي من ملان صديق حميم فلا يكون قسياً أحر، وإنما يكون من  
القسم الأول الذي يكون التجريد فيه حاصلاً بدخول «من» التجريدية  
على المترج منه.

(١) وتوهدا: فرس طرودا، وتوهدا في هذا الموضع صفة الصبي، وروى يا صبي الخفاف  
الفرس، وصريح الوحي أي التفتيت في الحرب، ويستلهم: لا يمسأ اللأمة وهي  
الفرج، والفتيق: الفصل الكرم عند الخلاء، والرجل: من وإلى الأمير القبيح من نفسه  
بأرملة.

٩- ومنه ما يكون التجريد فيه حاصلًا بطريق الكتابة، كقول

الأعشى:

ما حير من يركب الخطي ولا يشرب كأساً تكف من بطلا  
ففي البيت التجريد بطريق الكتابة حيث التزج وحركة من المدحج  
جواهاً يشرب هو بكفه على طريق الكتابة، لأنه إذا لم يكن عنه الشرب تكف  
الخطي، فقد أثبت له الشرب بكف الكريم ومعالم له يشرب بكفه، فهو  
ذلك الكريم.

١٠- ومن أقسام التجريد كذلك مخاطبة الإنسان نفسه، وذلك بأن  
يتزج الإنسان من نفسه شخصاً آخر بوجه الخطاب إليه، كقول الأعشى:

لا حيل عندك تهدي ولا حيل فليهد الخطي إن لم يهد الحلال<sup>(١)</sup>  
فالشاعر هنا يتزج من نفسه إنساناً آخر بمخاطبة ذلك ليس عندك  
من الحيل وذلك ما تهدي إلى المدحج حر، أنه من إحصائه إليك،  
فليهدك ويهدك الخطي، أي فليهدك وأهدك بالشاء عليه، إن لم تعد  
الحال عن مجازاته بالحل أو الحيل.

ومثله في مخاطبة النفس قول الأعشى:

ودع صبراً إن التركب مرهق ومن تظن مراداً أيها الرحيل؟  
ومن لطيف التجريد قول الأعشى:

ماجت لغير نهايت منك قد لند وإنيت احبك لبعداً من التصر

\*\*\*

والله اعلم من هذا الذي من لا غير التجريد معرفة أولاً أنه بقوله:

---

(١) فليهدك: فليهدك.

ذلك أصله في وضع الكلمة من حركات السيف إذا أرغفه من عضفه، وجرت  
 علاناً إذا برحت ثيابه. ومن عهدنا قولهم: فلا عد ولا تحريد، وذلك في  
 النبي عند إقامة الحد أن يند صاحبه على الأرض وأن تحرد ثيابه. وقد نقل  
 هذا المعنى إلى نوع من أنواع العبادة.

ثم عرفه اصطلاحاً بقوله: والتحرير هو أن تطلق الخطاب على  
 غيرك ولا يكون هو المراد وإنما المراد بسطه

والتحرير عطف واثنين إحداهما أبلغ من الأخرى، والأول طلب  
 التوسع في الكلام، فإنه إذا كان طاعره معطفاً لمصرته وداخله حطفاً للمساكن  
 فإن ذلك من باب التوسع، وهو بطل أن شيء اعتصت به اللغة العربية  
 دون غيرها من اللغات.

والقائمة الثانية هي الألف جند، وذلك أي الخطاب بتعدي  
 التحريد من إيراد الأوصاف القصيرة من مدح أو عير على قصد، إذ  
 يكون مخاطبها عير فيكون أحر وأحرأ فيما يقوله غير مجبور عليه



وهذه إن التحريد يأتي على ضربين:

١- تحرير محض، وهو أن تأتي بكلام هو خطاب لمعرك وأنت تريد  
 به نفسك، كقول بعض الشعراء وهو الشاعر المعروف بالغيص يعني في  
 مطلع قصيدته:

لأنم يبرك الخيل في رأي شاعر	وإن سجلت شوقاً فربوع الشاعر
كنتت بحب الشعر حلياً وحكمة	معضها تطاد صعب المسامر
أما وأياك الخير إليك فارس	سقال وهي الفارسات القوسر
وإليك أهديت المسامح والى	بذولك عبا في بطون الدفامر



ثم يحذف كل ذلك بقوله: وهذا من هاتين التعريفات. ألا ترى أنه  
الجزء المخطأ من كل جزء وهو يريد نفسه، كي يتمكن من ذكر ما ذكره من  
الصفات القائمة. وبعد ما عرفت من الصفات الثلاثة<sup>٢٣</sup> وكل ما يجيء من  
هذا القليل فهو التعريف الصحيح.

٢- والتعريف غير محض. وهو أن نلبي الكلام هو خطاب نفسك لا  
لغيرك. ثم يستلزم بين الأثر قبله. وذلك كما بين القس والبند فرق  
إلا أنها كلها شيء واحد لعلنا نعرفها بالآخر.

والفرق عتده ظاهر بين هاتين التعريفين من التعريف، فالأول وهو  
المحض يسمى تعريفاً لأن التعريف لا يلقى به، أما الثاني وهو غير المحض  
فهو نصف تعريف، لأنك لم تجرد به عن نفسك شيئاً، وإنما خاطبت نفسك  
بنفسك كذلك فصارت منك ومن متظفر ومن أمثلة التعريف غير المحض  
عنه قول غير من الأطباء:

أقول لما وقد عشت وعاشت وبيعتك أحمدي أو لستبرهي  
ومنه قول شاعر آخر:

أقول لنفس نأساء وتغزاة إحدى يدي أصغلي ولم ترو  
وليس في هذا ما يصلح أن يكون خطأً لغويك كالأول، وإنما  
الخطأ هو الخطاب منه، وليس ثم شيء خارج عنه.

\*\*\*

أما التعريف الذي قصد به التوسع خاصة، وهو ما كان ظاهره

---

وأي خطأها كان. مما مشتق من ذلك مني التوسع والتكرار والفرق، وليس مشتقاً من  
الخطأ مصدره كما يذهب في الأرض مني مني وأجر.

خطاباً للفرد وباطنه خطاباً للفرد، فقد حل فيه من الأكبر بقول  
فصحة بن عباد من شعراء الحماسة وهو:

جئت إلى ربا وبضك باجعت      عزارك من ربا وشعبانها معا  
فيا حسن أن تأتي الأمر طامعاً      وتخرج إن دأبني الصلابة أسمعاً  
ولوكسر ألباس الحصى نيم الشبي      حل كبدي من خشية أن تصدعا  
بنفسى تلك الأوغى ما أطيب الرأيا      وما أحسن الصطاف والشرعما

والبيان الأولان يدلان على أن الفرد بالتعريف فيها هو التوسع، لأن  
الخطاب فيها لمحمد بن عبد الله وجه الخطاب إلى غيره وهو يريد شخصه، ثم  
التفلي من الخطاب التجريدي إلى خطاب النفس في البيتين الآخرين.

ولو استمر على الحالة الأولى لما قصي عليه بالتوسع، وإنما كان  
يقصيه عليه بالتعريف السلع الذي هو الطرف الآخر، وكان يتناول له غاية  
غرفه من خطاب غيره أنه يقف من نفسه سمعة أخرى ومعرفة العائق لما  
في ذلك من الشهرة والمصاحبة. لكنه قد أزال هذا التأويل بانطوائه عن  
التعريف أولاً إلى خطاب النفس<sup>١٢٥</sup>.

---

(١٢٥) انظر في توسيع التعريف كتاب الفن فيلسوف لا في الأكبر من ٢٩٥ - ٢٩٦

## الحركات البدوية الخطية ألفاس

ألفاس من شدة البصق التغطية. ومن لائق من فطنوا إليه  
عندما بين القم، فقد عده في كتابه من أبواب البصق الحصة الكبرى  
عنده وعرفه وعلى المحسن واليهيب عنه وأجلة شق.

وهو يعرف قوله: **والشعير** أن **ألف** الكلمة ألفاس أخرى في بيت  
شعر وكلام، ويحتملها لما أن تشبهها في تأليف حروفها.

فمفهوم ألفاس عده ابن الخطر مقصور كما ترى على تشابه الكلمات  
في تأليف حروفها، من غير إحصاء عما إذا كان هذا التشابه يمتد إلى معاني  
الكلمات المتشابهة الحروف أم لا.

ولكن لعل فيما ذكره من تعريف الخليل من أبعاد للجنس ما يوضح  
هذا الأمر. قال الخليل: **والجنس** لكل ضرب من الناس والطير والبرية  
والبحر، فمتى ما تكون الكلمة لجنس أخرى في تأليف حروفها ومعناها  
ويشتق منها مثل قول الشاعر:

يرمى عظيمي على الخليل نفوسهم <sup>٢٧٤</sup>.

(١) ألف البصق من **٢٧٤**.

أو يكون لها في تأليف الحروف دون التقى مثل قوله تعالى:  
﴿ وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ إِذْ قَالَ لَهُمُ الْمَلِكُ ﴾<sup>(٢٩)</sup>

فإن صحيح الاستنباط من هذا التعريف كان مفهوم الجانبي عند  
الخطيب بالأصالة وليس القدر بالضرورة مفهوماً عاماً يشمل الكلمات المتجانسة  
المحروكة سواء أجهلت، معي أو اختلفت.

والواقع أن الجانبي من أكثر عيون الفصح التي تصرف فيها بالعلماء  
من أرباب هذه الصناعة، فقد ألفوا فيه كتباً شتى، وحملوا أبحاثاً متعلقة  
واختلفوا في ذلك، وأدخلوا بعض نكت الأرباب في بعض، ومن هؤلاء ابن  
القنبر السليّ الذكر، وقداية بن جعفر الكتّاب، والملاحني الجرجاني،  
والخاقاني وغيرهم.



ومن العلماء من يسمي هذا الجنس من التذيع اللغوي الجنباً، ومن  
يسميه جانباً، ومن يسميه جانباً، أي بالخطأ والسهو واحد، وسمي  
هذه التسمية راجع إلى أن أحرف الخطأ تكون تركيبتها من جنس واحد،  
وخطأه الجانبي عند ابن الأثير أن يكون اللفظ واحداً والمعنى  
مختلفاً، وذلك يعني أنه هو اللفظ المشترك، وما هذه فليس من التجنيس  
الخطيب في شيء.

وحمل هذا الجانبي هو تشابه اللفظين في الطول واستقلالهما في  
المعنى، وهناك القسطن تشابهان طلقاً المختلفان معي بسمان مركبي  
الجانبي، ولا يشترط في الجانبي تشابه جميع الحروف، بل يكفي في  
التشابه ما تعرف به المجانسة.

(٢٩) غنمك موهوم: طمعتها بالرجح.

## أقسام الخمس

والخمس ينقسم قسمين تام وغير تام، فالخمس التام هو ما اتفق فيه القاطعون في أربعة أمور هي: النوازع المرفوعة، وأعدادها، وهيئتها الخاصة من الحركات والسكنات، وترتيبها. وهذا هو التام لأنواع الخمس إنشاعاً وأسماعاً ورتبة.

أقسام الخمس التام:

وهذا النوع من الخمس ينقسم بدوره ثلاثة أقسام هي: الباقلي، والمستوفى بفتح الجاء، وخمس التركيب. وبما يلي بيان كل واحد من تلك مفصلاً وموضحاً بالأمثلة.

١ - الباقلي الباقلي: وهو ما كان وراءه شيء من القطع من نوع واحد من نوازع الكلمة، يعني أن يكونا سبباً، أو ضلعين، أو حرفين.

فمن أمثلة الباقلي الباقلي: «سبح» قوله تعالى: ﴿وَبُيُذْمَرُ الْمُبَشِّرُونَ﴾ ما قبلها غير سبعة ﴿

والجنان هنا بين اسمين متماثلين في كل شيء هما ﴿ السابعة ﴾  
و ﴿ سابعة ﴾ الأولى بمعنى الشبابة، والثاني بمعنى مطلق الوقت.

وملك لونه تعالى: ﴿ بكاء من لونه يذهب بالأبصار يطلب الله القبول  
والقهار إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار ﴾. ﴿ الأبصار ﴾ الأولى جمع  
بصر وهو حاسة الرؤية، و ﴿ الأبصار ﴾ الثانية جمع بصر وهو العلم،  
فأولو الأبصار: أصحاب العلم.

ومنه شعراً قول أبي نواس:

عالم حاس هذا احتشم الرقي والمصل فضل والربيع ربيع

ومنه قول الطبري:

أقول أنت خير جئت بمخالطة خلقت: لا عرفت أيقان أبعثا  
فالمعنى الأولى استبصر وهو جمع واحد يعني وهو غطاء العين،  
والثاني اسم تعصيل بمعنى التثبوت، والجنان بين متماثلين لفظاً مختلفين  
معنى.

وقول البحرى:

إذا العين راحت وهي على الخوى طمس بسر ما تسر الأصابع

العين الأولى الباصرة، والثانية الجانوس.

وقول أبي تمام:

إذا الخيل جابت لسفل الحرب صدعوا صدور العوالي في صدور الكلاب

فلعل والصدور في هذا البيت واحد والمعنى معتقد.

ولونه أيضاً نادحاً:

من القوم جند أبيه الروح والشدي ليس ندى يجني منه بالجد  
فالجند السيد، واليتك الجند عند السيد، فأحدما يوصف به  
الكريم السخي والآخر يوصف به السخيل الشحيح.

ومن أمثلة الحساس المائل من «لعين»، قول أبي محمد الخزاز:  
قوم لو أنهم ارتاحوا لما فرغوا لو أنهم شعروا بالقبض ما شعروا  
«وشعروا الأولى بمعنى الصبر، و«شعروا الثانية بمعنى نقصوا  
الشعر».

وقول شاعر:

ما أحسني عند يقلت فحب وجه القواء وكيف لا يحب  
صاوغكم وقيت به فاصبر ما هكذا كنت السدي يحب  
يحب لي أصبر اليك الأولى من السويح وهو الأرجاس  
والاصطراب، وفي آخر البيت أمثلة من الوجوب وهو الكرم والشوق.

ومن أمثلة الحساس المائل من «حروب»، نحو قولك: «فلان يحس  
بالقسم الحزني» فتصح له أبواب الجمع «هـ» «وآباء في «القسمة» هي  
الداخلة على أنه الفعل فليد معنى الاستمالة، أي أنه يستعين بالقلم على  
القبض، وآباء في «هـ» هي «هـ» السية، فهي أن أبواب الشجاع تفتح له  
بسبب قلعه الحزني». على الثاني حساس للمائلها لقطاً واستغلالها  
معنى.

ومثل قولك: «قد يزل النظر شدة وقد يزل عيذاء القطة «هـ»  
الأولى للتذكير والآخرى للتفخيل، لأن النظر يكثر ثروته شدة ويقل عيذاء  
وتحو قولك أيضاً «من الناس من يعمل من شروق الشمس إلى ما

بعد ثروياً بمساعدته لفظة من في من الشمس بعد معنى الشمس، أي  
 معنى الناس، ولفظة من في من شروق الشمس بعد معنى الابدان أي  
 ابدان من شروق الشمس، فإن المخرج كما نرى جنس اشكالها لفظاً  
 واختلافاً معنى.



٢- الجنس المسئول هو ما كان ركباً، أي لفظة، من نوعين  
 مختلفين من أنواع الكلمة، أي يكون أحدهما سبباً والآخر فضلاً، أو بأن  
 يكون أحدهما حرفاً والآخر سبباً أو فضلاً

فمن أمثلة الجنس المسئول بن الاسم والفعل قول محمد بن  
 كاسه في ولاء ابن له:

وسببته يحيى ليحيا ولم يكن إلى رد أسر الله عليه مسيل  
 تيممت فيه الحال حين رزقته ولم أدر أن فقال فيه يهزل<sup>(١)</sup>  
 فالجنس هنا بين وحيي الاسم وفروجه الفعل، وهما متشابهان  
 لفظاً مختلفان معنى ونوعاً

ومن أمثله وفي نفس القطون السابق قول أبي تمام:

ما مات من كرم الزمان فإنه يحيا لدى يحيى بن عساف  
 ومنه قول الشاعر:

إذا هناك الدهر في مشر وأجمع الناس على بعضهم  
 طارهم ما مات في غرهم وأرضهم ما مات في أرضهم

(١) هزل: ضد الطرد، وهو لا يكون إلا في سحر، وبطوره لا يكون إلا فيا سحر،  
 وبطل، بطل.



لقد اخرجهم الأول فعل امر من المشار، وندرجهم الثانية اسم للهيئة،  
والرخصهم الأول فعل امر من الإرخصة، والرخصهم الثانية هي الأرض اسم.  
ومنه قول أبي العلاء القمزي:

لو زارت خليف ذات الخيل أسيانا ونحز في سحر الأحداث أسيانا  
فأسياناً الأول اسم بمعنى من وقت لأخر، وأسيانا الثانية فعل  
مضارع بمعنى بحث عنها أسيانا من جديد، ففي القطب الجناس المستوفى  
تشابهها لفظاً واختلافها نوعاً ومعنى.

ومن مدح الجناس بين الاسم والفعل ما كتب به إلى خليفة الأمراء  
في حق عامل له وهو: «فلا تترك عصاة ولا مضياء ولا دعياً إلا أنجبه،  
ولا حلاً إلا ملك عليه، ولا مرساً إلا انرسه، ولا داراً إلا أدركها سلطاناً،  
ولا حيلة إلا سلها، ولا ضيعة إلا تستعها، ولا عذاراً إلا اقتره، ولا حلاً  
إلا استله، ولا جليلاً إلا استلهه، ولا غلباً إلا ادله»

ومن الجناس المستوفى بين الفعل والحرف قول الشاعر:

حلا نجبه في عالم الشعر نجباً حل أنه ما زال في الشعر شاعراً  
فالجناس هنا بين فعله الأول وهي فعل بمعنى ارتفع ودخل، الثانية  
التي هي حرف جر.

ومنه قول شاعر آخر:

ولس أن وصلاً خلقي بقسريه لما أن من حل الصباة والجهوى  
فالجناس هنا بين «لما» الأول وهي حرف توكيد ونصب و«لما»  
الثانية فعل ماضٍ من الإلين



٣ - جناس التركيب: وهو ما كان أحد ركنيه كلمة واحدة والأخرى مركبة من كلمتين: وهذا الجنس ثلاثة أصوب ثلث على النحو التالي:

١ - التشابه: وهو ما تشبه ركناء، أي الكلمة المقرونة والأخرى لتركيبه لفظاً ومعنى.

ومن أمثله قول الشاعر:

إذا مقلت لم يكن ذا عيبه      مدحه ففدولته فاعيبه

ومثله قول الغالب:

يا سيداً حذر دني      يا حبيبي وأول  
أعصت بمرأ ففعل لي      أعصت لي الشكر أولاً

فالجناس بين «أولاً» وهي كلمة مقرونة فعل بمعنى مع وأصله، وبين «أولاً» وهي كلمة مركبة من «أول» العاطفة و «لأ» الثانية.

ومثله قول شمس الدين أحمد بن محمد الوهاب:

حذر في سقمي من بعدهم      كسل من في الخي داري أوزها  
بعدهم لا طيل داري السحي      وكذا ياتي الخبي لا أوزها<sup>(١)</sup>

فتركن الجنس الأول هنا «أوزها» وهو مركب من كلمتين لولاهما «أول» العاطفة، والأخرى «وزها» الفعل بمعنى عوته بالهاء، وركنه الثاني «أوزها» الفعل وهو كلمة واحدة بمعنى خرج وزها.

(١) قالان البحر بطون في البحر - على راءه الخي، وهو غدير الحضر، وأما كالفين، وأصله مثله راء ثمة لغوية الناحية - يعني لا سبي له داري السحي ولا أول، ياتي الخبي بعد وجعلهم.

ب- الفرقون: وهو ما تشابه ركنا في الكلمة القوية والآخرى  
للمركبة تشبهاً لا خطأً

ومن أمثلة هذا النوع قول الشاعر:

لا تعرضني على الشوكا نصيبا      ما لم تكن بالفتى في عهديها  
وإذا عرضت الشعر غير مهذب      عشوه منك وسلوبا يهلي بها  
فالجاني بين: عهديها، وهلي بها: وهما متشابهان خطأً لا خطأً مع  
اختلافهما معنى.

ومنه قول الشاعر:

قلت للعاقل طلع على السعد      مع واحرقته على الحد نهلا  
على سبيل إلى السجدة ومع غم      مع حيوني بحري لم سلسلا  
مركبا للجاني على سبيل: وجلسبيل: وهما متشابهان خطأً لا خطأً  
مع اختلاف المعنى.

ومنه قول ابن أسد الغزالي:

عبدونا يسأل، ورجينا حبيبا      أمست لنا أهلبا والقرا حبا  
فلا تلي ما غادياً ليوم عادية      نسلكه من حياحة وفاق رابعا  
فالجاني بين: والقرا حبا: وذاق رابعا: الأول اسم مخرج للمرح،  
والآخرى مركبة من فعل أمر واسم، والركتان متشابهتان خطأً مختلفتان خطأً  
ومعنى:

ومنه قول الشاب الطريف شمس الدين محمد بن العفيف:

(١) الفرائح: جمع فرحة، بقرينة الإسناد فبعضه التي حق عيدها، لأنها أول عطلة.

السرور وهو طلب المصافي بكل وبك كل مهمة  
وإن لم يجد . فهو . فكل له . يا يقول منه

ومن قول الشاعر:

فلما نزلت في القرب يوحها صوب النوايس أم صوب النوى ليس  
فالجناس بين اسم مفرد والنوايس جمع نوايس، ومركب من اسم  
ولعل والنوى اسم يعنى الخرق والنوى الأمر السد إلى باب الخطابة  
من قاسي ليس وقد تشابه به الركن لفظاً لا معطاً مع اختلاف المعنى.  
ومن ذلك قول بهاء الدين السبكي:

كن كيف تشاء عن القوي لا تشي على نعوه في الحيلة زالت هي

فالجناس بين انتهى وأنت هي

وهكذا يسمى الجناس في عباداً بالمتلة وطارها ما يلي فيه وكما  
الجناس أو لفظاً متشابهين لفظاً لا معطاً بالجناس والفرقة.

ج - الترتيب: وهو ما يكون فيه أحد الركنين كلمة والأخر مركباً من  
كلمة وجزء من كلمة، نحو قول الحريري:

والفكر منها أسطعت لا ناله لتفتني السودة والمكسرة

فالجناس هنا ركنه الأول مركب من كلمة وأخر من كلمة، هما لفظة  
المكسر والهم والهاء من هههه والكسرة مفرد هو المكسرة.

وبنقل قول الحريري أيضاً:

ولا تله عن فذكر ذنبك وبك بدمع بخاني الزن حال مصافه  
وبنقل لحييتك الخصام وزعمه بزرعة ملهه وسطعم مصافه

والجناس هو بين كلمة ومصادره ومركب من كلمة وجزء من كلمة أخرى، مما أقيم الأخرى من مصطلحه وكلمته ومصادره، وهما متشابهان لفظاً لفظان معنى.

وهذا النوع الأخير من جناس شريك لا يخلو، كما يبدو، من تعسف وتجهيد بالمقارنة إلى نوعيه الآخرين.



الجناس غير التام: وهو ما يختلف فيه اللفظان في واحد من الأمور الأربعة السابقة التي يجب توافرها في الجناس التام، وهي: أنواع الحروف، وأصنافها، وعبئها القصبة من الحركات والسكنات، وتوليها.

أ- عان الاختلاف اللفظي في أنواع الحروف، فيشترط ألا يقع الاختلاف بأكثر من حرف واحد، وهذا الجناس يأتي على صورتين:

١- جناس متضارع: وهو ما كان فيه الحرفان اللذان وقع عليهما الاختلاف متطابقين في المخرج، سواء كانا في أول اللفظ نحو قول الطبري: «بني وبين كس لبن دلس وطريق طامس»<sup>١١</sup>، أو في الوسط نحو قوله تعالى: ﴿وَعَسَى يَهْدِيَهُ رَبُّكَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾، أو في الآخر نحو قول النبي ﷺ: «الحبل معلق بواصفه المقبر».

٢- جناس لاحق: وهو ما كان الحرفان فيه متطابقين في المخرج، سواء أكانا في أول اللفظ نحو قوله تعالى: ﴿وَبَلِّغْ لِكُلِّ حِزْبٍ نَّوْعَهُ﴾، أو في الوسط نحو قوله تعالى: ﴿وَذَلِكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِتَغْيِيرِ الْحَقِّ

---

<sup>١١</sup> لكن يكسر الكاف ويشد الراء، ثم، والدس، الشديد الطعنة، والجناس: لفظوس المتماثل الذي لا يبقى له إلا الفرق.

وإذا كنتم ترحبون في أول الآخر نحو قوله تعالى: ﴿وإذا جاءهم أمر من  
الأمين أقاموا به﴾<sup>(١)</sup>.



بهـ. وإن اختلف المصطلح في أحواد الحروف معي، أجبني لاخصاً  
وذلك لتقصان أحد اللغتين عن الآخر، وهو رأي كذلك على غيري.

١. ما كانت الزيادة في أحد لفظه بحرف واحد، سواء كان ذلك  
الحرف في أول اللفظ نحو قوله تعالى: ﴿والتفت التفتي بالساق﴾ إلى ذلك  
بوجه التفتي في أول الوسط نحو: «تفتي جهدي»<sup>(٢)</sup> أو في الآخر كفعل  
«تفتي».

علوي من شعر عوار صواب أنه حسنت كنهن فتوب  
ولول شاعر متفلاً:

وسألتها بالشارع من أخصها <sup>أعطني فيها الرشدة</sup> عيون  
فتصت صعداً وقلت: «أي القوي» إلا الصوان مزال عه التوب  
ولول الزهراء زهير:

أشكر وأشكر دمه      فأعجب أشك منه طابكر  
طيرني وطيرف النجم ليد      لك كالأحلام ساء وساعر

---

(١) وإذا جاءهم: أي إذا جاء الناس وصدق القول من القوم غير من أمور  
جيران القوم بما يعتدل بأنها أو به، أو مراد: أي أقاموا به وطروا وأقاموا به  
وكان يكون في ذلك طعن على الخليل.

(٢) أحد صيغ التميم: التفت، والتفت صيغ التميم: التفت، ولاجهت، والتفتي صيغ من  
التفت أو تفتي، أي إذا هم على قدر ما يدل من معي، والجهت، وما التفت من مثله.

والقول في تمام:

يبدون من أيدٍ موصوفٍ موصومٍ    تصول بسبب الوصف الواسع<sup>(١)</sup>  
وربما سمي هذا القسم الذي تكون فيه الزيادة في الآخر مصطفًى  
وذلك لطرف الزيادة فيه. ووجه حسن هذا الترخ: كما يقول عبد القاهر  
البرجاني، إنَّك تتوهم قبل أن يرد عليك آخر الكلمة كالجم من موصوم  
أما هي الكلمة التي مضت، وإنما هي ما للتوكيد، حتى إذا لم تكن آخرها  
في نفسك ووجه سمعت، انتصرفت عند ذلك التوهم. وفي ذلك حصول  
الزيادة بعد أن يخالطك اليأس منها

٢- ما كانت الزيادة في أحد لفظيه بأكثر من حرف واحد في آخره.  
وربما سمي هذا النوع مصبلاً، ومن أمثله قول النابغة الجبلي:

فما تترجى بعد أن لم يوصلوا    وذاك هم صرف التوى والتواب  
وقوله أيضاً: والياً:

يا لك من حزم وعزم طواميل    جديد الردى بين الصفا والصفاح  
والقول حسان بن ثابت:

وكنتا من يفسر القسي فبيد    نعل جانيه بالقفا والفتايل<sup>(٢)</sup>

(١) يبدون من أيدٍ: يصح أن تكون موصوف موصوم، والزيادة التي يكون فيها وصف من أيدٍ: يصح أن تكون  
المتصفين، أي يبدون بعض أيدٍ، ويظهر وعزم من خطه وعزم من الشاهد، وموصوم:  
جمع خاصية من صفة موصوم بالصفة أي السيف، هذا، وموصوم: جمع خاصية من  
صفة، أي خطه ووجهات، والخاص: جمع خاصية من نفس طيه تلك، والموصوف: جمع  
الخاص من قوله خطه، والفتى: يبدون لطرف يوم الشرب أيدياً صارفت للأضواء  
على أن للأزيد صلاته على الأثرى، مبرور، فالتة فالتة

(٢) الفتلى: وأضواء القبة، والتلى: جمع الضلج، مبرور، الفتى: أو الفتى ما بين  
الفتان إلى الأربعين وأربع.

وقول الخشاء وهو من أرق ما سمع في هذا الباب:

إن اليكسنة هو الشدح . من الجسوي بين الجسواتج  
ومما يجدر ملاحظته هـ أن بين الطرف والليل الققاء من وجه  
وافترافاً من وجه، فيها يفتقان في أن كليهما لينة في طرف أحد رجلي  
الجذاس، ويترفان في أن زينة نظرف حرف واحد، أما الليل فتكون  
الزينة فيه بأكثر من حرف.

• • •

جـ - وإن اختلف اللفظان في هيئة الحروف الموصلة من الحركات  
والسكبات والفتحة، فإن الجذاس يأتي فيه من ضربين: حرف، ومصحف.

١ - فالجذاس المحرف: هو ما اتفق ركنه، أي نقطه في عدد  
الحروف وترتيبها، واختلفا في الحركات فقط سواء كانا من مسين أو فعلين  
أو من اسم وفعل أو من غير ذلك، فإن التعدد اختلاف الحركات.

ومن أمثلة في الطرف الكريم قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَوْسَلْنَا مِنْهُمْ مِثْلِينَ  
فَاطْرَ كَيْفَ كَانَ جَافِيَهُ الْفَاطْرِينَ﴾. ولا يقال هنا إن اللفظين متحددان في  
العين لأنها من الإندوة فلا يكون بينها جذاس، فاختلاف المعنى طالع،  
إن المراد باللفظ الأول ﴿مِثْلِينَ﴾ فاعلون وهم الرسل، وبالثاني  
﴿الْفَاطْرِينَ﴾ المفعولون، وهم الذين وقع عليهم الإفساد.

ومن قول الرسول صلوات الله عليه: «أظلمكم كما حسنت خطفي  
فحسن خطفي». ومنه قولهم: «وجه البرد جنة البرد»<sup>(١)</sup> وكذلك قولهم:  
«البدع على إما مفرط أو مفرطه الأول اسم فاعل من الإفراط وهو تجاوز

---

(١) وقع الاختلاف بين البرد والحرف، لأن الله في الآية مضمومة ببرد، واللفظ في الثاني  
مفروطة وهو ضد الحرف، والله أعلم بالصواب.



الحلف، والثاني اسم لأهل من الشريط وهو الضعيف، والوثيق: واليدعة شركة بالشركة.

ومن أمثله شعراً قول الحمري:

والحسن يظهر في يمين، ووثقه بيت من الشعر لو بيت من الشعر  
الأول بالثين التكميرة واليمين الساكنة، والثاني بالثين والعين  
التشويش، والراء منها والفتح.

وقول ابن القارظ:

علا نيك نيك عن نوم امرئ لم يلفه غير معجم يشقاه  
وقول عبد العزيز الحموي:

لعمري كل يوم نيك غيري يصبر لأهل العشق غيري<sup>(١)</sup>  
ومن أيداع ما جاء فيه [هذا السراج] من الحسن قول جميل شية،  
ومعظم من أنواع الحمري:

خليلي إن قلت بيعة: ما له أنما ملا وعد؟ فقولاً لها لها  
كي وهو مشغول لعظم الذي به ومن بيت طويل يرعى السها سها  
بيعة لزوي بالفرالة في الضمى إذا سررت لم تلب يوماً ما بها  
لها ملة كعلاء نجلاء خلفه كأن أباهما الطي أو أمها بها  
دعني بسوء قتيل وهو متلعي وكلم قلت بالراء من ودعا دعا<sup>(٢)</sup>

(١) الحمري يفتح الميم، والعمري بكسر الميم، الميم.

(٢) وقفاة، التثنية الأولى جاز وهو يرادفها فعل مضارع من التفر، واليهابها الأولى اسم جمع وقفاة فعل مضارع من التفر، واليهابها الأولى جاز وهو يرادفها اسم مضارع من التفر، واليهابها الأولى أم الحمري وقفاة جمع بيت وهي.

فالجنان في البيت الأول تمام، وفي البيت الثاني والثالث والجنان  
ومحرفه وفي البيت الرابع بمطرفة.

٢ - والجنان المصحف: هو ما اتفق فيه ركا الجناس، أي لفظه في  
عدد الحروف وترتيبها واختلاف في اللفظ فقط.

ومن أمثله في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي  
وَيَسْقِي وَإِذَا مَرِئْتُ نَجُوتُ﴾ وقوله لعلي أيضاً: ﴿وَهُمْ يَصِرونَ لَهُمْ  
يَسْتَوْنَ صَمًا﴾.

ومنه قول النبي ﷺ لعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه، وقصر ليربك  
قوله كفى وألقى وأخبره، وقوله عيسى المصطفى: ولو كنت ناجراً ما  
اختلفت غير القبط إن فاني وسعد لم يغني رجعه. وقال لعلي الأديب:  
يا طيب القوم خلق الرخوة.

ومن أمثلة الجناس المصحف في الشعر قول الشاعر:

فإن علوا وليس بغير عطر      وقد راحلوا طيس لحم مصر  
وقول أبي تراس الحيداني:

من بحر حبوبك أفتدرف      وبفضل عسلك أفتدرف  
وقول الجاهل زهير بن عمرو:

وليس شيئاً ما نرون بدارعي      فلا نعرف أن أعيم وأظربا

• هذا بقراء الرحمن بن معمر هذه أيضاً «سرا» وبلفظة التمدد اليه: ﴿فَإِذَا شِئْتَ  
الْوَدَّ بِالْهَاءِ فِي الْيَهُدِ فَإِذَا يَمِي يَا كَذِباً أَوْ الْغُرُوبَ فَإِذَا شِئْتَ يَا فِي الْفَتَنِ أَيِ  
الْمَبِينِ، فَإِذَا يَمِي يَا لَمَرَّةِ الرَّحْمَنِ وَهُوَ يَرَاهُ حَادِي يَدِ حَقِي وَخَالِدِي مِنْ بَعْدِ مَعَا  
الْكَلْبَةِ الْأُولَى أَمْرٌ يَمِي الْقُرْبَى وَالْأَتَا حَقِي مَالِي يَمِي أَمْرٌ، وَهَذَا رِكَائِ الْجِنَاسِ  
لِأَنَّ الْكَلْبَةَ الْأُولَى بَعْدَ مَعَا مَعْمُورٌ مِنَ الْمَعَا وَفِي حَارِجَةٍ مِنَ الْجِنَاسِ.

وما هو إلا نور نغم لحنه      تعلّق في أطراف شعري قلبي  
وأعجبني التّجسّس بيني وبينه      فلا تبتدئ ابتداءً رحمتك كشيء

فالشّيب يستحقّ صفاء حسن ورقة وجلوبة في التّغمر، يظنّ: تفرّ  
الشيء، أي طيب النّكهة قليل تدوم به الشّباب يطعمه بقياء، والجناس هنا  
في واثنائه وواثنيائه، واللفظان متشابهان في كلى شيء ولا يختلفان  
إلا في النّقط فقط، وادّلي جناس من هذا النوع يسمى «جناس  
التّصحيّف».



د- وإن اختلف اللفظان في ترتيب الحروف سمى «جناس التّقليد»،  
وسمى لوج «جناس العكس». وهذا الجناس يشتمل كلّ واحد من ركنيه  
على حروف الآخر من غير إبانة ولا تغيّر، ويختلف أحدهما الآخر في  
الترتيب. وهو يأتي على أربعة أنواع:

١- قلب كلّ: وذلك إذا جاء أحد اللفظين عكس الآخر في ترتيب  
حروفه كلّها، نحر قولهم: «أصابت فتح لأوليئك وحظ لأعدائك»، وهذا  
القياس مأخوذة من قول العباس بن الأعمش:

حسامك فيه للأحباب فتح      ورهك فيه للأعداء حلف  
وبت قول الشاعر وقد جنس بين لفظي «رهك» و«رهاب» بفتح  
الراء:

حكائي بهار البروص حين أغفنه      وكلّ مشوق للشّهار مصاعبه<sup>(١)</sup>

(١) «الشّهار» بفتح الراء، بيت طيب الريح له، و«مصراف» بفتح الميم هو المصراع، وكلّ هو المصراع  
بفتح الميم، أي بيتان، قال الشاعر: «كان الشعر»  
ففتح من قسم مصراف لجهده      أيما يصعد المصاعبة من مصراف

قلت له ما بال قولك شعبةً فقال لا، حين قلب واحد  
فكل من دله ودرجته مطروبة الآخر أو عكسه في ترتيب حروفه  
كلها.

ومن ينوع هذا النوع من احسان قول جمال الدين بن ليث في منح  
الأمير شجاع الدين بگرام:

فيسل كسل المطروب من رغب الخروب لمضطرب  
المثله ههنا الخروب قلب بگرام ما رغباً<sup>(٦)</sup>

فالحاس هنا بين بگرام ودرجته وكذلك عكس الآخر في  
ترتيب حروفه كلها.

٢ - قلب بعضي: وهو ما يستعمل فيه التفتان في ترتيب بعض  
الحروف ومن أمثلة هذا النوع قول الشاعر  
إد بين الصدوق مني أسرفاً <sup>بعضي</sup> فكيف لي أن أطيقاً؟  
فبحي عليك يا من حبيبتي <sup>بعضي</sup> كرميلاً سقيتي أم حريقاً؟  
فالحاس بين رحيلاً ودرجته والاختلاف هو في ترتيب الحرفين  
الأولين منها.

ومنه قول الغنلي:

وأقربهم يستمرمون حوضنا إنهم ولو كانت عليهم جوارحنا  
فالحاس بين حوضنا ودرجته وهو قلب جزئي في ترتيبه  
بعضي الحروف ومنه قول عبيد بن ربيعة في مدح الرسول:

(٦) الصوري يشهد الراد: القليب.

لعلنا الشاة الأسماء معصراً: بالزود كاليد من نور العظيمة<sup>(٢٢)</sup>

فالجنان بين القردة وهو الثوب واليدرة.

ولول لي لنام:

يعني الصالح لأسود الصالح في عووس حلاء الشاة والربية<sup>(٢٣)</sup>

فالجنان بين والصالح وهي السيوف المرفقة والصالحه.

وكذلك قول الشبي:

تتمية مسعدة روح يكلف لقطها الخير الفروجا<sup>(٢٤)</sup>

ففي كل هذه الأمثلة وقع الجناس بين لفظةين مختلفين في ترتيب  
حرفي القوافي، ولهذا يقال إن الجناس فيها وفي نظائرها جناس وقلب  
خاص.

٣- قلب الصبح: وهو ما كان كذا بعد القطر، فليس وقع بها  
القلب في أول البيت والثاني في آخره، كأنها جاحدة للبيت.

ومن أمثلة ذلك قول الشاعر الطريف شعبي البدين محمد بن  
الغليل:

ليكنني بالقط والقط الـ كحلاء والوجهة والكاس

ساق يربني قلبه نسوة وكل ساق قلبه ناس

فالجناس هنا بين وساقه في أول البيت و«ناس» في آخره، ولهذا

---

(٢٢) تلك الأسماء: القردة، ياءاً وضمّاً، ويضم «ر» من آخر القردة فيها على رأسه.

(٢٣) الصالح جمع صالحة، وهي السيوف الخرس.

(٢٤) فروجا: فخذة العجوز فخذة الأرواح.

يقال له جناس قلب صحيح. وإذا نظرنا إلى هيء أحد اللغتين عكس الآخر في جميع حروفه قلنا إن فيه جناس قلب كله أيضاً.

ومنه كذلك قول الشاعر:

قد لاح أنوار الخصى في كسبه في كسل حبال

أ- مستوف: وهذا النوع سمي قوم القلوب. وسماه السكاكي مغلوب الكل، وحرفه الحرفي في مقامه بما لا يستعمل بالانعكاس. وهو أن يكون عكس لفظي الجناس كطرفهما، يعني أنه يمكن قرأتها من اليمين والشمال دون أن يتغير المعنى، نحو قوله لعل: ﴿ كل في ملك ﴾ ﴿ ملك لو عكست هذا التركيب لبدلت من الكاف في ﴿ ملك ﴾ إلى الكاف في ﴿ كل ﴾ فكان هو بعينه.

وكذلك الشك في قوله تغلر ﴿ ورربك مكر ﴾ ومنه قول الحارثي: «سأكتب كتاباً أرجو أن يعجبني في هذا الباب قول الفاضل:

لحق أنسل غير صحيح كل ما أمك إن غنى عبه

فهذا البيت كل كلمة منه بالمضامين إلى آخرها فواتها في القلب وأصل من البيت السابق مرة قول سيف الدين بن رشد:

ليس لي أخيه علاله أن يضيء بكونك

فكل كلمة في هذا البيت تقرأ مستوية ومطوية، وهو بما لا يستعمل بالانعكاس.



وهذا نوع من الجناس غير الأنواع السابقة يسمى عليه البليغ والجناس اللغز.

وحدّ للقلبي أن يكون كلّي من مركّبين مركّباً من كلمتين، وهذا هو الفرق بينه وبين اجتماع التركيب الذي أحد ركنيه كلمة مفردة والثاني مركّب من كلمتين.

ومن اجتناس المقلد في النظم قول الشاعر:

وكم بقاء الراغبين إليه من      هائل مجود في عجائب جود  
وبنه قول القاضي عبد الباقي بن أبي حصين وقد روى النضاه والقزعة  
وهو ابن خمس وعشرين سنة وأقام في الحكم خمس سنين:  
وليت الحكم طياً وهي خمس      عصري وانصا في المنفرد  
فلم تضع الأحادي قدر شكري      ولا تالوا لعل قد راسلي  
وبنه كذلك قول شرف الدين بن عيون:

حروها بك عما نهيته      بشمل عنها ولو وسات صداه  
~~~~~

وهذا وما بعده الإشارة إليه أن أحد كسبائس هذا ولي الأمر سمي  
«موجوداً» و«مكرراً» و«مرداً»، نحو قوله تعالى: ﴿وَجِئْتَ مِنْ رَبِّكَ بِبَيِّنَاتٍ﴾  
يقول في: «ولم يزلهم» من طلب وحدّ واحد. ولهم: من قرع بالآلج والنج  
والج.

### السجع

هو توافق الفاصلين من الشتر عن حرف واحد. وهذا هو معنى قول  
السكاكي: «السجع في الشتر كالمطامية في الشعر».  
والأصل في السجع إذا هو الاتصال في مقاطع الكلام، والاتصال

مطلوب في جميع الأتياء، والفرض قيل إنه بالطبع، ومع هذا طيس القوقوف في السجع عند الاعتدال فقط، ولا عند توافق القوافل على حرف واحد هو المراد من السجع، إذ لو كان الأمر كذلك لكان كل أريب من الأتياء صحيحاً.

وأما يعني في السجع بالإنصاف إلى ما تقدم أي تكون الألفاظ المسجوعة حلوة حارة لا حنة ولا باردة. والمراد بذلك الألفاظ وبرودها أي صاحبها يصرف النظر إلى السجع عنه من غير نظر إلى مفردات الألفاظ المسجوعة وإرتكيبها وما يشترط لتكليفها من صفة الحسن.

هذا يعني الكلام المسجوع من العتاة والبرودة وإن ورد ذلك مطلقاً أمراً، وهو أن يكون اللفظ فيه تابعاً للمعنى لا أن يكون المعنى فيه تابعاً للفظ، وإلا كان كلامهم شراً على ما مر من قوله.

وإذا توافقت هذه الأمور كان ذلك مطلوباً أمراً، وهو أن تكون كل واحدة من المعطوفين أو المسجوعين فرديتين دالة على معنى غير المعنى الذي التسمتت عليه الأخرى. وقد كان المعنى فيها سواء بذلك هو التطويل بعينه، لأن التطويل إما هو التسلالة على المعنى باللفظ يمكن الدلالة عليه بطريقاً، وإذا وردت مسجوعات يدلان على معنى واحد كانت إحداهما كافية في التسلالة عليه.

وإذا رجعنا إلى كلام أعلام الكتاب المشهود لهم بالتفوق في الفن يعني من أمثال الصافي وابن الصبغ وابن عباد والحريري في هذا فإنه في خطبه وجدنا أكثر المسجوع من كلامهم كذلك والأقل منه غير المستوفي لشروط السجع الحسن.

وهذه الشروط، كما يقول ابن الأثير، تنقسم في ثلاثة أمور: الأول



اختيار مفردات الألفاظ المسجوعة والتركيب، بحيث تكون بعيدا عن التثاق والبرود، والثاني أن يكون اللفظ في الكلام مسجوعا تابعاً للمعنى لا للمنى تابعا لللفظ، وانضمت أن تكون كل واحدة من الفقرتين المسجوعتين دالة على معنى غير المعنى الذي دلت عليه أختها.

ومن المسجع «الحس المستوفى» فلهذا الشرط قول ابن الأثير من كتب يتضمن المعاني ببعض الناس، قلب: والكريم من لوجب لسائله حقا، وجعل كواكب أماله عبقا، وكان حرف المعطية منه عبقا، ولم ير بين دمه ورجه فرقاً. وكل ذلك موجود في كرم مولانا أحمد الله من عصبه على ونوره، وجعل همه على تمام كل نقص قديرة.

ومن المسجع الذي يخرج إلى التطويل والتكرار لافعال المسجعين في معنى واحد وإن امتلقت الألفاظ قول طعاني من تمجد في كتابه. والحمد لله الذي لا تدركه العين بالمدحها، ولا تحفه الألسن بالمطامها، ولا تحفك العصور بمرورها، ولا يبرحه السعور بمرورها، ثم الصلاة على النبي الذي لم ير للتكرار أثرا إلا جلسته وحيه ولا رسا إلا أركه وهداه

فلا فرق هنا بين مرور العصور وذكر المهور، وكذلك لا فرق بين نحو الأثر وهداه الرسم.

## أنواع المسجع

والمسجع ليس بصورة واحدة، وإنما هو يأتي في الكلام على أربعة أصناف أو أنواع: المظهر، والرمع، والشواري، والشطر.

١- «المظهر»: هو ما اختصت فيه العاصمات أو التواصيل وزفا وحلفت رؤا، وذلك بأن يرد في أحراء الكلام سميات غير موزونة

عروياً ويشروط أن يكون روي روي القالية، نحو قوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ وقد خلقكم أجساداً ﴿١﴾

ومنه شعراً على الزماني القائل بأن السجع غير القصص بالشعر، وبأنه هو يدخل الشعر والشعر مدحاً - قول أبي تمام -

نحل به رشدي والكرت به يدي - وعاصر به شعبي وأورى به رشدي<sup>(٢)</sup>

٢ - الترخيم: وهو عبارة عن حذبة كل لفظة من لفظة الشعر أو صدر البيت بنقطة على وزنها ورويته.

ومن أمثله في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ الْأُمُورَ لَفِي نَجْمٍ وَإِنَّ الْقِصَارَ لَفِي حَجِيمٍ﴾ وقوله تعالى أيضاً: ﴿وَإِنْ إِلَٰهَ الْإِنسَانِ ثُمَّ إِنْ عَلَيْنَا حِسَابُهُمْ﴾ ومنه قول الخوري في القامات: «يطع الأسباع نحوهم لفظاً، ويخرج الأسباع مرداحهم وعظه».

ومن أمثله الشعرية قوله أبي بكر بن محمد بن الحسن:

والصالحات الأربعون كبرياءه - والصالحات الأربعون كبرياءه

ومنه قول الشاعر:

يا يومها كم من صاف مسافر - ويا لياليكم كم من صواف موهن

والمراد في هذا النوع مجرد نظم به من الخليلي والخبزي الترخيم عبارة عن تكرار الألفاظ التي ليست مدح، بحيث لا يأتى في صدر به

---

(٢) نحل به رشدي أي خور به، الصريح من القامات، والكرت به يدي - صارت - ذات لرام - ولقد نكر الله، وسكون - ضم - عرو في الأصل ماء القلي، والوراء - ماء القلي - الخليل، والوري به - روي - يعرج الزماني - أي صارت - روي، وهذا كناية عن نظم بالقرينة.

بلفظة إلا ولما أمنت تقابلها في المعنى، حتى في العروض والضرب، كقول ابن القيم الشاعر:

لحريق جمر سيبه القمعي زحيل جمر سيبه القمعي  
فهذا البيت وقع التصريح في جميع أفعاله، وقد لقاة فيه جامة  
بين حريق وزحيل، وبين جمر وجمرة، وبين سيبه وسبه، وبين القمعي  
والقمي.

وبت أي لوامس السابق عاك من تصريح العروض والضرب،  
والشاهد الثاني تكرر فيه ناطقة حرف الشاء فدخل عليه الحشو.

٣ - التوازي: وهو أن تكرر اللفظة الأخيرة من القرينة<sup>(١)</sup> أي الفقرة  
مع نظيرها في الوزن والمروي، كقوله تعالى: **فَأُوحِيَ سرر موهبة،**  
**وَأُكْرِمَ موهبة.**

ومنه قول النبي ﷺ: **وَاللَّهُمَّ احْبُثْ شَيْئاً خِلَافاً، واحْبُثْ شَيْئاً تَقَاماً.**  
ومنه قول الحريري في المشافآت: **فَانْظُرْ حَكَمَ دهر فاسط إلى أن التجمع**  
**أرض واسطه، ولولا: هوليدي في الساطن والقصات، ورنى في الحاسد**  
**والشامت.**

ومن أمثله شعراً قول النبي:

**فَتَحْنُ في سطل والزوم في وجل والبر في شغل والبحر في صعل<sup>(٢)</sup>**

(١) القرينة: المقابلة، وسببت لفظة المقابلة، أي تارة أمتها

(٢) الجلال: المخرج، والموجل: المجلوب، وأحس: حصر السكون لرجوعه وانحصاره، والزوم في  
حروب منه لطلقه ومرواه، وألمر مشتمل بحيث لا يفرق المبر، والبحر في صعل من  
فجوة التربة ويقل يده.

٤ - المنشطون: ويسمى أيضاً المنشطون، وهو أن يكون لكل شطر من البيت قائلين من داخلين لفظة الشطر الثاني. وهذا القسم خاص بالمتنوع، كقول أبي تمام:

تسديس منقسم بساكن مستقيم      ثم سوتخب في الله مرتقب<sup>(١)</sup>  
فالشطر الأول كما نرى سبعة مبيبة عن فاعلة الميم، والشطر الثاني  
سبعة مبيبة عن فاعلة الباء.

\*\*\*

أحسن السجع:

٥ - وأحسن السجع وأشرفه منزلة الاعتدال الذي فيه هو ما تسويت  
فرواقه في عدد الكلمات، نحو قوله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم  
بالتسليم ولا تسيروا ﴾، وقوله تعالى أيضاً ﴿ في سبيل الله تصروا وطلوع مصود،  
وعلق المدود ﴾.

٦ - ثم ما خالت به الفقرة الثانية عن الأولى طويلاً لا يخرج بها عن  
الاعتدال كثيراً وذلك لئلا يحد على السجع وجود التافهة فتذهب الكلمات  
بحسب قوله تعالى: ﴿ والسبح إذا سوي ما على أصابعكم وما جرى ﴾،  
وكذلك قوله تعالى: ﴿ وقالوا الحمد للرحمن ولبدأ لقد حسم شيئاً إذا<sup>(٢)</sup>،  
فكان السجوع يتعطلون به ويتعلق الآرسي ولحق النحال هذا ﴿ فإن الفقرة  
الأولى تعاد لفظة واحدة والثانية تسجع.

(١) ترتب في الله الترتب بما يترتب من رطب، والرتب: النظر القرب، والمخالف  
الغلاف.

(٢) إذا يكسر المصود. الأمر السجع المكرر.

٣. ثم قد طالت نظريته الثالثة نحو قوله تعالى: ﴿وَعَذُوهُ ظُفُورُهُ﴾ ثم  
الجميع صلوه. ثم في سلسلة درجته، سمعوا درجاً شاملاً: ﴿

٤. ولا يحسن أن يؤول بالفترة عذبة أقصر من الأولى كثيراً، لأن  
السمع قد استولى منه من الفقرة الأولى بحكم طوله، ثم بقيت الفقرة  
الثانية قصيرة عن الأولى، فتكون كالشيء البتور بقى الإنسان عند  
سماعها لمن يريد الانتهاء عند غاية فيحذر درجاً

السمع من حيث الطول والقصر:

إن السمع على اختلاف أقسامه يأتي على ضربين من حيث القصر  
والطول.

فالسمع القصير هو ما يكون فيه أقل واحد من السمعين مؤلفاً  
من المقاطع قليلة. وكلما قلنا المقاطع: كلما أمس لغزب القواصل لم  
الفرقات السمعوية من جميع السمع. وهذا الضرب أوفر السمع مدعاً  
وأقله متولاً. ولا يكاد يستعمله يقع إلا كثيراً

. أما الضرب الثاني، وأصح به السمع الطويل، فهو ضد الأول لأنه  
أسهل متولاً. وإنما كان القصير من السمع أوفر متولاً من الطويل، لأن  
السمي إذا صيغ بالمقاطع قصيرة عن تحقيق السمع فيه لقصر تلك المقاطع،  
وخيل الحال في استعماله.

وأما الطويل فإن المقاطع تطول به، ويستعمل له السمع. ولكن  
واحد من هذين الضربين تتفاوت فروعته في عدة المقاطع

وأحسن السمع القصير ما كان مؤلفاً من المقاطع القليلة. كقوله  
تعالى ﴿وَالرَّسُلَاتِ عَرَفًا خَالِدَاتٍ عَصَا﴾، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا

لقد شرب، فاسم القلندر، وزيك فذكر، وثابت ظهر، والرجز<sup>(١)</sup> فاصبر<sup>(٢)</sup>.

ومما يكون مؤلفاً من ثلاثة ألقاب وأربعة وخمس، وكذلك إلى عشرة، وما زاد على ذلك فهو من السجع الطويل وما جاء من قوله تعالى: ﴿وَالنَّجْمُ إِذَا هَوَىٰ﴾ ما قبل صاحبكم وما هوى، وما يطق من نظري<sup>(٣)</sup>، وقوله تعالى: ﴿وَالْقُرْآنُ شِيعَةٌ﴾ واشتق الفخر، وإن يروا كية يعرضوا ويحولوا صحر مستعر، وكلموا واتبعوا انولهم وكل أمر مستفر<sup>(٤)</sup>.

وأما السجع الطويل فهو مرصعة تتفاوت أبعداً في الطول، فمما ما يرب من السجع القصير، وهو أن يكون تأليفاً من إحدى عشرة إلى اثني عشرة لفظاً، وأكثره خمس عشرة لفظاً، كقوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ أَهْلَ الْإِسْلَامِ مَا رَحِمَ ثُمَّ تَرَجَعْنَا بِهِ إِنَّ نَبِيَّكُمْ كَمُورٍ﴾، وإن ألفت بهاء بعد ضمه منه ليقولن ذهب السباع عبي، أي أفرج قصور<sup>(٥)</sup>، والفاصلة الأولى إحدى عشرة لفظاً، والثانية ثلاث عشرة لفظاً.

ومن السجع الطويل ما يكون تأليفاً من العشرى لفظاً فما هوفاً، كقوله تعالى: ﴿إِنْ يَرَوْكُمْ كُفَرًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، ولو أراكم كثيراً لفشتنم وإستأزمن في الأمر ولكن الله سيم أبه عليهم بذات الصلور، وإن يركنهم إذ التفتن في أعيانكم قليلاً ويغلبكم في أعيانهم ليقضي الله أمراً كان منوراً، وإن الله ترجع الأمور<sup>(٦)</sup>، ومن السجع الطويل ما تزيد الألقاب في فقراته على هذا العدد.

---

(١) الرجز يصح قرأه بالسرحة، صيغة الألف والهمزة، والرجز: هو العمل الذي يؤدى إلى التعب والخطب.

## بناء الأسجاع:

هذا والأسجاع مبنية على مسكون الاعمصار، أي أنواعه لواصل القنرات، لأن الغرض هو التواضع والتواضع يبدأ، ولا يتم ذلك في كل صورة إلا بالوقف بالمسكون، كلونهم: وما أعدد ما طالت وما أقرب ما هو أكتاه.

فلو لم نطلب هذا على أنواع القنرات بالمسكون ووصلنا الكلام لاستدعى الأمر إجراء كل من القنرات على ما يقتضيه حكم الإعراب فتكون هذه الأولى مفتوحة والثانية مكسورة موزنة، وبذلك يثبت الغرض من السجع.



وبعد . فلا نعونا الإشارة إلى اختلاف أرباب صناعة الكلام حول السجع ولهم ثلاثة أقوال: بعضهم من أبيه وحمد من الأساليب التي تقوم أكثر ما تقوم على الضمة والفتحة والياء وهم يستدلون على وجهة نظرهم هذه بما أن إليه شيلاً العربي من شعور وانحطاط في التصور التي شاع فيها استعمال السجع.

وبهم من استحسنه وادّعى أنه محتاجاً لأنه لو كان مذموماً لما ورد في القرآن الكريم، حيث لا تذكر سورة القلم منه، على أنه من سورة ما جاءت جميعها مسبوحة بسورة الرحمن وسورة القلم وغيرها.

كذلك يجتهدون بأن الضمة والفتحة والياء ليست أموراً مقصورة على أسلوب السجع، وإنما هي أمور من الخلق أن تلحق بالسجع كما تلحق بغيره من الأساليب وليس العيب في السجع ذلك وإنما العيب فيس يخلو له ثم يخلو عن حسن استعماله

وأعل عبد الشاهر المخرجني غير من فصل في هذه القضية، فهو يقول  
 في معرض الكلام عن التحسين والتسجيع أنها يختصان بالقبول والخس  
 عندما يكون الشيء هو الذي يريد التكلم به، لا أن يقول: إلى القصر.  
 حتى أنه لو تركها إلى حلالها ما لا تحبس ولا تسجع فيه نسبة إليه ما  
 ينسب إلى التكلف للتحسين المستكره والتسجيع الشار

وفي ثالث يقول: «ولن نجد أي عكراً وأحسن أولاً وآخره، وأغنى  
 إلى الإحصان، وأطلب إلى الاستعانة من أن ترسل القطار على مسجدها،  
 وتدها تطلب لأغنيها الألفاظ، فيها قد تركت وما تريد لم تكسب منها إلا  
 ما يلقى بهاء ولم تكسب من الشارص إلا ما يرد بها

فإذا أن تصبح في نفسك أنت لا بد من أن تحس أو تسجع بالظنون  
 بخصوصين فهو الذي أنت به معرض الاستكره، وعلى عطر من حطاً  
 والوقوف في عدم. فإذ ساءلك الفيد بكم سعدت الأحداث - يعني أيا التبع  
 الحسي - في قوله:

سأطرد فيما جنى سأطرد  
 أو دافني أنت ما أودعاني  
 وكذا ساعد أيا دام في نحو قوله:

وأجدلهم من بعد «هنا داركم» أيا سبع الجبني على ساكني مجد  
 لذلك. وإذا أطلقت نسبة الجب، وأخص بك طلب الإحصان من  
 حيث لم يحسن الطلب، إلى أمحلي الإساءة وأكثر التسعد<sup>(١٦)</sup>.

### رد العجز على المصدر

أول من تكلم عن هذا امر المدهي، القاطن عدالة من المعز،

(١٦) كلف لسرا العلاء من ١ - ١٠



نقد هذه في كتابه أحد فنون التلخيص القصصية التكريري، وسماه جزء أبحاث الكلام على ما تقدمناه، ونفسه ثلاثة أقسام وهي له تدرأً وشعراً للدلالة على أنه يرد في الكلام بقرينة. وأقسامه هذه هي:

- ١ - ما يوافق آخر كلمة فيه آخر كلمة في نصه مثل قول الشاعر:

تلقى إذا ما الأمر كان عروصاً في جيش ربي لا يلقى عروص

- ٢ - ما يوافق آخر كلمة فيه أول كلمة في نصه الأول، كقول الشاعر:

سرج إلى أي العم يشتم عروصه وليس إلى داعي الشدى مسرج  
٣ - ما يوافق آخر كلمة فيه بعض ما فيه، كقول الشاعر:

عبد من سليم القصباني <sup>سليم</sup> سهم الثوت وهي له سهام  
ومن هذا النوع هذه قوله تعالى: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَنْهُمْ سَيْحًا﴾ وقوله تعالى أيضاً: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَخَفَى بِأَعْيُنِنَا صَبْرُهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾.



أما الشعرون من رجال النسخ منهم من جعل هذا الفن جزءاً المنجز على القصيدة، ومنهم من سماه بالتصدير، لأن هذه التسمية في طريقتهم أول عمل المطلوب والتيق بالتمام وأصح على التلخيص. والتلخيص القروي وهو من الشعريين بطور أن رد الشعر على القصيدة

(٦) كتاب النسخ لابن خلدون ص ٢٢

يوجد في الشعر والشعر على السواء، ثم يعرفه بقوله: «وهو في الشعر أن يُجمل أحد اللفظين المذكورين أو المتجانسين أو اللطيفين بهما في أول الفقرة والأخر في آخرها». وهو في النظم أن يكون أحدهما في آخر البيت والأخر في صدر المصراع الأول أو آخر، أو صدر المصراع الثاني.

واللفظان المذكوران هما اللفظان في اللفظ واللعن، وهما المتجانسان هما المتشابهان في اللفظ دون المعنى. وهما اللذان بهما أي يشبهان بهما اللذان اللذان يجمعهما الاشتقاق أو شبه الاشتقاق.

فهي أربعة المذكورين وأحدهما في أول الفقرة والثاني في آخرها بقوله تعالى: ﴿وَلَحْنَسُ الْمَرْءِ إِنَّهُ لَأَخِي﴾

ومن المتجانسين، أي المتشابهين لفظاً لا معنى وأحدهما في أول الفقرة والثاني في آخرها قوله تعالى: ﴿سَأَلْتُ الْمَلِكَ بِرَجْعِ رُوحِهِ سَأَلْتُ﴾.

ومن اللفظين المتشابهين يجمعهما الاشتقاق أو تشابه، وأحدهما في أول الفقرة والثاني في آخرها قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَعِزُّوْا بِكُمْ إِنَّهُ كَانَ عَلِماً﴾ وقوله تعالى أيضاً: ﴿وَأَحْسَنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾، وبهذه حقيقة الرسول: «من قلت حسنة فقد آتيت الله من عباده».

ومن اللفظين اللذين يجمعهما شبه الاشتقاق قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّ أَسْلَمَكُمْ مِنَ الَّذِينَ﴾. واللفظة الأولى هنا ﴿قَالَ﴾ مشتقة من القول، واللفظة الأخيرة وأحدها ﴿قَالَ﴾ بالثبوت اسم فاعل مشتق من القلي بكسر القاف وهو البطلان، فيجمع بينهما شبه الاشتقاق من جهة اللفظ لا المعنى.



أما رد المجرى من الصدر في الشعر فورد على الصور التالية:

أدنى الشظيون المكررين:

١- ما يكون أحد الشظيون المكررين أي الشظيون لفظاً ومعنى في آخر البيت والثاني صدر الصراع الأول. ومن أمثلة قول الشاعر:

أنته مطيعي أن لست حبيبة وأعمون شيء عندنا ما أنته  
ولول شاعر آخر:

سكرونا: سكر عوى وسكر مدانة أن يُقبل قن به سكرانا؟  
ومنه البيت الثاني من شعر عمر بن أبي ربيعة:

بيت عندنا أنجزنا ما نعد وشفت أنفسنا مما نهد  
والصبيحت مرة واحدة إلنا العاجز من لا يشيد  
٢- ومنه ما يكون أحد الشظيون المكررين في آخر البيت والثاني في صدر الصراع الأول. كما في البيت الثاني من قول العنترة الغنصري:

أقول لصاحبي وأخيس أهوى بينا بين الليفة فالظمير  
لنفع من نسيم عرار محمد فبا بعد العلية من عرار؟  
ومنه قول جرير:

سلى الرمل صوب مستهل غمته وما ذاك إلا حب من حلى بالرمل  
٣- ومنه ما يكون أحد المكررين في آخر البيت والثاني في آخر  
الصراع الأول، فنقول أبي نهم:

---

(١) والعرار: وردت لعمدة شعراء طلبة الرثاء، وموقع عرار، الثانية من الإعراب اسم مكان،  
أي بيتي ليس، ومنه البيت.

ومن كان بالبيض الكرواح مفرماً <sup>١</sup> في بالبيض الفواحب مفرماً<sup>٢</sup>

١ - ومنه ما يكون أحد المتكررين في آخر البيت والثاني في صدر المصراع الثاني كالميت الثاني من قول ذي الرمة:

لما عن الدار التي لو وجدتها بها أعلها ما كان وحشاً عليها  
وإن لم يكن إلا مصراع مائة قبلها في مائة في عليها<sup>٣</sup>

\*\*\*

ب - في التفتين المتجاينين:

١ - ما يكون أحد التفتين المتجاينين، أي التفتين قطعاً لا معنى في آخر البيت والثاني في صدر المصراع الأول، كقول الخاضع الأرجاني:

دعني من ملائكتها مفاعلة دعائي الشوق فلنكها دعائي<sup>٤</sup>

ودعائي الأول فعل لم يعنى الترك، ودعائي في آخر البيت فعل ماضٍ من الدعاء بمعنى التخليد.

٢ - ومنه ما يكون أحد المتفتين في آخر البيت والثاني في صدر المصراع الأول، كقول النعماني:

وإذا التلاني أصبحت بلعابها طالع التلاني بأحشاء بلاني

---

(١) الكرواح: جمع كرواح، وهي الخفرة حين يدخل الحية الكرواح، والبيض الفواحب: السيف الفواحب

(٢) ١٠٤ - قولاً قديماً، والمصراع على الشيء: إلحاحاً عليه والمصراع غير يكون ولكنه يصير الإكتم، وباللهيات مفعلاً مؤخر غير مفاعلة والمصير في عليها مفاعلة، أي قلبي المفاعلة في المصراع الثاني، دليل أن المعنى هو قول أبي نوح هذه المفاعلة

(٣) مفعلاً، طبعاً

والبلابل، الأول جمع بلبل وهو الطائر المعروف، والبلابل، الثاني جمع بلبال يفتح عليه، وهو شدة الحر والظم، والبلابل، الثالث جمع بليلة وهو إربيل الحمر.

وموضح الشاهد هنا والمقصود بالتمثيل هو والبلابل، الثالث في آخر البيت بالنسبة إلى مجازة التي ورد في حشو المصراع الأول. فالملطكان كما نرى متجانسين، أي متشابهين لفظاً فمعنيين معنى.

٣- ومنه ما يكون أحد المتجانسين في آخر البيت والثاني في آخر المصراع الأول كقول الحريري:

فمستوفى سلباته الثاني ومفتون برنات الثاني<sup>(١)</sup>

فلفظ والثاني الأول يراد به القرآن الكريم ولفظ والثاني في آخر البيت يراد به الراس، فالملطكان متشابهان لفظاً فمعنيين معنى.

٤- ومنه ما يكون أحد المتجانسين في آخر البيت والآخر في أول المصراع الثاني، كقول الجاهلي الأرجسي:

أشبههم ثم لسانهم فلاح في أن ليس فيهم فلاح

وفلاح الأول فعل ماضٍ يعني ظهر وبدا، وفلاح في آخر البيت اسم من الإفلاح بمعنى القوز، والملطكان متشابهان لفظاً فمعنيين معنى.

ج- في اللطائف الملحوظ بالمتجانسين للاستقار:

١- ما يكون اللطائف الملحوظ بالمتجانسين يجمعها الاستقار

(١) الثاني من القرآن، قبل القرآن حيث لا فرق بين ترجمة الآية العباد، وليس سورة القلم على أنها بني في كل ركعة من ركعات الصلاة وإنما في كل ركعة يعني المقصود بالسبع الثاني في قوله تعالى: فوَيْلٌ لِلَّذِينَ سَمِعُوا نَذِيرَ اللَّهِ هُمْ يُخْلِفُونَ<sup>(٢)</sup> لأنها سبع آيات، وروايت الثاني: سمعت القرآن.

وأحدهما في آخر البيت والثاني في صدر المصراع الأول كقول البحري:

عسائبه ليدخلها في السحاب فلما نرى لك فيها خسرية

وقالطوايب: جمع خسرية وهي السجدة والطبيعة والقطرة، يقال:

عند خسريته التي ضرب عليها، أي طبع ونظر عليها، ويقال: فلان

كثرت الخسرية، ولقيم الخسرية، أي الطبيعة. وهذه الخسرية في آخر

البيت: الخطير والمثل، وهذه الخسرية والخسرية واحداً إلى أصل واحد في الاشتقاق.

٢ - ومنه ما يكون التقاطع اللغوي بالمتجانسين بمعنى الاشتقاق

وأحدهما في آخر البيت والثاني في صدر المصراع الأول، كقول امرئ القيس:

إذا طرد لم يجرؤ عليه لسانه فكيف على شيء سواه بحرانا<sup>(١)</sup>

فالمثل والفرد، وصيغة المقتطع <sup>مفردة</sup> في آخر البيت كما يرجحها في

الاشتقاق إلى أصل واحد.

٣ - ومنه ما يكون التقاطع اللغوي بالمتجانسين بمعنى الاشتقاق

وأحدهما في آخر البيت والثاني في آخر المصراع الأول، كقول ابن حبان الهلبي:

فدح الخريد لما وجهك ضائري أطوى أحلقة الدباب يهوي

فالمضارع وهويضربه كما بمعنى الاشتقاق.

٤ - ومنه ما يكون التقاطع اللغوي بالمتجانسين بمعنى الاشتقاق

---

(١) القيس: إذا لم يجرؤ لسانه من شيء ولا يخطئه ما يجرؤ غيره إليه، فلا يجرؤ من غيره ولا يخطئه ما لا يجرؤ له به.

وأحداهما في آخر البيت، والآخر في صدر المصراع الثاني، كقول أبي تمام في  
رقاء الحمد بن هاشم حين استشهد:

ولقد كانت البيضة القواضب في الوضي      يوتر فهي لأن من بعثه بقر<sup>(١)</sup>  
والقواتر، والبرء طم فسكون، ويعدان في أسلها إلى الشقاق  
والحد.

٥- في الشقاق المتعلقين بالمتجانسين تشبيه الاشتقاق:

١- ما يكون الشقاق المتعلق بالمتجانسين بمعنى تشبيه الاشتقاق  
وأحداهما في آخر البيت والثاني في صدر المصراع الأول، كقول الحريري:  
ولاح يلحق على حري الصان يل      ملهى مصحفاً له من لائح لاح  
عد ولاح الأول ماضي يلوح معنى ظهر، ولاح في آخر البيت  
اسم عامل من لاء بمعنى أبعد، فهو مكسران تشبهاً تشقان معنى،  
وبمعنى تشبيه الاشتقاق.

٢- وبما يكون الشقاق المتعلق بالمتجانسين بمعنى تشبيه  
الاشتقاق وأحداهما في آخر البيت والثاني في صدر المصراع الأول، كقول  
الحريري:

لو انحصرتهم من الإحصان زونكمو      والخطب ببحر لإتراط في انحصر<sup>(٢)</sup>

---

(١) البيضة القواضب: البيضة القواضب جمع قواضب، والقواتر: جمع قاطر، هذا البيت من القصيدة  
التي فيها نظم الشاعر الحمد بن هاشم، وقد ورد في المتن: "وإذا بعد فسكون، جمع قاطر، أي قاطر  
المتن".

(٢) الخطب: هذا يعني الخطب من الماء، وانحصر بمعنى انحصرت، القرواء: القرواء، أي القرواء  
عندكم إذا عرفتكم ما أنتم مني وطوائري من الإحصان.

فلنظ (والمقصود الزيادة في حشر المصراع الأول هو فعل ماضٍ بمعنى  
نُظِرَ، ونظط والمقصود مفتوح في آخر البيت هو اسم بمعنى الترويض،  
فاللفظان متجانسان لفظاً مختلفان معنى، وهذا يجعلها شبه الاشتقاق.

٣- وبما ما يكون لفظان طحطان بالفتحانين ويجعلها شبه  
الاشتقاق وأحداهما في آخر البيت ونكتي في آخر المصراع الأول، فنقول  
الحارثي أيضاً:

وسقططع بالفتحين الثاني وسقطع إلى تخلص حارثي<sup>١١</sup>

فاللفظ الأول والمضارع من عنى يعني، والثاني والثالث اسم فاعل من  
عنا يعلو، فالجامع بينهما شبه الاشتقاق.

٤- وبما ما يكون اللفظان المختلفان بالفتحانين ويجعلها شبه  
الاشتقاق وأحداهما في آخر البيت والثاني في صدر المصراع الثاني، فنقول  
خاضع:

العربي لقد كان الثوباً مكنته ثوباً ماضياً لأن ثوباً في الثوب  
واللفظ الأول وثوباً واولي من الثوب وفعله وثوباً يقال: ثوبا ثوبا  
يثوب: كثر، واللفظ الثاني في آخر البيت والثوب بمعنى الثوب يثوب: فعله  
وثوباً بكسر ثوب، فاللفظان متجانسان لفظاً مختلفان معنى، ولكن  
يجعلها شبه الاشتقاق

### لزوم ما لا يلزم

هذا النوع من البديع اللفظي سواء قوم بالالتزام ولا يلزم ما لا

(١١) سقططع في الثاني: الثوب ب: الماضى،، والمضارع سقططع. فذلك الأسى.



بقره، وقد عده ابن الميز من عاين الكلام ومثل له، ويعرف بأنه  
واعانت الشاعر في القوال وتكلمه من دلت ما ليس له.

1999, 2000, 2001, 2002, 2003, 2004, 2005, 2006, 2007, 2008, 2009, 2010, 2011, 2012, 2013, 2014, 2015, 2016, 2017, 2018, 2019, 2020, 2021, 2022, 2023, 2024, 2025, 2026, 2027, 2028, 2029, 2030, 2031, 2032, 2033, 2034, 2035, 2036, 2037, 2038, 2039, 2040, 2041, 2042, 2043, 2044, 2045, 2046, 2047, 2048, 2049, 2050, 2051, 2052, 2053, 2054, 2055, 2056, 2057, 2058, 2059, 2060, 2061, 2062, 2063, 2064, 2065, 2066, 2067, 2068, 2069, 2070, 2071, 2072, 2073, 2074, 2075, 2076, 2077, 2078, 2079, 2080, 2081, 2082, 2083, 2084, 2085, 2086, 2087, 2088, 2089, 2090, 2091, 2092, 2093, 2094, 2095, 2096, 2097, 2098, 2099, 2100, 2101, 2102, 2103, 2104, 2105, 2106, 2107, 2108, 2109, 2110, 2111, 2112, 2113, 2114, 2115, 2116, 2117, 2118, 2119, 2120, 2121, 2122, 2123, 2124, 2125, 2126, 2127, 2128, 2129, 2130, 2131, 2132, 2133, 2134, 2135, 2136, 2137, 2138, 2139, 2140, 2141, 2142, 2143, 2144, 2145, 2146, 2147, 2148, 2149, 2150, 2151, 2152, 2153, 2154, 2155, 2156, 2157, 2158, 2159, 2160, 2161, 2162, 2163, 2164, 2165, 2166, 2167, 2168, 2169, 2170, 2171, 2172, 2173, 2174, 2175, 2176, 2177, 2178, 2179, 2180, 2181, 2182, 2183, 2184, 2185, 2186, 2187, 2188, 2189, 2190, 2191, 2192, 2193, 2194, 2195, 2196, 2197, 2198, 2199, 2200, 2201, 2202, 2203, 2204, 2205, 2206, 2207, 2208, 2209, 2210, 2211, 2212, 2213, 2214, 2215, 2216, 2217, 2218, 2219, 2220, 2221, 2222, 2223, 2224, 2225, 2226, 2227, 2228, 2229, 2230, 2231, 2232, 2233, 2234, 2235, 2236, 2237, 2238, 2239, 2240, 2241, 2242, 2243, 2244, 2245, 2246, 2247, 2248, 2249, 2250, 2251, 2252, 2253, 2254, 2255, 2256, 2257, 2258, 2259, 2260, 2261, 2262, 2263, 2264, 2265, 2266, 2267, 2268, 2269, 2270, 2271, 2272, 2273, 2274, 2275, 2276, 2277, 2278, 2279, 2280, 2281, 2282, 2283, 2284, 2285, 2286, 2287, 2288, 2289, 2290, 2291, 2292, 2293, 2294, 2295, 2296, 2297, 2298, 2299, 2300, 2301, 2302, 2303, 2304, 2305, 2306, 2307, 2308, 2309, 2310, 2311, 2312, 2313, 2314, 2315, 2316, 2317, 2318, 2319, 2320, 2321, 2322, 2323, 2324, 2325, 2326, 2327, 2328, 2329, 2330, 2331, 2332, 2333, 2334, 2335, 2336, 2337, 2338, 2339, 2340, 2341, 2342, 2343, 2344, 2345, 2346, 2347, 2348, 2349, 2350, 2351, 2352, 2353, 2354, 2355, 2356, 2357, 2358, 2359, 2360, 2361, 2362, 2363, 2364, 2365, 2366, 2367, 2368, 2369, 2370, 2371, 2372, 2373, 2374, 2375, 2376, 2377, 2378, 2379, 2380, 2381, 2382, 2383, 2384, 2385, 2386, 2387, 2388, 2389, 2390, 2391, 2392, 2393, 2394, 2395, 2396, 2397, 2398, 2399, 2400, 2401, 2402, 2403, 2404, 2405, 2406, 2407, 2408, 2409, 2410, 2411, 2412, 2413, 2414, 2415, 2416, 2417, 2418, 2419, 2420, 2421, 2422, 2423, 2424, 2425, 2426, 2427, 2428, 2429, 2430, 2431, 2432, 2433, 2434, 2435, 2436, 2437, 2438, 2439, 2440, 2441, 2442, 2443, 2444, 2445, 2446, 2447, 2448, 2449, 2450, 2451, 2452, 2453, 2454, 2455, 2456, 2457, 2458, 2459, 2460, 2461, 2462, 2463, 2464, 2465, 2466, 2467, 2468, 2469, 2470, 2471, 2472, 2473, 2474, 2475, 2476, 2477, 2478, 2479, 2480, 2481, 2482, 2483, 2484, 2485, 2486, 2487, 2488, 2489, 2490, 2491, 2492, 2493, 2494, 2495, 2496, 2497, 2498, 2499, 2500, 2501, 2502, 2503, 2504, 2505, 2506, 2507, 2508, 2509, 2510, 2511, 2512, 2513, 2514, 2515, 2516, 2517, 2518, 2519, 2520, 2521, 2522, 2523, 2524, 2525, 2526, 2527, 2528, 2529, 2530, 2531, 2532, 2533, 2534, 2535, 2536, 2537, 2538, 2539, 2540, 2541, 2542, 2543, 2544, 2545, 2546, 2547, 2548, 2549, 2550, 2551, 2552, 2553, 2554, 2555, 2556, 2557, 2558, 2559, 2560, 2561, 2562, 2563, 2564, 2565, 2566, 2567, 2568, 2569, 2570, 2571, 2572, 2573, 2574, 2575, 2576, 2577, 2578, 2579, 2580, 2581, 2582, 2583, 2584, 2585, 2586, 2587, 2588, 2589, 2590, 2591, 2592, 2593, 2594, 2595, 2596, 2597, 2598, 2599, 2600, 2601, 2602, 2603, 2604, 2605, 2606, 2607, 2608, 2609, 2610, 2611, 2612, 2613, 2614, 2615, 2616, 2617, 2618, 2619, 2620, 2621, 2622, 2623, 2624, 2625, 2626, 2627, 2628, 2629, 2630, 2631, 2632, 2633, 2634, 2635, 2636, 2637, 2638, 2639, 2640, 2641, 2642, 2643, 2644, 2645, 2646, 2647, 2648, 2649, 2650, 2651, 2652, 2653, 2654, 2655, 2656, 2657, 2658, 2659, 2660, 2661, 2662, 2663, 2664, 2665, 2666, 2667, 2668, 2669, 2670, 2671, 2672, 2673, 2674, 2675, 2676, 2677, 2678, 2679, 2680, 26

يسألون في الكتاب الذين لم يمت  
في ثلث أن تلقى المحاسن كلها  
وفي الخبر والله الذي لم يمت  
في واحد من نوري جميع المحاسن

وقد عرف القرويني لزوم ما لا يلزم بقوله: «يعرف أن يحيى قبل حرف الروي أو ما في معناه من القاصلة ما ليس بلام في السجعة». ومعنى هذا أن يلزم اللاحق في قوله أو الناطق في لفظه بحرف قبل حرف الروي أو أكثر من حرف بالنسبة إلى قدرته مع عدم التكلف.

ولزم ما لا يلزم من كون الشيء خطئياً، بل في الشر والظلم على السواء، وقد ورد في القرآن الكريم شيء منه إلا أنه يسر جداً.

[illegible]

ومن أمثله نقرأ قول ابن الأثير في مسهل كتاب إلى بعض الإعراف:  
والخادم يعني من فعله ولك ما يملك أحدهما سيد والآخر لوطاً،  
يعنون أحدهما غنياً والآخر عرساً، فالقوم هنا في الرد والغنى.

ومنه قول الخوري في القصة الثورية: وحكى الطول بن هشام،  
قال: قلت في ركن زمني الذي غره، إلى محاربة لعل الثورة لأحد أقط  
توسهم الآية، وألستهم الثرية، وأوطوني أليح جانب، وقلوا عني حد  
كلى ناب... (٢٧).

ومنه قول بديع الزمان القماني في مقامه البديعية التي يتخذ فيها  
كلام الحافظ على لسان عيسى بن هشام: «هياكلوا إلى أعلامه فهو بيت  
الإشارات، قليل الاستعارات، قريب العبارات، متفاد لغيران الكلام  
يستعمله، ظهور من مقامه به، قول سمعهم له لفظه مصنوعة أو  
كلمة مسبوقة (٢٨). فمن كلام الخوري وبديع الزمان ما ألزم فيه  
يعرف أو أكثر قبل حرف الزوي.

ومن أشبه لزوم ما لا يلزم في الشعر قول شاعر جاهلي:

عصاني قومي والفرسان الذي ~~هم~~ <sup>أمرت</sup> ومن بعض الشعراء يسلم  
قصراً بني بكر على الموت ~~إني~~ <sup>أرى</sup> عارفاً ببل ما الموت والهم  
فالزوم هنا في كليم والكلام:

ومنه قول أبي تمام:

حيدم الملا المصنعة وهي التي لا تحيدم إلا قوام ما لم تحيدم  
فصلاً لزلزلي في قلة من سيوت قالت له الأخرى: بلغت لقدم

(٢٧) مقامات الخوري ص ١٢٦، ورثه وحله: لونه، ومن: عيسى بن هشام، وأهل قهر، هم  
أهل القهر، لأحد أقط توسهم: أكتفي به، وأوطوني: أرتبني وأملني، وقلوا:  
نسروا.

(٢٨) مقامات بديع الزمان ص ٧٤، وعرّف الكلام: ما لا يكون له ثوب الصنعة، ويستعمل  
الكلام: صفة ما أكثر فيه الصنعة فينبغي من أعلام الصنعة

ولمعه أهدأ:

ولو جردني الوجدت عرقاً يصابي الأكرمين ولا يصابي<sup>(١٥)</sup>  
جسراً أن يكر الطرف شرراً بل يعطي التوردة وهو صافي  
فالزوم في قتال الأول لأي نام في الميم والصاد، وفي قتال الثاني في  
الذال والالف والصاد.

ومن الشعر العصب الذي لا كلمة عليه في باب الزوم قول  
الحصاني:

إن التي زعمت مؤانك مسلها خلقت هوانك كما خلقت هوى ظا  
يغصه بأكرها التميم فصافها بلسانك صانها... وأجلها  
صحت لحيثها خلقت لصاحي ما كان أكثرها لنا وأقلها!  
وإذا وجدت لها دساسس يثروا شجع الضمير إلى التزاد مسلها  
فالزوم في الفاء واللام.

ومن الشعراء القدماء الذين حظوا إلى الزوم في شعرهم كثير عزاء  
ومن شعره الذي ألزم فيه ما لا يلزم لفظة تروى على عشرين بيتاً منها:

أحليل هذا ربح حرة فإعفلا فلو صيكتنا لم أحفلا حيث خلقت  
وما كنت أفرى قبل حرة ما أفرى ولا موجدات الحيزن حتى لوئت  
هليلجاً مريضاً فخير جاء فصار لمرة من أعرافنا ما استطعت  
لما أتنا بالداخي لمرة بالجووي ولا شامت إن فعل حرة زالت  
ولبي وبهيماني بحرة بعددنا خلقت كما بينت... وأكلت

---

(١٥) انظر نكر الحاء. الأكرم المخرج في نكر الحاء به، ولا يصابي أي ولا يصابي  
ولا يداخي ويصاخي.

لقد انزلني ظل الغمامة كما تسوا منها للعليل أصبحت  
 كاني وليدًا صاحبًا لحمل رجاسا فلما جاوزته استهلت  
 فإن سال الراثون: عيم عيمنا؟ قل: قس حر شئت فقلست<sup>(١)</sup>  
 ومن مالوا إلى الزوم من متقدمين ليحيا عداوتهم من الزير الأسدي،  
 وذلك كفوفه من قصيدة في مدح عمرو بن عثمان بن عفان:

سأشكر عمرو ما تراءت علي أيدي لم قس وإن هي جلت<sup>(٢)</sup>  
 على غير محبوب قلبي عن عديته ولا تظهر الشكرى إذا فعلت زلت<sup>(٣)</sup>  
 رأي قلبي من شئت يغني مكانها فكانت قلبي عينه حتى تجلت<sup>(٤)</sup>  
 فالزوم في شعر كثير عزة ومن الزير الأسدي هو في البدء واللام  
 القصيدة.



والزوم ما لا يلزم للمعنى المتضمن كما يبدو من شعرهم يأتي على  
 الحاضر غير مقصود ولا مقصود، والقصيدة لا يرى عليه من أثر الكلفة أو  
 القصيدة شيء.

لما المتأخرون فتوسعوا فيه واكثروا منه، ومنهم من قصدوا القصد إليه  
 قصدًا كأنما يريد أن يدل بذلك على مقصوده في النظم وسعة إحاطته  
 بالقلمة وطولها.

ومن أولئك الشعراء أبو العلاء الشجري فله في هذا النوع من الشعر

(١) أي الذي ج ٩ من ١٠٧

(٢) لم قس: أي لم تخرج ولم تخط به.

(٣) إذا فعلت زلت: إذا القدم والعلل أدلة من زوم الشعر والقصيدة

(٤) تجلت: الخلة بفتح الخاء: القصيدة والخط.

هو ان كامل سعداء بالزواجات ان فيه بالحب الذي يحسد، والردي الذي يلزم.

ومن شعره الذي ألهم في ليله ما لا يلزم قوله:

أرى الدنيا وما وجدت ير      إذا كنت قهراً أرهقته  
إذا عشت السر حلقته      وإن رُجيت خير عوقته  
حيات كالحبال ذات مكر      ونفس المرء صيداً أهلكته  
فلا يمدح بعلمها أرب      وإن هي صورتها ونطقته  
أعاقبه شهاباً من جنابها      وجدت لها صبا فزكته

فاللزم هنا في الحاد والثاء والثالث.

ومنه أيضاً قوله:

تتأرجح في الدنيا سرور دنانيه      ولا لك شيء بالخطبة فيها  
والكسب ملك العرب مقلد      بحر جنوب الأرض سرور فيها  
ولم أخط من ذلك التراجيح طائفة      من الأسر إلا أن تعد عليها  
فيا نفس لا تعظم عليك خطوبها      مستفسرها مثل فتلفها  
تدأروا إلى التزير الغافل فحالوا      عليه وعلوها لتفسرها  
وما أتم جبل أو حيلة خيمهم      بأهلهم من دنياك فاحترقها<sup>(٢١)</sup>  
تلاقي الوقود القاسية بفرحة      وليكن عمل أثار مصرفها  
تسلط على عبا ركباً ومكة      قبل لغوي الخوم: فاك ليلها<sup>(٢٢)</sup>

(٢١) فاحترقها أي قاسيتها ليلها المرء، ربه وسعها احترق يعني عرقه، دخل هذا يكون لغوي فاحترقها: أي عرقه حقيقة دنياك يا صبي.

(٢٢) فاك ليلها: كلمة تستعملها العرب عند الدعاء بالكره والفساد، وأصل ذلك أن السباح إذا جازلت صرقت أرواحها بعضها البعض.

فاللزم هنا في الله والياء والفاء، وقد التزم مع حرف الزوي بحرفين.

ويجوز التنبيه هنا إلى الفرق بين لزوم ما يلزم ولزوم ما لا يلزم في القوافي. فمن باب لزوم ما يلزم قول الشاعر:

في شعاب السبان أغردت وحدي      عصرت الأيام حياءً كعصيت  
أجد الخضر والمطول من الشا      من وكفى السطلام في عطر يتي  
والصدايق الروحي في ليل الشا      لم أزدني وهي وأنصب زيتي  
تعمالي... وفي يديك السطاني      من فصاح السبان أما أبيت

فحرف القافية هنا هو الشا والياء قبلها حرف وهاً يلتزم به الشاعر في جميع أبيات القصيدة والجدول منه إلى أي حرف آخر كان يقول مثلاً -حضرته- مثل وأبته بعد حياءً في القافية.

أما في لزوم ما لا يلزم، كما حل عشاق في قوافي الأبيات السابقة لكثير حرد، ومن الرجز الأصفي والعمري، فاللزام هو حرف القافية فقط، أما ما عداهما فالزم الشاعر به نفسه حرماً كان أو أكثر فهذا يجوز للشاعر أن يلتزمه أو يعدل منه ولا يعدل في شوقه، فانه حياءً من حبوب القافية.

فلو شتم الشاعر حرف الزاء مثلاً قبل القافية في قصيدة بعض كلمات قافيتها مثل -شرق، وشرق وشرق- فإنه يجوز له أن يثنى على هذا اللزام، كما يجوز له أن يعدل عنه ويقول: -شرق، وسيل، وسيل- وذلك دون أن يعدل ذلك حياءً في القافية.



ولزوم ما لا يلتزم هو، كما يقول ابن الأثير، من أشق هذه الصداقة مدحياً ولمدحاً مستغفراً، وذلك لأن مؤلفه يلتزم ما لا يلتزم. فإن اللزام في

هذا الموضوع وما جرى مجراه إلى هو السجع الذي هو تساوي أجزاء القوافل من الكلام الشور في قوتها. وهذا فيه زيادة على ذلك وهو أن تكون الحروف التي قبل الفاصلة حرفاً واحداً، وهو في الشعر أن تساوي الحروف التي قبل ذوي الأبيات الشعرية<sup>(٦)</sup>.

وما لا ريب فيه أن هذا النوع من أصعب أنواع التماثل المستخرجاً، ولكن لما لا ريب فيه أيضاً أنه بعد من محاسن الكلام، إذا وقع فيه الأتيب لمجدد عضو الحاضر بدون تكلف ولا تعسر، وكان المعنى هو الذي يقوله إليه ويستدعيه، وليس هو الذي يقوله إلى المعنى.

### الموازنة

الموازنة نوع من أنواع السجع تصفى يقع في الشعر والنظم: وهي تساوي الفاصلتين في الوزن كأن يكون النظم، نحو قوله تعالى: وَأَعَدُّوا مصفوفة وزناً مترة (٧).

للمصفاة مصفوفة بميتوزلة تصفوناً في الوزن، لا في النغمة، لأن الأول على الفاء والثاني على التاء، ولا حرة لئلا يفتتت ما هو معروف في علم العروض.

وقد فصل ابن الأثير الكلام عن الموازنة بحسب الشيء فقال: وهي أن تكون القوافل القوافل في الكلام الشور متساوية في الوزن، وأن يكون صدر البيت الشعري ومجزؤه متساوي المدح وزناً. وللكلام بذلك طائفة يروى وسببه الاختلاف، لأنه مطلوب في جميع الأتياب، وإذا كانت مقاطع الكلام معتلة وقعت من نفس موقع الاستحسان وهذا لا مراد فيه الموضوع.

(٦) نقل السامر عن ١-٦.

وهذا يخرج من الكلام أمر السجع في المداخلة دون المداخلة، لأن في السجع احتشاكاً وزيادة على الاختلاف، هي ثقل العزاء الفواصل لورودها على حرف واحد.

وأما الموازنة ففيها الاختلاف الموجود في السجع ولا يقال في فواصلها، يقال إن: ذلك سجع موازنة، وليس كل موازنة سجعاً، وهل هذا فالسجع يخص من الموازنة<sup>(١)</sup>.

وأما ورد من الموازنة في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَأَنبِئْهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ، وَصِفَتُهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ فالسجين والمستقيم موازنة، لأنها تساوى في الوزن دون النغمة.

ومما كذلك قوله تعالى: ﴿وَإِنظُرُوا مِنْ حَوْلِكُمْ أَفْئِدَةُ تُنْكِرُهَا لَكُمْ عِرَافًا، كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِحَادِثِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدَّةً، أَلَمْ تَرَ أَنَا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤْوُهُمْ أَرْضًا، مَلَأْنَاهُمْ مِنَّا فَتَدْلُمُ لَهُمْ ضِدَّةً﴾. والموازنة هنا بين وحشاً ومضيداً وبين قسراً وحيداً فقد جاء كل زوج على وزن واحد، وإن احتفظت بحرف النغمة أو الفاصل التي هي فواصلها. وأما هذا في القرآن كثير من معظم آياته جارية على هذا السجع، حتى إنه لا يكاد يخرج منه شيء من السجع والموازنة.

ومن أمثلة الموازنة شبراً قول ربيعة بن عزة:

إِنْ يَخْطُوكَ فَتَدُ ثَلَاثَ حُرُوفِهِمْ      بِحِسَابِ بَيْنِ الْخَابِرِ بَيْنَ شَهَابِ  
سَأَنْدُهُمْ بِأَسَاءَ عَلَى أَصْحَابِهِ      وَأَمْرُهُمْ فَتَدُ عَلَى الْأَصْحَابِ  
فَالْيَتِ الْفَتَى مَرَّ الْخَصِي بِالْمُزَنَةِ      مِنْ دَهْشَاءَ وَدَقْدَقَاءَ عَلَى وَزْنِ  
وَاحِدٍ، حِينَ النُّغْمَةِ.

(١) انظر السطر من ١١٦.



ومما نزل إلى عام:

مما الوحش إلا أن هذا الرأس قد انقطع إلا أن تلك ذرايل<sup>(١)</sup>  
الوزنة تامة بين كل نقطة وما يذيلها في المصراعين ما عدا القلي  
وعنا ونلكه.

ومما نزل إلى عام أيضاً، والوزنة تامة بين جميع النقاط الشطر الأول  
وما يذيلها من النقاط الشطر الثاني:

فأقسم أنا لم يجد فيك مطعماً وأقدم أنا لم يجد منك مهرباً  
ومن لحظة الوزنة كذلك قول الشاعر:

صلوح صبور كسرم دزين إذا ما العقول بهذا طيشها  
ففي الشطر الأول من البيت هذا مولودان. الأول «صلوح صبور»  
والثاني «كسرم دزين» وقد استلزم الضم في كل مولدة وزناً واستلزم  
نقطة.

### الشرح

الشرح، ويسمى التوضيح والتوام، هو بناء البيت على القانونين  
بصبح المعنى عند الوقوف على كل منها.

وتفصيل ذلك أن ينشئ الشاعر أبيات تصبغت على وزن من نوزان  
الشعر والقوانين. وإذا وقع من البيت على القافية الأولى كان شعراً مستقياً  
من وزن على عروضي، وإذا انصاف إلى ذلك ما بين عليه شعراً من القافية

---

(١) قلنا: جمع مهة ومن هنا الفرة الوحشية، وخط سرج أسد إلى الزمان المنظمة  
والشاعر يصف هذا الأثر في البيت ستة الموزون وطول القافية

الأخري كان أيضاً شعراً مستقيماً من وزن آخر على عروضي، وصار ما يضاف إلى القافية الأولى للبيت كالتوضيح.

والشرح لا يكاد يستعمل في الكلام الطويل المبحر إلا قليلاً وليس من الحسن في شيء استعماله في الشعر أحسن منه في الكلام النثر. ومن أمثاله شعراً نزل بعضهم:

أسلم ودمت على الطوائف مدرساً وكنا شير لور عساقب حمره  
ونزل المراد فكناً منه على رهم الشعور ولز مطول طلاه

فهذان البيتان من وزن الكامل، التام الطواف من مصطلحيه مكررة ست مرات وتأتيها الحزوة. فإذا أسقطنا من كل بيت تعليلين فإن البيتين يتقلدان إلى عزوه الكامل ويصيران:

أسلم ودمت على الطوائف مدرساً وكنا شير لور عساقب حمره  
ونزل المراد فكناً منه على رهم الشعور

وقد استعمل ذلك الخوري في قصيدة كاملة معروضة في مقاماته منها

يا عياط الدنيا شعبة إياها شرك الردى وقسوة الأعداء  
دار على ما أضحكت في يومها ليكت عبداً بعداً لها من دار

والقصيدة التي منها هذا البيت من وزن الكامل التام أيضاً والقافية الزاد، فإذا أسقطنا هنا تعليلين صدر البيت من عزوه الكامل والقافية التام هكذا:

(١) شير: الخيل القوية، عد ملكاء، ودار: دار، وكان الرموح على الدار  
يومي إليه يديه ويحمل يدها فينصبه، أي يمدد يده

بما يحاطب الدنيا البدن في إياها شريك السوي  
 دار على ما أصبحت في يومها لمكنت هذا  
 وقد ظهر والتشريح قبل كلام الخوري في كلام العرب للقدمين  
 من نحو الكامل:

ولما الرياح مع العشي تناوحت صوح الرمال يكتبين شعلاً  
 القيتنا لمري المحيط لعبتنا قبل الغدال ونقتل الأبطال<sup>(١)</sup>  
 طالعان من وزن الكامل تمام كذلك والظامة الكلام، وإسقاط  
 القليلين ينتقل البيت إلى وزن آخر هو عروض الكامل وإلى قافية أخرى هي  
 الكلام أيضاً هكذا:

ولما السروح مع العشي تناوحت صوح الرمال  
 القيتنا تقوي العبيد بطل لعبتنا قبل الغدال

ولا شك أن هذا النوع لا يأتي إلا شكلاً زائداً ونصف، وحسنه  
 منوط به فيه من الصعابة لا يأتيه من البلاغة والبراعة. ومن لم لا يحسن  
 إلا إذا كان يسيراً، كما لو لم في الثوب أو المشية في الجمل كما يقول ابن  
 الأثير.

وكسح البحر في هذا النوع والجزء الذي يثقف من مستغفر  
 ست مرند، فإنه قد وقع مستغلاً والمارء وبعروءه ومستطوره  
 ومندركاه، ويمكن أن يعمل لميت من أوج قواف.

(١) المحيط: السبح، وقال الخطيب الأبي والشم: به معناه شعر ماء، وفري المحيط  
 لعبتنا: أي نحس إلى معينا ويقدم له من طعنا به ما نبيح من إلهنا أو نجده المراك  
 من الأثوار.

والعل في النموذج التالي من شعر محمد بن جابر الضرير الأندلسي ما يوضح ذلك. قال:

يرنو بطرفه فلتسر مهيا دسا      فهو لئي لا انتهى عن حبه  
يغو بضم ناضر حلو الخي      يلقى المصلي لا عير لي من فربه  
لو كان يوماً زائري زال معنا      يملو لنا في الحب أن نسي به

هذه الأبيات من الرجز المسم. وإذا تركناها عن حلقها فهي من الرجز النظم والثقافة الباء. وإذا أسقطنا منها نصيبين من آخر كل بيت صارت من الرجز المجزوء والثقافة التون هكذا:

يرنو بطرفه فلتسر مهيا دسا فهو لئي  
يغو بضم ناضر حلو الخي يلقى المصلي  
لو كان يوماً زائري زال معنا العنة يسلم لنا

وإذا أسقطنا القليلة من آخر كل بيت من مجزوء الرجز هذا صارت الأبيات من منظور الرجز والثقافة التون لهذا هكذا:

يرنو بطرفه فلتسر مهيا دسا  
يغو بضم ناضر حلو الخي  
لو كان يوماً زائري زال معنا

وإذا عدنا فأسقطنا القليلة من هذا المنظور صارت الأبيات من صيغة الرجز والثقافة الزاء هكذا:

يرنو بطرفه فلتسر  
يغو بضم ناضر زائري  
لو كان يوماً زائري

ولعلنا لاحظنا من كل ما سبق أن الفسوج كنوع من الفسوج القسطنطيني  
 إذا لمعرف الشاعر من في القصيدة الواحدة أمثلها وأجملها إلى نوع من  
 الصناعة المبرجة الفضة، وإن أسست ما جاء فيها قليلاً على المخاطر.





## فهرس

| الصفحة | الموضوع                |
|--------|------------------------|
| ٤      | مقدمة                  |
| ٧      | نشأ الديق وتطوره       |
| ٧٥     | نون علم الديق          |
|        | المحتات الديقفة المنة: |
| ٧٦     | المطابقة               |
| ٨٤     | المطابقة               |
| ٩١     | المطابقة               |
| ١٠٠    | الإمارة                |
| ١٠٥    | المطابق                |
| ١١٢    | الأيضال                |
| ١١٢    | المطابق                |
| ١٢٢    | المطابق                |

|     |                              |
|-----|------------------------------|
| ١٢١ | التقسيم                      |
| ١٢٢ | الأكثريات                    |
| ١٢٣ | الجميع                       |
| ١٢٤ | الفرق                        |
| ١٢٥ | الجميع مع التقسيم            |
| ١٢٦ | الجميع مع الفرق              |
| ١٢٧ | الجميع مع الفرق والتقسيم     |
| ١٢٨ | تأكيد المدح بما يشبه التلميح |
| ١٢٩ | تأكيد التلميح بما يشبه المدح |
| ١٣٠ | اللعبة الكلامية              |
| ١٣١ | الف والنشر                   |
| ١٣٢ | مراجعة النظر                 |
| ١٣٣ | أسلوب الحكم                  |
| ١٣٤ | التعريف                      |



### الحسابات القديمة القبطية :

|     |                      |
|-----|----------------------|
| ١٣٥ | الجناس               |
| ١٣٦ | الجميع               |
| ١٣٧ | رد المميز على المميز |
| ١٣٨ | لزم ما لا يلزم       |
| ١٣٩ | الموازاة             |
| ١٤٠ | التضريح              |